التاريخ الإسلامي

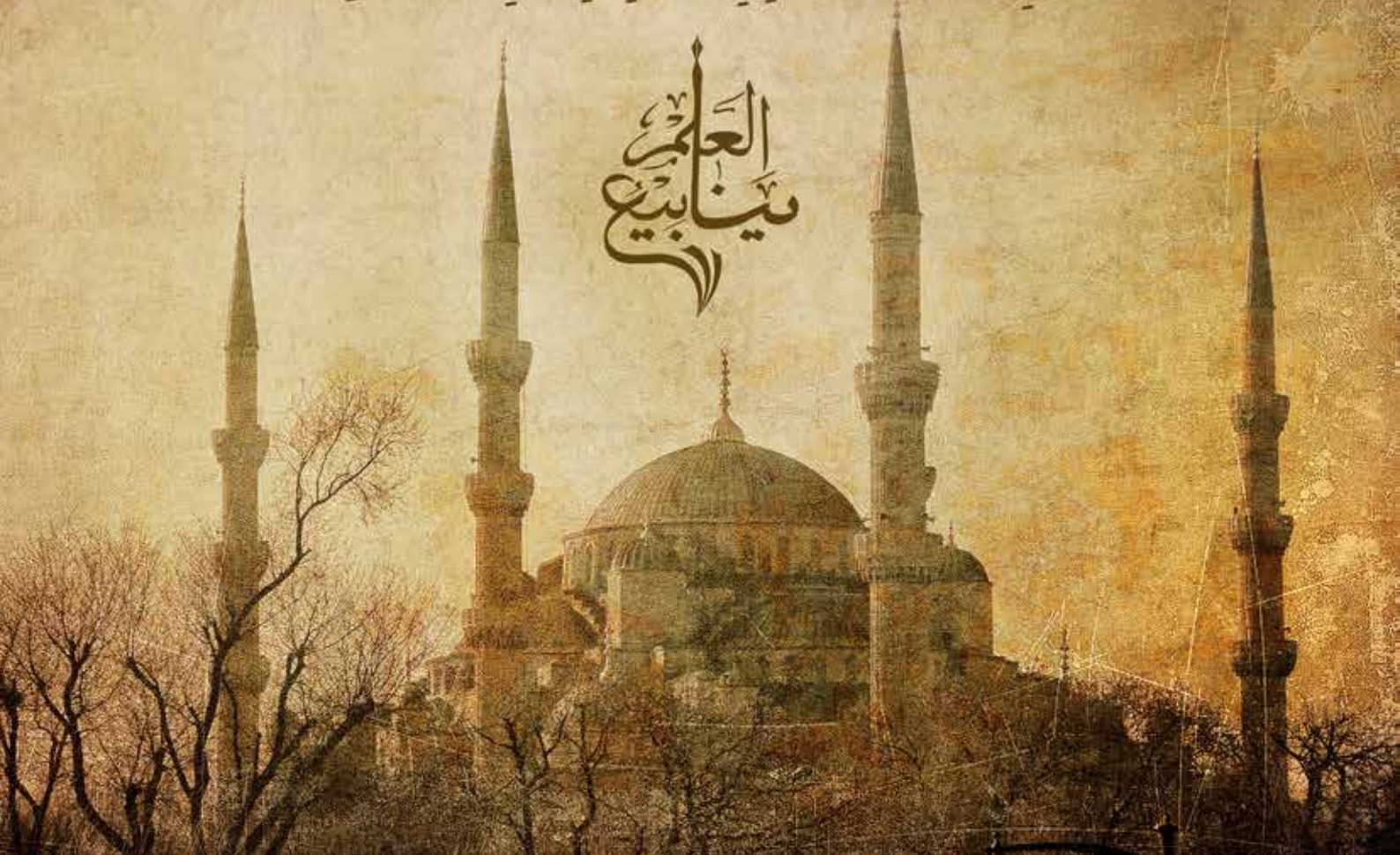
بقلم

فضيلة الشيخ المحدث

علي بن عبد الله النمي

الإصدارات البرامجية العلمية بمؤسسة

ينابيع العلم



بِسْمِ اللّـهِ الرّحْمَـٰنِ الرّحِيمِ

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ لِمُؤَسَّسَةِ (يَنَابِيعِ العِلْمِ)

التاريخ الإسلامي

١- بعثة النبي ﷺ - وهجرته

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ

عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ». متفق عليه.

نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - الْمَدِينَةَ مُهَاجِرًا ضُحَى

يَـــوْمِ الاثْنَـــيْنِ، لِاثْنَتَـــيْ
عَـــشْرَةَ لَيْلَـــةً خَلَـــتْ مِـــنْ
شَـــهْرِ رَبِيـــعٍ الأَوَّلِ، فِي
السَّـــنَةِ الرَّابِعَـــةَ عَـــشْرَةَ
مِـــنَ البَعْثَـــةِ، فَأَرْسَـــى
دَوْلَـــةُ الإِسْـــلَامِ، وَغَـــزَى
الغَـــزَوَاتِ، وَبَعَـــثَ

الْبُعُوثَ، فَكَانَ عَدَدُ
غَزَوَاتِهِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ،
وَقَدْ قَاتَلَ بِنَفْسِهِ فِي
تِسْعٍ مِنْهَا؛ هِيَ: بَدْرٌ،
وَأُحُدٌ، وَالْمُرَيْسِيعُ،
وَالْخَنْدَقُ، وَقُرَيْظَةُ،
وَخَيْبَرُ، وَفَتْحُ مَكَّةَ،

وَحُنَيْنٌ، وَالطَّائِفُ.

وَبَلَغَ عَدَدُ بُعُوثِهِ

نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ.

وَالْغَزْوَةُ هِيَ الَّتِي

كَانَ يَحْضُرُهَا الرَّسُولُ

بِنَفْسِهِ، أَمَّا الْبَعْثُ

فَيُرْسِلُ السَّرِيَّةَ.

٢- خلافة النبوة ثلاثون عامًا

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «إِنَّ أَوَّلَ دِينِكُمْ بَدَءَ

نُبُـوَّةً وَرَحْمَـةً، ثُـمَّ يَكُـونُ خِلَافَـةً وَرَحْمَـةً، ثُـمَّ يَكُونُ مُلْـكًا وَجَبْرِيَّـةً». رَوَاهُ البَـزَّارُ، قَـالَ السُّـيُوطِيُّ: حَدِيـثٌ حَسَـنٌ.

وَقَـدْ تُـوُفِّيَ النَّبِـيُّ - ﷺ - يَـوْمَ الاثْنَـيْنِ، الثَّـانِيَ عَشَرَ

مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، فِي العَامِ الحَادِي عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ.

وَعَنْ سَفِينَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «الخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ عَامًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ المُلْكُ».

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ
السُّنَنِ، وَصَحَّحَهُ
ابْنُ حِبَّانَ، وَحَسَّنَهُ
التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حَجَرٍ.
فَكَانَتْ خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ
الصِّدِّيقِ سَنَتَيْنِ وَثَلَاثَةَ
أَشْهُرٍ، وَخِلَافَةُ عُمَرَ

عَشْرَ سِنِينَ وَنِصْفًا،
وَخِلَافَةُ عُثْمَانَ اثْنَتَيْ
عَشْرَةَ سَنَةً، وَخِلَافَةُ
عَلِيٍّ أَرْبَعَ سِنِينَ
وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَخِلَافَةُ
الحَسَنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ.
فَلَمْ يَكُنْ فِي الثَّلَاثِينَ

بَعْدَهُ – ﷺ – إِلَّا الخُلَفَاءُ الأَرْبَعَةُ، وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ –.

٣- بين الفتح والرِّدَّة

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ

نَـــصْرُ اللهِ وَالْفَتْـــحُ (١)
وَرَأَيْـــتَ النَّـــاسَ يَدْخُلُـــونَ
فِي دِيـــنِ اللهِ أَفْوَاجًـــا (٢)
فَسَـــبِّحْ بِحَمْـــدِ رَبِّـــكَ
وَاسْـــتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا).
رَوَى الْبُخَـــارِيُّ عَـــنْ
عَمْـــرِو بْـــنِ سَـــلَمَةَ،

قَالَ: «لَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ».

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مَكَّةَ، وَفَرَغَ مِنْ تَبُوكَ، وَأَسْلَمَتْ

ثَقِيفٌ وَبَايَعَتْ، ضَرَبَتْ إِلَيْهِ وُفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا».

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «الْمُرَادُ بِالْفَتْحِ هَا هُنَا فَتْحُ مَكَّةَ قَوْلًا وَاحِدًا ... لَمَّا فَتَحَ

اللهُ عَلَيْـــهِ مَكَّـــةَ دَخَلُـــوا
فِي دِيـــنِ اللهِ أَفْوَاجًـــا،
فَلَـــمْ تَمْـــضِ سَـــنَتَانِ حَتَّـــى
اِسْتَوْسَـــقَتْ جَزِيـــرَةُ
الْعَـــرَبِ إِيمَانًـــا، وَلَمْ يَبْـــقَ
فِي سَـــائِرِ قَبَائِـــلِ الْعَـــرَبِ
إِلَّا مُظْهِـــرٌ لِلْإِسْـــلَامِ».

وَبَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ
اللهِ - ﷺ - ارْتَدَّ مَنِ
ارْتَدَّ مِنَ العَرَبِ.
وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ،
عَنْ جَارٍ لِجَابِرٍ قَالَ:
جَاءَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ
اللهِ، فَجَعَلْتُ أُحَدِّثُهُ

عَنْ اِفْتِرَاقِ النَّاسِ وَمِمَّا أَحْدَثُوا، فَجَعَلَ يَبْكِي، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَسَيَخْرُجُونَ مِنْهُ أَفْوَاجًا».

٤- دلائل استخلاف الصِّدِّيق رضي الله عنه -

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ المُطْعِمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ -

ﷺ - فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ: الْمَوْتَ، قَالَ - ﷺ -: إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِ أَبَا بَكْرٍ). متفق عليه.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: فِي هَذَا

الحَدِيثِ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - هُوَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ - ﷺ - فِي

مَرَضِهِ: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ». متفق عليه.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ:
هَذَا نَصٌّ جَلِيٌّ فِي
اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ
الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ
اللهُ عَنْهَا: مَنْ كَانَ النَّبِيُّ
- ﷺ - مُسْتَخْلِفَهُ، لَوِ

اسْـــتَخْلَفَ؟ فَأَجَابَـــتْ:
أَبُـــو بَكْـــرٍ، فَسُـــئِلَتْ: ثُـــمَّ
مَـــنْ؟ أَيِ الَّـــذِي بَعْـــدَ أَبِي
بَكْـــرٍ، فَأَجَابَـــتْ: عُمَـــرُ،
فَسُـــئِلَتْ: مَـــنْ بَعْـــدَ عُمَرَ؟
فَأَجَابَـــتْ: أَبُـــو عُبَيْـــدَةَ
بْـــنُ الجَـــرَّاحِ، ثُـــمَّ انْتَهَـــتْ

إِلَى هَـــذَا. رواه مســـلم.

وَقَـــدْ تُـــوُفِّيَ أَبُـــو عُبَيْـــدَةَ فِي وِلَايَـــةِ عُمَـــرَ بْـــنِ الخَطَّـــابِ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ.

فَخِلَافَـــةُ أَبِي بَكْرٍ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِاللَّفْـــظِ الصَّرِيـــحِ، فَهِـــيَ بِالتَّعْرِيـــضِ وَالتَّلْمِيـــحِ.

٥- من إنجازات خلافة الصِّدِّيق رضي الله عنه -

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتُخْلِفَ مَا عُبِدَ اللهُ،

ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةَ. فَقِيلَ لَهُ: مَهْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - وَجَّهَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فِي سَبْعِمِائَةٍ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا نَزَلَ بِذِي خَشَبٍ، قُبِضَ رَسُولُ

اللهِ - ﷺ - وَارْتَدَّتِ
العَرَبُ حَوْلَ المَدِينَةِ،
فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ
رَسُولِ اللهِ، فَقَالُوا: يَا
أَبَا بَكْرٍ، رُدَّ هَؤُلَاءِ،
تُوَجِّهُ هَؤُلَاءِ إِلَى الرُّومِ
وَقَدِ ارْتَدَّتِ العَرَبُ

حَــوْلَ المَدِينَــةِ؟ فَقَــالَ:
وَالَّــذِي لَا إِلَــهَ غَــيْرُهُ، لَــوْ
جَــرَتِ الــكِلَابُ بِأَرْجُــلِ
أَزْوَاجِ رَسُــولِ اللهِ - ﷺ -
مَــا رَدَدْتُ جَيْشًــا وَجَّهَــهُ
رَسُــولُ اللهِ، وَلَا حَلَلْــتُ
لِــوَاءً عَقَــدَهُ رَسُــولُ اللهِ،

فَوَجَّهَ أُسَامَةَ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِقَبِيلٍ يُرِيدُونَ الارْتِدَادَ إِلَّا قَالُوا: لَوْلَا أَنَّ هَؤُلَاءِ قُوَّةً مَا خَرَجَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ مِنْ عِنْدِهِمْ، وَلَكِنْ نَدَعُهُمْ حَتَّى يَلْقَوُا الرُّومَ،

فَلَقَوُا الرُّومَ فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ وَرَجَعُوا سَالِمِينَ، فَثَبَتُوا عَلَى الإِسْلَامِ». رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ.

ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، اتَّجَهَ لِقِتَالِ مُدَّعِي النُّبُوَّةِ وَأَتْبَاعِهِمْ

كَالأَسْــوَدِ العَنْــسِيِّ،

وَطُلَيْحَــةَ الأَسَــدِيِّ،

وَسُــجَاحَ التَّمِيمِيَّــةِ،

وَمُسَــيْلِمَةَ الكَــذَّابِ،

فَظَفِــرَ عَلَيْهِــمْ، ثُــمَّ وَجَّــهَ

الجُيُــوشَ لِلْعِــرَاقِ لِقِتَــالِ

الفُــرْسِ، وَلِلشَّــامِ لِقِتَــالِ

الرُّومِ، وَحَقَّقَ انْتِصَارَاتٍ
رَائِدَةً، فَاتَّسَعَتْ رُقْعَةُ
الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ،
وَقَوِيَتْ بِنْيَتُهَا التَّحْتِيَّةُ،
وَهَيَّأَ لِلْخُلَفَاءِ بَعْدَهُ
إِسْقَاطَ إِمْبِرَاطُورِيَّةِ
الفُرْسِ، وَإِمْبِرَاطُورِيَّةِ

الـــرُّومِ البِيزَنْطِيَّـــةِ.

٦- وفـــاة الصِّدِّيـــق، واســـتخلاف عمـــر رضي الله عنهـــما -

عَـــنْ عَبْـــدِ اللهِ بْـــنِ عُمَـــرَ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -:
(أُرِيتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ
بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ،
فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ
ذَنُوبًا، أَوْ ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا
ضَعِيفًا، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ

جَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ، حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ، وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ). متفق عليه.

دَلَّ الحَدِيثُ عَلَى خِلَافَةِ هَذَيْنِ الخَلِيفَتَيْنِ

القُدْوَتَيْنِ، وَقُوَّةِ إِدَارَتِهِمَا
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَأَمَّا
أَبُو بَكْرٍ فَمُدَّةُ خِلَافَتِهِ
قَصِيرَةٌ؛ سَنَتَانِ وَثَلَاثَةُ
أَشْهُرٍ تَقْرِيبًا، وَهُوَ
الضَّعْفُ المَذْكُورُ فِي
الرُّؤْيَا، وَقَدْ قَاتَلَ

مَـــنِ ارْتَـــدَّ مِـــنَ العَـــرَبِ
وَمُدَّعِـــي النُّبُـــوَّةِ، وَقَتَـــلَ
مُسَـــيْلِمَةَ الكَـــذَّابَ فِي
مَعْرَكَـــةِ اليَمَامَـــةِ، وَأَخْضَـــعَ
الجَزِيـــرَةَ العَرَبِيَّـــةَ
وَوَحَّدَهَـــا، ثُـــمَّ قَاتَـــلَ
أَعْتَـــى قُوَّتَـــيْنِ فَدَوَّخَهَـــا

فِي مَعَارِكَ، وَحَقَّقَ عِدَّةَ انْتِصَارَاتٍ عَلَيْهَا؛ فَمِنْ تِلْكَ الوَقَائِعِ: ذَاتُ السَّلَاسِلِ ضِدَّ الفُرْسِ، وَاليَرْمُوكُ ضِدَّ الرُّومِ.

وَلَمَّا مَرِضَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَهِدَ بِالأَمْرِ

لِأَفْضَلِ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَهُ وَبَعْدَ نَبِيِّهَا؛ إِنَّهُ الفَارُوقُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ بِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ. وَتُوُفِّيَ الصِّدِّيقُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ

جُمَادَى الآخِرَةِ، سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَكَانَ عُمْرُهُ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً، وَدُفِنَ فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -، وَقَدْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَصَحِبَهُ صُحْبَةً

خَاصَّةً حَتَّى مَاتَ.

وَلَمَّا تَوَلَّى الفَارُوقُ الخِلَافَةَ مَكَثَ فِيهَا عَشْرَ سِنِينَ وَنِصْفًا، فَتَحَ العِرَاقَ وَبِلَادَ الفُرْسِ السَّاسَانِيَّةَ، وَخَلَّصَ الشَّامَ وَمِصْرَ وَغَيْرَهُمَا

مِـــنْ قَبْضَـــةِ الـــرُّومِ البِيزَنْطِيَّـــةِ، فَاتَّسَـــعَتْ رُقْعَـــةُ الدَّوْلَةِ الإِسْـــلَامِيَّةِ.

٧- مـــن فضائـــل الصِّدِّيق - رضي الله عنـــه - عَـــنِ ابْـــنِ مَسْـــعُودٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: (اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي، أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ). رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَلَهُ شَوَاهِدُ، وَقَدْ صَحَّحَهُ الحَاكِمُ وَغَيْرُهُ.

فَالشَّيْخَانِ قُدْوَةٌ مَنْ بَعْدَهُمَا فِي الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدَّوْلَةِ، قَالَ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ: «أَجْمَعَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ وَمَدَحَهُمْ، عَلَى إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ

اللهُ عَنْـهُ، وَسَـمَّوْهُ خَلِيفَـةَ
رَسُـولِ اللهِ - ﷺ -،
وَبَايَعُـوهُ وَانْقَـادُوا لَـهُ،
وَأَقَـرُّوا لَـهُ بِالفَضْـلِ،
وَكَانَ أَفْضَـلَ الجَمَاعَـةِ
فِي جَمِيـعِ الخِصَـالِ الَّتِـي
يَسْـتَحِقُّ بِهَـا الإِمَامَـةَ،

مِـنَ العِلْـمِ وَالزُّهْـدِ وَقُوَّةِ الـرَّأْيِ وَسِيَاسَـةِ الأُمَّـةِ وَغَـيْرِ ذَلِـكَ». انتهى.

وَمِـنْ أَمْثِلَـةِ دَهَائِـهِ وَتَسْـدِيدِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: تَثْبِيتُـهُ لِلنَّـاسِ حِـينَ مَاتَ رَسُـولُ اللهِ - ﷺ -، قَـالَ

ابْـنُ عَبَّـاسٍ: وَاللهِ لَـكَأَنَّ النَّـاسَ لَمْ يَعْلَمُـوا أَنَّ اللهَ أَنْـزَلَ هَـذِهِ الآيَـةَ: (وَمَـا مُحَمَّـدٌ إِلَّا رَسُـولٌ قَـدْ خَلَـتْ مِـن قَبْلِـهِ الرُّسُـلُ أَفَـإِن مَّاتَ أَوْ قُتِـلَ انقَلَبْتُمْ عَـلَى أَعْقَابِكُـمْ)، حَتَّـى

تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ.

وَإِنْفَاذُ جَيْشِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَقِتَالُ مَانِعِي الزَّكَاةِ، مَعَ مُخَالَفَةِ مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الأَعْيَانِ.

وَمِمَّا وَرَدَ فِي فَضْلِهِ رَضِيَ

اللهُ عَنْـهُ، مَـا جَاءَ عَـنْ أَبِي
الـــدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ،
قَـــالَ: قَـــالَ النَّبِـــيُّ - ﷺ
-: (إِنَّ اللهَ بَعَثَنِـــي إِلَيْكُـــمْ
فَقُلتُـــمْ: كَذَبْتَ، وقَـــالَ أَبُو
بَكْـــرٍ: صَـــدَقَ، وَوَاسَـــانِي
بِنَفْسِـــهِ وَمَالِـــهِ، فَهَـــلْ أَنْتُـــمْ

تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ
-، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا). رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ. وَالأَحَادِيثُ
فِي فَضْلِهِ كَثِيرَةٌ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَكَانَةِ
الصِّدِّيقِ: أَنَّ الفَارُوقَ

عَـــلَى عَبْقَرِيَّتِـــهِ وَمَنْزِلَتِـــهِ وَفَضْلِـــهِ، قَـــالَ لِأَبِي بَكْـــرٍ: (أَنْـــتَ خَيْرُنَـــا، وَأَفْضَلُنَـــا، وَأَحَبُّنَـــا إِلَى رَسُـــولِ اللهِ ﷺ)، وَقَـــالَ: وَاللهِ لَلَيْلَـــةٌ وَلَيَـــوْمٌ مِـــنْ أَبِي بَكْـــرٍ خَـــيْرٌ مِـــنْ آلِ عُمَـــرَ.

وَعَنْ أَسْلَمَ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: وَاللهِ لَا أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وَقَالَ أَيْضًا: «وَاللهِ لَأَنْ

أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي –
لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ إِلَى إِثْمٍ –
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى
قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ).
وَلَمَّا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ،
قَالَ عُمَرُ: «رَضِيَ اللهُ
عَنْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، لَقَدْ

أَتْعَبْتَ مَنْ جَاءَ بَعْدَكَ».

٨ من فضائل الفاروق عمر رضي الله عنه – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «لَقَدْ كَانَ

فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: مُحَدَّثُونَ أَيْ: مُلْهَمُونَ.

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ - يَقُولُ: (لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ وَالذَّهَبِيُّ،

وَاسْتَنْكَرَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَثَبَتَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: (إِنَّ اللهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ،

وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ، وَلَهُ شَوَاهِدُ.

وَالأَحَادِيثُ فِي فَضْلِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ الفَارُوقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَثِيرَةٌ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وَقَالَ: «مَا عُبِدَ اللهُ جَهْرَةً حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالإِسْلَامِ

عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ».

وَثَبَتَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ: (اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ؛ بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ

بْـــنِ الْخَطَّـــابِ). قَـــالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُـــمَا إِلَيْـــهِ عُمَـــرُ.

قَـــالَ ابْـــنُ عَبْـــدِ الْـــبَرِّ: كَانَ إِسْـــلَامُهُ عِـــزًّا ظَهَـــرَ بِـــهِ الْإِسْـــلَامُ، بِدَعْـــوَةِ النَّبِـــيِّ - ﷺ -

وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا؛ فَإِنَّ
أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَفْضَلُ
مِنْ عُمَرَ بِاتِّفَاقِ
أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.
وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ:
«الصِّدِّيقُ إِنَّمَا يَتَلَقَّى

عَنِ الرَّسُولِ، لَا عَنْ قَلْبِهِ؛ فَهُوَ أَكْمَلُ مِنَ الْمُحَدَّثِ، وَلَيْسَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ صِدِّيقٌ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَلَا بَعْدَ عُمَرَ مُحَدَّثٌ أَفْضَلَ مِنْهُ.»

٩ ▯ خلافة الصِّدِّيق والفاروق حَقٌّ

في كتاب الله

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ
لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ
لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي
لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ
وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ).

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، حَقٌّ فِي كِتَابِهِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَقَدْ فَعَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ

- وَلَـــهُ الحَمْـــدُ وَالمِنَّـــةُ -
فَإِنَّـــهُ لَمْ يَمُـــتْ رَسُـــولُ
اللهِ - ﷺ - حَتَّـــى فَتَـــحَ
اللهُ عَلَيْـــهِ مَكَّـــةَ وَخَيْـــبَرَ
وَالبَحْرَيْـــنِ، وَسَـــائِرَ
جَزِيـــرَةِ العَـــرَبِ، وَأَرْضَ
اليَمَـــنِ بِكَمَالِهَـــا. وَأَخَـــذَ

الجِزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ، وَمِنْ بَعْضِ أَطْرَافِ الشَّامِ، وَهَادَاهُ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ، وَصَاحِبُ مِصْرَ وَالإِسْكَنْدَرِيَّةِ – وَهُوَ الْمُقَوْقِسُ – وَمُلُوكُ عُمَانَ، وَالنَّجَاشِيُّ

مَلِكُ الحَبَشَةِ، الَّذِي تَمَلَّكَ بَعْدَ أَصْحَمَةَ، رَحِمَهُ اللهُ وَأَكْرَمَهُ.

ثُمَّ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - وَاخْتَارَ اللهُ لَهُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الكَرَامَةِ، قَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ خَلِيفَتُهُ

أَبُـو بَكْـرٍ الصِّدِّيـقُ، فَلَـمَّ
شَـعَثَ مَـا وَهَـى عِنْـدَ
مَوْتِـهِ، عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ
وَالسَّـلَامُ، وَأَطَّـدَ جَزِيـرَةَ
الْعَـرَبِ وَمَهَّدَهَـا، وَبَعَثَ
الْجُيُـوشَ الإِسْـلَامِيَّةَ إِلَى
بِـلَادِ فَـارِسَ، صُحْبَـةَ

خَالِـــدِ بْـــنِ الوَلِيـــدِ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، فَفَتَحُـــوا طَرَفًـــا مِنْهَـــا، وَقَتَلُـــوا خَلْقًـــا مِـــنْ أَهْلِهَـــا، وَجَيْشًـــا آخَـــرَ صُحْبَـــةَ أَبِي عُبَيْـــدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، وَمَـــنْ مَعَـــهُ مِـــنَ الأُمَـــرَاءِ إِلَى أَرْضِ الشَّـــامِ،

وَثَالِثًا صُحْبَةَ عَمْرِو بْنِ
العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
إِلَى بِلَادِ مِصْرَ، فَفَتَحَ
اللهُ لِلْجَيْشِ الشَّامِيِّ فِي
أَيَّامِهِ بُصْرَى وَدِمَشْقَ
وَمَخَالِيفِهِمَا مِنْ بِلَادِ
حَوْرَانَ وَمَا وَالَاهَا،

وَتَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ،
وَاخْتَارَ لَهُ مَا عِنْدَهُ
مِنَ الكَرَامَةِ، وَمَنَّ عَلَى
الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِأَنْ أَلْهَمَ
الصِّدِّيقَ أَنِ اسْتَخْلَفَ
عُمَرَ الفَارُوقَ، فَقَامَ
فِي الأَمْرِ بَعْدَهُ قِيَامًا

تَامًّـا، لَمْ يَـدُرِ الفُلْـكُ بَعْـدَ الأَنْبِيَـاءِ عَلَيْهِـمُ السَّـلَامُ عَـلَى مِثْلِـهِ، فِي قُـوَّةِ سِـيرَتِهِ وَكَـمَالِ عَدْلِـهِ.

وَتَـمَّ فِي أَيَّامِـهِ فَتْـحُ البِـلَادِ الشَّـامِيَّةِ بِكَمَالِهَـا،

وَدِيَارِ مِصْرَ إِلَى آخِرِهَا،

وَأَكْثَرِ إِقْلِيمِ فَارِسَ،

وَكَسَّرَ كِسْرَى وَأَهَانَهُ

غَايَةَ الهَوَانِ، وَتَقَهْقَرَ

إِلَى أَقْصَى مَمْلَكَتِهِ،

وَقَصَّرَ قَيْصَرَ، وَانْتَزَعَ

يَدَهُ عَنْ بِلَادِ الشَّامِ

فَانْحَازَ إِلَى قُسْطَنْطِينَةَ،
وَأَنْفَقَ أَمْوَالَهُمَا فِي سَبِيلِ
اللهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ
وَوَعَدَ بِهِ رَسُولُ اللهِ،
عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ أَتَمُّ
سَلَامٍ وَأَزْكَى صَلَاةٍ.
ثُمَّ لَمَّا كَانَتِ الدَّوْلَةُ

الْعُثْمَانِيَّـــةُ، امْتَـــدَّتِ

الْمَمَالِيـــكُ الإِسْـــلَامِيَّةُ

إِلَى أَقْـــصَى مَشَـــارِقِ

الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَـــا،

فَفُتِحَـــتْ بِـــلَادُ الْمَغْـــرِبِ

إِلَى أَقْـــصَى مَـــا هُنَالِـــكَ:

الأَنْدَلُـــسُ، وَقُـــبْرُصُ،

وَبِلَادُ القَيْرَوَانِ، وَبِلَادُ سَبْتَةَ مِمَّا يَلِي البَحْرَ المُحِيطَ، وَمِنْ نَاحِيَةِ المَشْرِقِ إِلَى أَقْصَى بِلَادِ الصِّينِ، وَقُتِلَ كِسْرَى، وَبَادَ مُلْكُهُ بِالكُلِّيَّةِ.

وَفُتِحَتْ مَدَائِنُ العِرَاقِ،

وَخُرَاسَانَ، وَالأَهْوَازِ، وَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ التُّرْكِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً جِدًّا، وَخَذَلَ اللهُ مَلِكَهُمُ الأَعْظَمَ خَاقَانَ، وَجُبِيَ الْخَرَاجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِلَى حَضْرَةِ

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ
عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ تِلَاوَتِهِ
وَدِرَاسَتِهِ وَجَمْعِهِ الأُمَّةَ
عَلَى حِفْظِ القُرْآنِ؛
وَهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ
عَنْ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -

أَنَّــهُ قَــالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَــارِقَهَا وَمَغَارِبَهَــا، وَسَــيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِــي مَــا زُوِيَ لِي مِنْهَــا». فَهَــا نَحْــنُ نَتَقَلَّــبُ فِيــمَا وَعَدَنَــا اللهُ وَرَسُــولُهُ، وَصَــدَقَ اللهُ وَرَسُــولُهُ».

١٠- دلائل صحة استخلاف الراشدين الأربعة في القرآن

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي

بَـــأْسٍ شَـــدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُـــمْ أَوْ يُسْـــلِمُونَ)؛ أَيْ: قُـــلْ لِهَـــؤُلَاءِ الأَعْـــرَابِ الَّذِيـــنَ تَخَلَّفُـــوا عَـــنِ الحُدَيْبِيَـــةِ: سَـــتُدْعَوْنَ إِلَى قِتَـــالِ قَـــوْمٍ أُولِي بَـــأْسٍ فِي القِتَـــالِ، وَنَجْـــدَةٍ فِي الحُـــرُوبِ.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، وَالحَسَنِ، وَابْنِ زَيْدٍ، قَالُوا: هُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ.

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةَ، قَالُوا: هُمْ بَنُو حَنِيفَةَ

مَـــعَ مُسَـــيْلِمَةَ الكَـــذَّابِ.

قَـــالَ القُرْطُبِـــيُّ: «فِي هَـــذِهِ الآيَـــةِ دَلِيـــلٌ عَـــلَى صِحَّـــةِ إِمَامَـــةِ أَبِي بَكْـــرٍ وَعُمَـــرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُـــمَا –؛ لِأَنَّ أَبَا بَكْـــرٍ دَعَاهُمْ إِلَى قِتَـــالِ بَنِي حَنِيفَـــةَ، وَعُمَـــرَ دَعَاهُمْ إِلَى

قِتَالِ فَارِسَ وَالرُّومِ».

وَكَمَا دَلَّتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَنَّهَا خِلَافَةٌ ارْتَضَاهَا اللهُ، كَذَلِكَ دَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ
لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ
لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا)، عَلَى

خِلَافَةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الأَرْبَعَةِ المَهْدِيِّينَ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ -.

قَالَ القُرْطُبِيُّ: قَالَ

الضَّحَّاكُ: هَذِهِ الآيَةُ تَتَضَمَّنُ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ الإِيمَانِ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: الخِلَافَةُ بَعْدِي

ثَلَاثُــونَ. وَإِلَى هَــذَا القَوْلِ ذَهَــبَ ابْــنُ العَــرَبِيِّ فِي أَحْكَامِــهِ، وَاخْتَــارَهُ، وَقَــالَ: قَــالَ عُلَمَاؤُنَــا: هَــذِهِ الآيَــةُ دَلِيــلٌ عَــلَى خِلَافَــةِ الخُلَفَــاءِ الأَرْبَعَــةِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُــمْ -، وَأَنَّ

اللهَ اسْتَخْلَفَهُمْ وَرَضِيَ أَمَانَتَهُمْ، وَكَانُوا عَلَى الدِّينِ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَقَدَّمْهُمْ أَحَدٌ فِي الفَضِيلَةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، فَاسْتَقَرَّ الأَمْرُ لَهُمْ، وَقَامُوا بِسِيَاسَةِ

الْمُسْلِمِينَ، وَذَبُّوا عَنْ
حَوْزَةِ الدِّينِ؛ فَنَفَذَ
الوَعْدُ فِيهِمْ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ
هَذَا الوَعْدُ لَهُمْ نَجَزَ،
وَفِيهِمْ نَفَذَ، وَعَلَيْهِمْ
وَرَدَ؛ فَفِي مَنْ يَكُونَ إِذًا،
وَلَيْسَ بَعْدَهُمْ مِثْلُهُمْ

إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَلَا يَكُونُ فِيمَا بَعْدَهُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ -. وَحَكَى هَذَا القَوْلَ القُشَيْرِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

١١- من إنجازات

خلافة الفاروق

رضي الله عنه –

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ –: (أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ

فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ:

هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ

مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ

حِبَّانَ وَغَيْرُهُ، وَقَالَ ابْنُ

حَجَرٍ: رِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يُرِدِ الدُّنْيَا وَلَمْ تُرِدْهُ، وَأَمَّا عُمَرُ فَأَرَادَتْهُ فَلَمْ يُرِدْهَا، وَأَمَّا نَحْنُ فَتَمَرَّغْنَا فِيهَا ظَهْرًا لِبَطْنٍ».

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي سِيرَةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فَتَحَ الْفُتُوحَ، وَمَصَّرَ الْأَمْصَارَ، وَجَنَّدَ الْأَجْنَادَ، وَكَوَّرَ الْكُوَرَ، مِثْلَ: السَّوَادِ، وَالْأَهْوَازِ، وَالْجِبَالِ،

وَفَارِسَ وَغَيْرِهَا، وَفَتَحَ
الشَّامَ كُلَّهُ، وَالجَزِيرَةَ
وَالمَوْصِلَ، وَمَيَّافَارِقِينَ،
وَآمِدَ، وَأَرْمِينِيَةَ،
وَمِصْرَ، وَإِسْكَنْدَرِيَّةَ،
وَمَاتَ وَعَسَاكِرُهُ
عَلَى بِلَادِ الرَّيِّ.

فَتَحَ مِنَ الشَّامِ

الْيَرْمُوكَ، وَبُصْرَى،

وَدِمَشْقَ، وَالْأُرْدُنَّ،

وَبَيْسَانَ، وَطَبَرِيَّةَ،

وَالْجَابِيَةَ، وَفِلَسْطِينَ،

وَالرَّمْلَةَ، وَعَسْقَلَانَ،

وَغَزَّةَ، وَالسَّوَاحِلَ،

وَالْقُدْسَ، وَفَتْحَ مِصْرَ،

وَإِسْكَنْدَرِيَّةَ، وَطَرَابُلُسَ

الْغَرْبِ، وَبَرْقَةَ، وَمِنْ

مُدُنِ الشَّامِ بَعْلَبَكَّ،

وَحِمْصَ، وَقِنَّسْرِينَ،

وَحَلَبَ، وَأَنْطَاكِيَةَ،

وَفَتْحَ الْجَزِيرَةَ، وَحَرَّانَ،

وَالرُّهَـــا، وَالرَّقَّـــةَ،

وَنَصِيبِـــينَ، وَرَأْسَ عَـــيْنٍ،

وَشِمْشَـــاطَ، وَعَـــيْنَ وَرْدَةَ،

وَدِيَـــارَ بَكْـــرٍ، وَدِيَـــارَ

رَبِيعَـــةَ، وَبِـــلَادَ المَوْصِـــلِ،

وَأَرْمِينِيَـــةَ جَمِيعَهَـــا.

وَبِالعِـــرَاقِ القَادِسِـــيَّةَ

وَالحِـــيرَةَ وَنَهْـــرَ سِـــيرَ،

وَسَـــابَاطَ، وَمَدَائِـــنَ

كِـــسْرَى، وَكُـــورَةَ

الْفُـــرَاتِ وَدِجْلَـــةَ،

وَالْأُبُلَّـــةَ، وَالْبَـــصْرَةَ،

وَالْأَهْـــوَازَ، وَفَـــارِسَ،

وَنَهَاوَنْـــدَ، وَهَمَـــذَانَ،

وَالـــرَّيَّ، وَقُومِـــسَ،

وَخُرَاسَـــانَ، وَإِصْطَخْـــرَ،

وَأَصْبَهَـــانَ، وَالسُّـــوسَ،

وَمَـــرْوَ، وَنَيْسَـــابُورَ،

وَجُرْجَـــانَ، وَأَذْرَبِيجَـــانَ،

وَغَـــيْرَ ذَلِـــكَ، وَقَطَعَـــتْ

جُيُوشُـــهُ النَّهْـــرَ مِـــرَارًا».

١٢- نماذج من زُهْد الفاروق وتَواضُعه ووَرَعه

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنْتُ مَعَ عُمَرَ فَدَخَلَ حَائِطًا

لِحَاجَتِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَخٍ بَخٍ، وَاللَّهِ لَتَتَّقِيَنَّ اللَّهَ بُنَيَّ الْخَطَّابِ، أَوْ لَيُعَذِّبَنَّكَ».

وَمِمَّا كَتَبَهُ ابْنُ كَثِيرٍ: «كَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ: كَفَى

بِالْمُوْتِ وَاعِظًا يَا عُمَرُ،
وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ
الْعِشَاءَ، ثُمَّ يَدْخُلُ
بَيْتَهُ، فَلَا يَزَالُ يُصَلِّي إِلَى
الْفَجْرِ، وَمَا مَاتَ حَتَّى
سَرَدَ الصَّوْمَ، وَكَانَ فِي
وَجْهِهِ خَطَّانِ أَسْوَدَانِ

مِـنَ الْبُـكَاءِ، وَكَانَ يَسْـمَعُ الْآيَـةَ مِـنَ الْقُرْآنِ فَيُغْشَـى عَلَيْـهِ، فَيُحْمَـلُ صَرِيعًا إِلَى مَنْزِلِـهِ، فَيُعَـادُ أَيَّامًـا لَيْـسَ بِـهِ مَـرَضٌ إِلَّا الْخَـوْفُ. وَقَـالَ عُمَـرُ: «لَا يَحِـلُّ لِي مِـنْ مَـالِ اللهِ إِلَّا حُلَّتَـانِ،

حُلَّـــةٌ لِلشِّـــتَاءِ، وَحُلَّـــةٌ لِلصَّيْـفِ، وَقُـوتُ أَهْـلِي.

وقَـالَ لِابْنِـهِ: يَـا عَبْـدَ اللهِ، وَاللهِ مَـا أُعْطِيكُـمْ إِلَّا مَـا فَـرَضَ اللهُ لَكُـمْ، أَتُرِيدُونَ مِنِّـي أَنْ أُعْطِيَكُـمْ مَا لَيْسَ لَكُـمْ، فَأَعُـودَ خَائِنًـا؟».

وَقَالَ أَنَسٌ: «خَطَبَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ، فِيهِ اثْنَا عَشَرَ رُقْعَةً».

لَقَدْ أَنْفَقَ عُمَرُ فِي حَجَّتِهِ سِتَّةَ عَشَرَ دِينَارًا، وَقَالَ لِابْنِهِ: قَدْ أَسْرَفْنَا،

وَكَانَ يُلْقِي كِسَاءَهُ عَلَى الشَّجَرِ وَيَسْتَظِلُّ تَحْتَهُ.

وَلَمَّا قَدِمَ الشَّامَ لِفَتْحِ بَيْتِ الْمُقْدِسِ كَانَ عَلَى جَمَلٍ أَوْرَقَ تَلُوحُ صَلْعَتُهُ لِلشَّمْسِ.

وَكَانَ فِي عَامِ الرَّمَادَةِ

لَا يَأْكُلُ إِلَّا الْخُبْزَ وَالزَّيْتَ حَتَّى اسْوَدَّ جِلْدُهُ، وَيَقُولُ: بِئْسَ الْوَالِي أَنَا إِنْ شَبِعْتُ وَالنَّاسُ جِيَاعٌ.

وَقَالَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: خَرَجَ عُمَرُ لَيْلَةً

فَدَخَلَ بَيْتًا، فَلَمَّا
أَصْبَحْتُ ذَهَبْتُ إِلَى
ذَلِكَ الْبَيْتِ، فَإِذَا
عَجُوزٌ عَمْيَاءُ مُقْعَدَةٌ،
فَقُلْتُ لَهَا: مَا بَالُ هَذَا
الرَّجُلِ يَأْتِيكِ؟ فَقَالَتْ:
إِنَّهُ يَتَعَاهَدُنِي مُدَّةَ

كَـذَا وَكَـذَا، يَأْتِينِـي بِـمَا يُصْلِحُنِـي، وَيُخْـرِجُ عَنِّـي الْأَذَى، فَقُلْـتُ لِنَفْـسِي: ثَكِلَتْـكَ أُمُّـكَ يَـا طَلْحَـةُ، أَعَثَـرَاتِ عُمَـرَ تَتَّبِـعُ؟.

وَقَـالَ أَسْـلَمُ: خَرَجْـتُ

لَيْلَةً مَعَ عُمَرَ إِلَى بَيْتِ شَعْرٍ، فَإِذَا فِيهِ امْرَأَةٌ تَمْخَضُ وَتَبْكِي، فَبَكَى عُمَرُ وَعَادَ يُهَرْوِلُ إِلَى بَيْتِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ أُمِّ كُلْثُومٍ: هَلْ لَكِ فِي أَجْرٍ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْكِ؟

وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، فَقَالَتْ:
نَعَمْ، فَحَمَلَ عَلَى ظَهْرِهِ
دَقِيقًا وَشَحْمًا، وَحَمَلَتْ
أُمُّ كُلْثُومٍ مَا يَصْلُحُ
لِلْوِلَادَةِ، فَدَخَلَتْ أُمُّ
كُلْثُومٍ عَلَى الْمَرْأَةِ،
وَجَلَسَ عُمَرُ مَعَ

زَوْجِهَا وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ.

وَقَالَ أَسْلَمُ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مَعَ عُمَرَ فَأَتَيْنَا امْرَأَةً وَصِبْيَانُهَا يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ، فَبَكَى عُمَرُ، وَرَجَعَ يُهَرْوِلُ إِلَى دَارِ الدَّقِيقِ،

فَأَخْرَجَ عِدْلًا مِنْ دَقِيقٍ وَجِرَابَ شَحْمٍ، وَقَالَ: يَا أَسْلَمُ احْمِلْهُ عَلَى ظَهْرِي، فَقُلْتُ: أَنَا أَحْمِلُهُ عَنْكَ، فَقَالَ: أَنْتَ تَحْمِلُ وِزْرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَحَمَلَهُ عَلَى

ظَهْـرِهِ وَانْطَلَقْنَـا إِلَى الْمَرْأَةِ،
وَأَخْـرَجَ مِـنَ الدَّقِيـقِ فِي
الْقِـدْرِ، وَأَلْقَـى عَلَيْـهِ مِـنَ
الشَّـحْمِ، وَجَعَـلَ يَنْفُـخُ
تَحْـتَ الْقِـدْرِ، وَالدُّخَـانُ
يَتَخَلَّـلُ لِحْيَتَـهُ سَـاعَةً،
ثُـمَّ أَنْزَلَهَـا عَـنِ النَّـارِ،

وَقَالَ: كُلُوا، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَالْمَرْأَةُ تَدْعُو لَهُ وَهِيَ لَا تَعْرِفُهُ.

وَقِيلَ: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدْ أَتْعَبْتَ الْخُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِكَ يَا عُمَرُ».

وَقَدْ أَبْـدَعَ حَافِـظُ إِبْرَاهِيمَ

فِي قَصِيدَتِـــهِ العُمَرِيَّـــةِ

يُصَـــوِّرُ سِـــيرَةَ عُمَـــرَ بْـــنِ

الخَطَّـــابِ، وَمِـــنْ دُرَرِهَـــا:

وَرَاعَ صَاحِـبَ كِسْرَى أَنْ

رَأَى عُمَـرًا ❊❊ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ

عُطْـــلًا وَهْـــوَ رَاعِيهَـــا

رَآهُ مُسْتَغْرِقًا فِي نَوْمِهِ

فَرَأَى ❊❊ فِيهِ الجَلَالَةَ

فِي أَسْمَى مَعَانِيهَا

فَوْقَ الثَّرَى تَحْتَ ظِلِّ

الدَّوْحِ مُشْتَمِلًا ❊❊ بِبُرْدَةَ

كَادَ طُولُ العَهْدِ يُبْلِيهَا

أَمِنْتَ لَمَّا أَقَمْتَ العَدْلَ

بَيْنَهُمُ ❊❊ فَنِمْتَ نَوْمَ

قَرِيرِ العَيْنِ هَانِيهَا

يَوْمَ اشْتَهَتْ زَوْجُهُ

الحَلْوَى فَقَالَ لَهَا

❊❊ مِنْ أَيْنَ لِي ثَمَنُ

الحَلْوَى فَأَشْرِيهَا

كَذَاكَ أَخْلَاقُهُ كَانَتْ

وَمَا عُهِدَتْ ❊❊ بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَخْلَاقٌ تُحَاكِيهَا

١٣- غَدْرُ المَجُوسِيِّ، واستشهاد الفاروق رضي الله عنه -

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ». رواه البخاري.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: «أَنَّ عُمَرَ لَمَّا أَفَاضَ مِنْ

مِنًى، أَنَاخَ بِالأَبْطَحْ،
فَكَوَّمَ كَوْمَةً مِنْ
بَطْحَاءَ، وَطَرَحَ عَلَيْهَا
طَرَفَ ثَوْبِهِ، ثُمَّ اسْتَلْقَى
عَلَيْهَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى
السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ
كَبُرَتْ سِنِّي، وَضَعُفَتْ

قُـوَّتِي، وَانْتَـشَرَتْ رَعِيَّتِي؛
فَاقْبِضْنِـي إِلَيْـكَ غَـيْرَ
مُضَيِّـعٍ وَلَا مُفَـرِّطٍ». قَـالَ
سَـعِيدٌ: «فَـمَا انْسَـلَخَ ذُو
الحِجَّـةِ حَتَّـى طُعِـنَ».
لَقَـدِ اسْـتَجَابَ اللهُ لِعُمَـرَ
هَـذَا الدُّعَـاءَ، فَطَعَنَـهُ أَبُـو

لُؤْلُـــؤَةَ فَـــيْرُوزُ الْمَجُـــوسِيُّ الْأَصْـــلِ، الرُّومِـــيُّ الـــدَّارِ، وَهُـــوَ يُصَـــلِّي صَـــلَاةَ الصُّبْـــحِ مِـــنْ يَـــوْمِ الْأَرْبِعَـــاءِ، لِأَرْبَـــعٍ بَقِـــينَ مِـــنْ ذِي الْحِجَّـــةِ سَـــنَةَ ثَـــلَاثٍ وَعِشْرِيـــنَ مِـــنَ

الهِجْـــرَةِ بِخِنْجَـــرٍ ذَاتِ
طَرَفَـــيْنِ، فَأَلْقَى عَلَيْـــهِ عَبْدُ
اللهِ بْـــنُ عَـــوْفٍ بُرْنُسًـــا،
فَانْتَحَـــرَ نَفْسَـــهُ قَبَّحَـــهُ اللهُ.
وَأَوْصَى عُمَـــرُ أَنْ يَكُـــونَ
الْأَمْـــرُ شُـــورَى بَعْـــدَهُ فِي
سِـــتَّةٍ، مِمَّـــنْ تُـــوُفِّيَ رَسُـــولُ

اللهَّ - ﷺ - وَهُوَ عَنْهُمْ
رَاضٍ، وَهُمْ عُثْمَانُ،
وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ،
وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ،
وَلَمْ يَذْكُرْ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ
الْعَدَوِيَّ فِيهِمْ؛ لِكَوْنِهِ

مِـــنْ قَبِيلَتِـــهِ، خَشْـــيَةَ أَنْ
يُرَاعَـــى فِي الْإِمَارَةِ بِسَـــبَبِهِ،
وَلَمْ يُـــوَلِّ ابْنَـــهُ عَبْـــدَ اللهِ
بْـــنَ عُمَـــرَ، وَكَانَ خَلِيقًـــا
بِالْخِلَافَـــةِ، وَمَـــاتَ رَضِيَ
اللهُ عَنْـــهُ بَعْدَ ثَـــلَاثٍ، رُوِيَ
عَـــنْ عَامِـــرٍ الشَّـــعْبِيِّ أَنَّـــهُ

تُـوُفِّيَ وَلَـهُ ثَلَاثٌ وَسِـتُّونَ سَـنَةً. وَدُفِـنَ فِي يَـوْمَ الْأَحَـدِ مُسْـتَهَلَّ الْمُحَـرَّمِ مِـنْ سَـنَةِ أَرْبَـعٍ وَعِشْرِينَ، بِالْحُجْـرَةِ النَّبَوِيَّـةِ، عَـنْ إِذْنِ أُمِّ الْمُؤْمِنِـينَ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَـا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ تَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ، وقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كُنْتُ

لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مع صَاحِبَيْكَ، وحَسِبْتُ إِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النبيَّ - ﷺ - يَقُولُ: ذَهَبْتُ أَنَا وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ، ودَخَلْتُ أَنَا وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ،

وخَرَجْتُ أَنَا وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ). متفق عليه.

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: حَكَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١٤- مبايعة ذي

النُّورَيْن عثمان بالخلافة

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ،

فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ،

فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي

بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو

بَكْرٍ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ،

وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ،

فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ

المِيزَانُ، فَرَأَيْنَا الكَرَاهِيَةَ

فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ).

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ،

وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ،

وَالنَّسَائِيُّ فِي «الكُبْرَى».

وَقَدْ دَلَّ الحَدِيثُ عَلَى

فَضْلِ هَؤُلَاءِ الأَئِمَّةِ

الثَّلَاثَةِ، وَتَرْتِيبِهِمْ فِي

الفَضْـــلِ وَالخِلَافَـــةِ.

وَفِي الصَّحِيحَـيْنِ عَـنِ ابْنِ عُمَـرَ، قَـالَ: «كُنَّـا نَقُـولُ وَرَسُـــولُ اللهِ ﷺ - حَـيٌّ: أَفْضَـلُ أُمَّـةِ النَّبِـيِّ - ﷺ - بَعْـدَهُ: أَبُـو بَكْـرٍ، ثُـمَّ عُمَـرُ، ثُـمَّ عُثْـمَانُ».

وَلَمَّا اسْتَهَلَّتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ، فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْهَا دُفِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بُوِيعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ بِالخِلَافَةِ، وَكَانَ عُمَرُ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ جَعَلَ
الْأَمْرَ بَعْدَهُ شُورَى بَيْنَ
سِتَّةِ نَفَرٍ؛ وَهُمْ: عُثْمَانُ
بْنُ عَفَّانَ، وَعَلِيُّ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ
عُبَيْدِ اللهِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ

الْعَوَّامِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَقَالَ لِأَهْلِ الشُّورَى: يَحْضُرُكُمْ عَبْدُ اللهِ - يَعْنِي ابْنَهُ لِلْمَشُورَةِ - وَلَا يُوَلَّى شَيْئًا.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:
مَا أَظُنُّ النَّاسَ يَعْدِلُونَ
بِعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ أَحَدًا.
وَيُرْوَى أَنَّ أَهْلَ الشُّورَى
جَعَلُوا الْأَمْرَ إِلَى عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ
لِيَجْتَهِدَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي

أَفْضَلِهِمْ لِيُوَلِّيَهُ، فَيُذْكَرُ أَنَّهُ سَأَلَ مَنْ يُمْكِنُهُ سُؤَالُهُ مِنْ أَهْلِ الشُّورَى وَغَيْرِهِمْ فَلَا يُشِيرُ إِلَّا بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ.

وَقَالَ لِعَلِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ

لَمْ أُوَلِّكَ، بِمَنْ تُشِيرُ بِهِ عَلَيَّ؟ قَالَ: بِعُثْمَانَ. وَقَالَ لِعُثْمَانَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أُوَلِّكَ بمن تُشِيرُ بِهِ؟ قَالَ: بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ، فَقَالَ: إِنَّمَا قَدْ

سَـأَلْتُ النَّاسَ عَنْكُـمَا فَلَمْ
أَجِـدْ أَحَـدًا يَعْـدِلُ بِكُـمَا
أَحَـدًا، وَقَـالَ لِعَـلِيٍّ رَضِيَ
اللهُ عَنْـهُ: إِنِّي قَـدْ نَظَـرْتُ
فِي أَمْـرِ النَّـاسِ فَلَـمْ أَرَهُمْ
يَعْدِلُـونَ بِعُثْـمَانَ. فَبَايَعَـهُ،
ثُـمَّ بَايَعَـهُ عَـلِيٌّ رَضِيَ اللهُ

عَنْـــهُ، وَبَايَعَـــهُ النَّـــاسُ.

قَـــالَ أَيُّـــوبُ السَّـــخْتِيَانِيُّ:

مَـــنْ لَمْ يُقَـــدِّمْ عُثْـــمَانَ

عَـــلَى عَـــلِيٍّ، فَقَـــدْ أَزْرَى

بِالْمُهَاجِرِيـــنَ وَالْأَنْصَـــارِ.

١٥- فتوحـــات في عهـــد

عثمان – رضي الله عنه –

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ:

(دَخَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ –

عَلَى ابْنَةِ مِلْحَانَ، فَاتَّكَأَ

عِنْدَهَا، ثُمَّ ضَحِكَ

فَقالَتْ: لِمَ تَضْحَكُ يَا

رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: نَاسٌ
مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ البَحْرَ
الأَخْضَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ،
وَفِي لَفْظٍ: «غُزَاةً فِي
سَبِيلِ اللهِ»، مَثَلُهُمْ مَثَلُ
المُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ،
فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ،

ادْعُ اللهَّ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مِنْهُمْ). متفق عليه.

لَقَدِ اتَّسَعَتِ الدَّوْلَةُ الإِسْلَامِيَّةُ بَدْءًا مِنَ انْطِلَاقِ غَزَوَاتِ وَسَرَايَا مُؤَسِّسِهَا رَسُولِ اللهِ –

ﷺ - ثُمَّ جَاءَ عَهْدُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -، فَرَدَّ شَارِدَ الجَزِيرَةِ وَلَمَّ وَارِدَهَا مِنْ بِلَادِ الفُرْسِ وَالرُّومِ، وَفِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ

الخَطَّـــابِ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، خَلِيفَـــةِ خَلِيفَـــةِ رَسُـــولِ اللهِ - ﷺ - أَكْمَـلَ الفَتْـحَ الإِسْـــلَامِيَّ فِي الأَرَاضِي السَّاسَـــانِيَّةِ، وَالأَرَاضِي البِيزَنْطِيَّـةِ وَمِـصْرَ، وَجُـزْءٍ مِـنْ شَـمَالِ إِفْرِيقِيَّـةَ، وَلَمَّـا

بُوِيعَ ذُو النُّورَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ بِإِقَامَةِ دِينِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ - ﷺ -، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَاسْتَرْجَعَ مَا تَفَلَّتَ مِنْ

بِـــلَادِ الإِمْبَرَاطُورِيَّتَـــيْنِ
الْمُتَرَنِّحَـةِ بِسَـبَبِ ثَوْرَاتِهَـا،
وَأَحْكَـمَ الْقَبْضَـةَ عَلَيْهَـا،
وَغَـــزَا مَـــنْ مَنَـــعَ مَـــا
صَالَحُـــوا عَلَيْـــهِ الْخَلِيفَـــةَ
عُمَـــرَ بْـــنَ الْخَطَّـــابِ
رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، وَنَقَضُـــوا

العَهْـــدَ؛ كَأَذْرَبِيجَـــانَ،

وَأَرْمِينِيَـــةَ، وَالـــرَّيِّ،

وَالإِسْـــكَنْدَرِيَّةِ، وَتَوَسَّـــعَ

فِي الفُتُوحَاتِ الإِسْـــلَامِيَّةِ،

حَيْـــثُ سَـــيَّرَ الجُيُـــوشَ

البَرِّيَّـــةَ وَالبَحْرِيَّـــةَ؛ لِإِعَادَةِ

مَـــا ضَمَّـــهُ الفَـــارُوقُ عُمَـــرُ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ الجَزِيرَةِ
الفُرَاتِيَّةِ، وَالتَّوَغُّلِ
فِيهَا لِلْوُصُولِ لِأَنْحَاءِ
أَرْمِينِيَةَ وَإِخْضَاعِهَا
عَنْوَةً أَوْ صُلْحًا، وَغَزْوِ
بِلَادِ المَغْرِبِ وَإِفْرِيقِيَّةَ
وَغَيْرِهَا، فَفُتِحَتْ

إِفْرِيقِيَّـــةُ، وَقَتَـــلَ عَبْـــدُ اللهِ بْـــنُ الزُّبَـــيْرِ جُرْجِـــيرَ مَلِـــكَ البَرْبَـــرِ، وَفُتِحَـــتِ الأَنْدَلُـــسُ، وَسُـــورِيَّةُ، وَطَبَرِسْـــتَانُ، وَغَيْرُهَـــا.

وَقَـــدْ رَكِـــبَ مُعَاوِيَـــةُ بْـــنُ

أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِجَيْشٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْبَحْرَ، وَهُوَ الْمَعْنِيُّ فِي الْحَدِيثِ: (نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ الأَخْضَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ)، فَفَتَحَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللهُ

عَنْهُ قُبْرُصَ، وَمَعَهُ عُبَادَةُ
بْنُ الصَّامِتِ، وَزَوْجَتُهُ
أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ مِلْحَانَ
الَّتِي تَقَدَّمَ حَدِيثُهَا،
فَوَقَعَتْ عَنْ بَغْلَتِهَا
فَمَاتَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا،
وَلَمَّا جِيءَ بِالْأُسَارَى

جَعَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ: أَتَبْكِي وَهَذَا يَوْمٌ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ؟! فَقَالَ: وَيْحَكَ! إِنَّ هَذِهِ كَانَتْ أُمَّةً قَاهِرَةً لَهُمْ مُلْكٌ، فَلَمَّا

ضَيَّعُوا أَمْرَ اللهِ صَيَّرَهُمْ إِلَى مَا تَرَى. وَقَالَ: مَا أَهْوَنَ الْعِبَادَ عَلَى اللهِ تَعَالَى إِذَا تَرَكُوا أَمْرَهُ!

١٦- من إنجازات خلافة عثمان

رضي الله عنه –

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: (إِذَا هَلَكَ كِسْرَى، فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ،

وَالَّـــذِي نَفْـــسُ مُحَمَّـــدٍ
بِيَـــدِهِ، لَتُنْفَقَـــنَّ كُنُوزُهُمَا فِي
سَـــبِيلِ اللهِ). متفـــق عليـــه.
وَقَـــدْ تَحَقَّـــقَ مَـــا أَخْـــبَرَ
بِـــهِ الصَّـــادِقُ المَصْـــدُوقُ.
فَكِـــسْرَى لَقَـــبٌ لِـــكُلِّ
مَـــنْ وَلِيَ مَمْلَكَـــةَ الفُـــرْسِ،

وَقَيْصَرُ لَقَبٌ لِكُلِّ مَنْ
وَلِيَ مَمْلَكَةَ الرُّومِ، وَنُقِلَ
عَنِ الشَّافِعِيِّ، أَنَّ الْمُرَادَ:
لَا يَبْقَى كِسْرَى بِالعِرَاقِ،
وَلَا قَيْصَرُ بِالشَّامِ.
وَقَدْ قُتِلَ «يَزِدْجَرْدُ»
وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ الفُرْسِ

فِي الدُّنْيَا عَلَى الإِطْلَاقِ

فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ

اللهُ عَنْهُ، وَفُتِحَتِ الشَّامُ

فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ

الخَطَّابِ، وَوَطَّدَ فَتْحَهَا

وَاسْتَكْمَلَ بَاقِيَهَا:

عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَقِيلَ الحِكْمَةُ فِي أَنَّ قَيْصَرَ بَقِيَ مُلْكُهُ - وَإِنَّمَا ارْتَفَعَ مِنَ الشَّامِ وَمَا وَالَاهَا - وَكِسْرَى ذَهَبَ مُلْكُهُ: أَنَّ قَيْصَرَ لَمَّا جَاءَهُ كِتَابُ النَّبِيِّ - ﷺ - قَبَّلَهُ، وَكَادَ أَنْ يُسْلِمَ، وَكِسْرَى لَمَّا

أَتَاهُ كِتَابُ النَّبِيِّ - ﷺ - مَزَّقَهُ، فَدَعَا النَّبِيُّ - ﷺ - أَنْ يُمَزَّقَ مُلْكُهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ، فَكَانَ كَذَلِكَ.

وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا، فَاعْلَمْ - يَا رَعَاكَ اللهُ! - أَنَّ مُدَّةَ خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً، فَهُوَ أَطْوَلُ الخُلَفَاءِ الأَرْبَعَةِ مُدَّةً، وَقَدْ حَصَلَ فِي خِلَافَتِهِ إِنْجَازَاتٌ عَظِيمَةٌ، حَسْبُكَ الفُتُوحَاتُ الإِسْلَامِيَّةُ الكَثِيرَةُ، وَمَا حَصَلَ مِنَ

الخُــرُوجِ عَلَيْــهِ، وَفِتْنَــةِ قَتْلِــهِ رَضِيَ اللهُ عَنْــهُ، لَا يَطْعَنُ فِي شَرْعِيَّــةِ خِلَافَتِهِ، وَلَا فِي كَفَــاءَةِ سِيَاسَــتِهِ.

وَقَــدْ أَشَــارَتِ الأَحَادِيــثُ إِلَى شَرْعِيَّةِ خِلَافَــةِ الخُلَفَاءِ

الثَّلَاثَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، عَلَى التَّرْتِيبِ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ: أُرِيَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ نِيطَ بِرَسُولِ اللهِ - ﷺ -، وَنِيطَ عُمَرُ

بِـأَبِي بَكْـرٍ، وَنِيـطَ عُثْـمَانُ بِعُمَـرَ، قَـالَ جَابِـرٌ: فَلَـمَّا قُمْنَـا مِـنْ عِنْدِ رَسُـولِ اللهِ - ﷺ -، قُلْنَـا: أَمَّا الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَرَسُولُ اللهِ - ﷺ -، وَأَمَّـا تَنَـوُّطُ بَعْضِهِـمْ بِبَعْـضٍ، فَهُـمْ وُلَاةُ هَـذَا

الأَمْـرِ الَّـذِي بَعَـثَ اللهُ بِـهِ نَبِيَّـهُ - ﷺ -). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُـو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّـانَ، وَقَـوَّاهُ الحَاكِـمُ.

وَعَـنْ أَنَـسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ، قَـالَ: (صَعِـدَ النَّبِـيُّ - ﷺ - أُحُـدًا

وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ،
وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ،
وَقَالَ: «اُسْكُنْ أُحُدُ،
فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ،
وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ).
رَوَاهُ البُخَارِيُّ.
وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ

اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي
زَمَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - لَا
نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا،
ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ،
ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ
النَّبِيِّ - ﷺ - لَا نُفَاضِلُ
بَيْنَهُمْ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَبْلُغُ النَّبِيَّ - ﷺ - فَلَا يُنْكِرُهُ، وَحِينَئِذٍ فَيَكُونُ هَذَا التَّفْضِيلُ ثَابِتًا بِالنَّصِّ.

١٧- من فضائل

عثمان رضي الله عنه –

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ – دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «اِئْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ

بِالجَنَّـــةِ»، فَـــإِذَا أَبُـــو بَكْـــرٍ،
ثُـــمَّ جَـــاءَ آخَـــرُ يَسْـــتَأْذِنُ،
فَقَـــالَ: «اِئْـــذَنْ لَـــهُ وَبَـــشِّرْهُ
بِالجَنَّـــةِ»، فَـــإِذَا عُمَـــرُ،
ثُـــمَّ جَـــاءَ آخَـــرُ يَسْـــتَأْذِنُ
فَسَـــكَتَ هُنَيْهَـــةً، ثُـــمَّ
قَـــالَ: «اِئْـــذَنْ لَـــهُ وَبَـــشِّرْهُ

بِالجَنَّـــةِ عَـــلَى بَلْـــوَى
سَـــتُصِيبُهُ»، فَـــإِذَا عُثْـــمَانُ
بْـــنُ عَفَّـــانَ). متفـــق عليـــه.
هَـــذَا الحَدِيـــثُ عَلَـــمٌ مِـــنْ
أَعْـــلَامِ النُّبُـــوَّةِ، فَقَـــدِ
انْتَظَـــمَ عِقْـــدُ الخِلَافَـــةِ
عَـــلَى هَـــذَا التَّرْتِيـــبِ، وَقَـــدْ

أَشَـــارَتِ الأَحَادِيـــثُ إِلَى
شَرْعِيَّـــةِ هَـــذَا التَّسَلْسُـــلِ،
وَلَقَـــدْ حَصَلَـــتِ البَلْـــوَى
فِي آخِـــرِ أَيَّـــامِ خِلَافَـــةِ
عُثْـــمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، فَقَدْ
أُثِـــيرَتْ حَوْلَـــهُ شُـــبُهَاتٌ
شَـــيْطَانِيَّةٌ نَاقِمَـــةٌ ظَالِمَـــةٌ

خَاطِئَـــةٌ، وَقَـــدْ أَجَـــابَ عَنْهَـــا شَـــيْخُ الإِسْـــلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّـــةَ - رَحِمَـــهُ اللهُ - فِي كِتَابِـــهِ «مِنْهَـــاجُ السُّـــنَّةِ».

وَلِزَوْجِ بِنْتَيْ رَسُـــولِ اللهِ - ﷺ - ذِي النُّورَيْـــنِ عُثْـــمَانَ بْـــنِ عَفَّـــانَ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ،

مَنَاقِبُ كَبِيرَةٌ، وَفَضَائِلُ كَثِيرَةٌ، حَسْبُكَ قَوْلُ الصَّحَابِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - بِأَلْفِ دِينَارٍ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ

«يَعْنِي غَزْوَةَ تَبُوكَ» فَيَنْثُرُهَا فِي حِجْرِهِ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: (مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ - مَرَّتَيْنِ).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: «بَابُ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو القُرَشِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ». فَحَفَرَهَا

عُثْمَانُ، وَقَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ». فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي،

كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -، وَسَوَّى ثِيَابَهُ - فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ».

١٨- عثمان رضي الله عنه المُقَنَّع المقتول ظُلْمًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ -

يَقُولُ: (إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَاخْتِلَافٌ، أَوِ اخْتِلَافٌ وَفِتْنَةٌ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالأَمِينِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَشَارَ إِلَى عُثْمَانَ).

رَوَاهُ الحَاكِمُ، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

لَقَدْ نَقِمَ أُنَاسٌ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَثَارُوا حَوْلَهُ الشُّبُهَاتِ الجَائِرَةَ، فَسُفِكَ دَمُهُ بِسَبَبِهَا،

وَقُتِلَ شَهِيدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، يَكْشِفُونَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ، وَيُوَجِّهُونَ الثَّائِرِينَ؛ لِيَعُودُوا إِلَى رُشْدِهِمْ.

رَوَى البُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى

عُثْمَانَ هُوَ ابْنُ مَوْهَبٍ،
قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ مِنْ
أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ،
فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا،
فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟
فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ،
قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟

قَالُوا: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ،
قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ،
إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ
فَحَدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ
عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟
قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ
أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ

وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ،
قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ
عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ
يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ،
قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ ابْنُ
عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ،
أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ،

فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ

رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَسَهْمَهُ»، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عُثْمَانَ،

وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ». فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ»،

فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ».

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مُرَّةَ البَهْزِيُّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -، إِذْ مَرَّ عُثْمَانُ

بْنُ عَفَّانَ مُرَجِّلًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «لَتَخْرُجَنَّ فِتْنَةٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ، أَوْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْ هَذَا، يَوْمَئِذٍ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ عَلَى الْهُدَى». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَقَدْ صُحِّحَ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - فِتْنَةً، فَمَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ: «يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا الْمُقَنَّعُ يَوْمَئِذٍ مَظْلُومًا»، قَالَ: (فَنَظَرْتُ فَإِذَا

هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ).

رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ حُسِّنَ.

١٩- رَدُّ الشُّبُهات عن عثمان رضي الله عنه -

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ

السُّلَمِيِّ، قَالَ: لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ دَارِهِ ثُمَّ قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حِرَاءَ حِينَ انْتَفَضَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -

-: أُثْبُتْ حِرَاءُ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ: مَنْ يُنْفِقُ نَفَقَةً

مُتَقَبَّلَـةً، وَالنَّـاسُ مُجْهَدُونَ
مُعْـسِرُونَ، فَجَهَّـزْتُ
ذَلِـكَ الجَيْـشَ؟ قَالُـوا:
نَعَـمْ، ثُـمَّ قَـالَ: أُذَكِّرُكُـمْ
بِاللهِ، هَـلْ تَعْلَمُـونَ أَنَّ بِئْرَ
رُومَـةَ لَمْ يَكُنْ يَـشْرَبُ مِنْهَا
أَحَـدٌ إِلَّا بِثَمَـنٍ، فَابْتَعْتُهَـا

فَجَعَلْتُهَا لِلْغَنِيِّ وَالفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. وَأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

وَعِنْدَمَا حَاصَرَ الثُّوَّارُ

الْمُعْتَدُونَ بَيْتَ عُثْمَانَ
بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
حَاوَرَهُمْ لِيَكْشِفَ الشُّبَهَ
الْمُثَارَةَ حَوْلَهُ وَمَا نَقَمُوا
عَلَيْهِ فِيهِ مِنْ سِيَاسَةٍ،
وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَكَانَتَهُ
وَمَنْزِلَتَهُ فِي الإِسْلَامِ،

وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَتَوَرَّعَ عَنْ قِتَالِهِمْ، وَلَمَّا جَاءَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لِيُدَافِعُوا عَنْهُ، قَالَ: «أَعْزِمُ عَلَى مَنْ كَانَ لَنَا عَلَيْهِ سَمْعٌ وَطَاعَةٌ

لَمَّا كَفَّ يَدَهُ وَسِلَاحَهُ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ: (ادْعُوا لِي - أَوْ لَيْتَ عِنْدِي - رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي، قَالَتْ: لَيْتَ أَبُو بَكْرٍ؟

قَـالَ: لَا، قُلْـتُ: عُمَـرُ؟
قَـالَ: لَا، قُلْـتُ: فَعُثْـمَانُ؟
قَـالَ: نَعَـمْ، قَالَـتْ: فَجَاءَ
عُثْـمَانُ، فَقَـالَ: قُومِـي،
قَـالَ: فَجَعَـلَ النَّبِيُّ - ﷺ
- يُـسِرُّ إِلَى عُثْـمَانَ، وَلَـوْنُ
عُثْـمَانَ يَتَغَـيَّرُ، قَـالَ: فَلَـمَّا

كَانَ يَوْمُ الدَّارِ قُلْنَا: أَلَا تُقَاتِلُ؟ قَالَ: لَا، إِنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - عَهِدَ إِلَيَّ أَمْرًا فَأَنَا صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ وَالذَّهَبِيُّ

وَالبُوصِيرِيّ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَهْلَةَ؛ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: (يَا عُثْمَانُ،

إِنَّـــهُ لَعَـــلَّ اللهَّ يُقَمِّصُـــكَ قَمِيصًـــا، فَـــإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلعِـــهِ فَـــلَا تَخْلَعْـــهُ لَهُـــمْ).

رَوَاهُ التِّرْمِـــذِيُّ وَحَسَّـــنَهُ، وَصَحَّحَـــهُ غَـــيْرُهُ. أَيْ: لَا تَسْـــتَجِبْ لِمَطْلَبِهِـــمْ بِـــأَنْ تَعْـــزِلَ نَفْسَـــكَ؛ لِأَنَّكَ عَلَى

الحَقِّ، وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ، وَأَنْتَ عَلَى الهِدَايَةِ، وَهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ.

وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ، وَأَحْمَدُ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: (قَالَ

لِي عُثْمَانُ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ: مَا تَرَى فِيمَا أَشَارَ بِهِ عَلَيَّ الْمُغِيرَةُ بْنُ الأَخْنَسِ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْكَ؟ قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمَ يُرِيدُونَ خَلْعِي، فَإِنْ خُلِعْتُ

تَرَكُــونِي، وَإِنْ لَمْ أُخْلَــعْ
قَتَلُــونِي، قَــالَ: قُلْــتُ:
أَرَأَيْــتَ إِنْ خُلِعْــتَ تُــتْرُكُ
مُخَلَّــدًا فِي الدُّنْيَــا؟ قَــالَ:
لَا، قَــالَ: فَهَــلْ يَمْلِكُــونَ
الجَنَّــةَ وَالنَّــارَ؟ قَــالَ: لَا،
قَــالَ: فَقُلْــتُ: أَرَأَيْــتَ

إِنْ لَمْ تُخْلَعْ هَلْ يَزِيدُونَ عَلَى قَتْلِكَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَلَا أَرَى أَنْ تَسُنَّ هَذِهِ السُّنَّةَ فِي الإِسْلَامِ، كُلَّمَا سَخِطَ قَوْمٌ عَلَى أَمِيرِهِمْ خَلَعُوهُ، لَا تَخْلَعْ قَمِيصًا قَمَّصَكَهُ اللهُ).

٢٠- استشهاد عثمان رضي الله عنه -

جَاءَ فِي (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ) لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ،

وَسَاقَ بِإِسْنَادِهِ إِلَى عَمْرَةَ بِنْتِ أَرْطَاةَ العَدَوِيَّةِ، قَالَتْ: «خَرَجْتُ مَعَ عَائِشَةَ سَنَةَ قُتِلَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَمَرَرْنَا بِالْمَدِينَةِ وَرَأَيْنَا الْمُصْحَفَ الَّذِي قُتِلَ وَهُوَ فِي حِجْرِهِ،

فَكَانَتْ أَوَّلُ قَطْرَةٍ قَطَرَتْ مِنْ دَمِهِ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، قَالَتْ عَمْرَةُ: فَمَا مَاتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ سَوِيًّا». وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي

الزُّهْدِ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ:
«ثَبَتَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ».
وَنَشَأَ بِمِصْرَ طَائِفَةٌ
مِنْ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ
يُؤَلِّبُونَ النَّاسَ عَلَى
حَرْبِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ
عَنْهُ، وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ،

وَيَنْقِمُونَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ.

وَذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، نَاظَرَهُمْ فِي عُثْمَانَ، وَسَأَلَهُمْ مَاذَا يَنْقِمُونَ عَلَيْهِ؟ فَذَكَرُوا أَشْيَاءَ مِنْهَا: أَنَّهُ حَمَى الْحِمَى،

وَأَنَّــهُ حَــرَقَ الْمَصَاحِــفَ،

وَأَنَّــهُ أَتَــمَّ الصَّــلَاةَ،

وَأَنَّــهُ وَلَّى الأَحْــدَاثَ،

أَعْطَــى الوِلَايَــاتِ، وَتَــرَكَ

الصَّحَابَــةَ الأَكَابِــرَ، وَأَنَّــهُ

أَعْطَــى بَنِــي أُمَيَّــةَ أَكْثَــرَ

مِــنَ النَّــاسِ. فَأَجَــابَ عَلِيٌّ

عَنْ ذَلِكَ: أَمَّا الحِمَى فَإِنَّمَا حَمَاهُ لِإِبِلِ الصَّدَقَةِ لِتَسْمُنَ، وَلَمْ يَحْمِهِ لِإِبِلِهِ وَلَا لِغَنَمِهِ، وَقَدْ حَمَاهُ عُمَرُ مِنْ قَبْلِهِ. وَأَمَّا الْمُصَاحِفُ فَإِنَّمَا حَرَقَ مَا وَقَعَ فِيهِ اخْتِلَافٌ،

وَأَبْقَى لَهُمُ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهِ،
كَمَا ثَبَتَ فِي الْعَرْضَةِ
الْأَخِيرَةِ، وَأَمَّا إِتْمَامُهُ
الصَّلَاةَ بِمَكَّةَ، فَإِنَّهُ كَانَ
قَدْ تَأَهَّلَ بِهَا وَنَوَى
الْإِقَامَةَ فَأَتَمَّهَا، وَأَمَّا
تَوْلِيَتُهُ الْأَحْدَاثَ فَلَمْ

يُــوَلِّ إِلَّا رَجُــلًا سَــوِيًّا
عَــدْلًا، وَقَــدْ وَلَّى رَسُــولُ
اللهَّ - ﷺ - عَتَّــابَ بْــنَ
أُسَــيدٍ عَــلَى مَكَّــةَ وَهُــوَ
ابْــنُ عِشْرِيــنَ سَــنَةً، وَوَلَّى
أُسَــامَةَ بْــنَ زَيْــدِ بْــنِ
حَارِثَــةَ، وَطَعَــنَ النَّاسُ فِي

إِمَارَتِـهِ، فَقَـالَ: إِنَّـهُ لَخَلِيقٌ بِالإِمَـارَةِ، وَأَمَّـا إِيثَـارُهُ قَوْمَـهُ بَنِـي أُمَيَّةَ، فَقَـدْ كَانَ رَسُـولُ اللهِ - ﷺ - يُؤْثِـرُ قُرَيْشًـا عَلَى النَّـاسِ، وَوَاللهِ لَـوْ أَنَّ مِفْتَـاحَ الْجَنَّـةِ بِيَدِي لَأَدْخَلْـتُ بَنِي أُمَيَّـةَ إِلَيْهَا.

وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ
فِي عَمَّارٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي
بَكْرٍ، فَذَكَرَ عُثْمَانُ عُذْرَهُ
فِي ذَلِكَ، وَأَنَّهُ أَقَامَ فِيهِمَا
مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمَا.
وَعَتَبُوا عَلَيْهِ فِي إِيوَائِهِ
الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ،

وَقَدْ نَفَاهُ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - إِلَى الطَّائِفِ، فَذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - كَانَ قَدْ نَفَاهُ إِلَى الطَّائِفِ ثُمَّ رَدَّهُ، ثُمَّ نَفَاهُ إِلَيْهَا، قَالَ: فَقَدْ نَفَاهُ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - ثُمَّ رَدَّهُ،

وَرُوِيَ أَنَّ عُثْمَانَ خَطَبَ النَّاسَ بِهَذَا كُلِّهِ بِمَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَجَعَلَ يَسْتَشْهِدُ بِهِمْ فَيَشْهَدُونَ لَهُ فِيمَا فِيهِ شَهَادَةٌ لَهُ، وَاعْتَذَرَ وَاسْتَغْفَرَ. فَبَكَى الْمُسْلِمُونَ أَجْمَعُونَ،

وَحَصَلَ لِلنَّاسِ رِقَّةٌ شَدِيدَةٌ عَلَى إِمَامِهِمْ. ثُمَّ إِنَّ الخَوَارِجَ مِنْ أَهْلِ الأَمْصَارِ حَاصَرُوا عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فِي دَارِهِ، فَقَالَ عُثْمَانُ - لِلَّذِينَ عِنْدَهُ فِي

الـــدَّارِ، مِـــنْ الْمُهَاجِرِيـــنَ
وَالْأَنْصَـــارِ، وَأَعْيَـــانِ
الصَّحَابَـــةِ، وَأَبْنَائِهِـــمْ،
وَهُـــمْ جَـــمٌّ غَفِـــيرٌ -:
أُقْسِـــمَ عَـــلَى مَـــنْ لِي عَلَيْـــهِ
حَـــقٌّ أَنْ يَكُـــفَّ يَـــدَهُ، وَأَنْ
يَنْطَلِـــقَ إِلَى مَنْزِلِـــهِ، وَقَـــالَ

لِرَقِيقِهِ: مَنْ أَغْمَدَ سَيْفَهُ فَهُوَ حُرٌّ. وَلَوْ تَرَكَهُمْ لَمَنَعُوهُ. فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، فَمَاتَ شَهِيدًا حَمِيدًا.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: «لُعِنَتْ

قَتَلَــةُ عُثْــمَانَ، خَرَجُــوا
عَلَيْــهِ كَاللُّصُــوصِ مِــنْ
وَرَاءِ الْقَرْيَــةِ، فَقَتَلَهُــمُ
اللهُ كُلَّ قِتْلَــةٍ، وَنَجَــا مَــنْ
نَجَــا مِنْهُــمْ تَحْــتَ بُطُــونِ
الْكَوَاكِــبِ»؛ يَعْنِــي
هَرَبُــوا لَيْــلًا، وَأَكْثَــرُ

الْمُسْلِمِينَ كَانُوا غَائِبِينَ،
وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
الْحَاضِرِينَ لَمْ يَكُونُوا
يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ
قَتْلَهُ حَتَّى قَتَلُوهُ. وَأَمَّا
السَّاعُونَ فِي قَتْلِهِ فَكُلُّهُمْ
مُخْطِئُونَ؛ بَلْ ظَالِمُونَ

بَاغُونَ مُعْتَدُونَ».

٢١- موت الخلفاء الثلاثة بالمدينة

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -:

(مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا؛ فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

وَصَحَّحَهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ عَبْدِ الهَادِي.

لَقَدْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالمَدِينَةِ، وَهُوَ الَّذِي أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ؛ مِنْهُمْ: عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَسْلَمَ قَدِيمًا.

وَقُتِلَ بِالمَدِينَةِ شَهِيدًا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، وَكَانَ بَابًا مُغْلَقًا دُونَ الفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ البَحْرِ، دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ حُذَيْفَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، فَكُسِرَ البَابُ - وَهُوَ

اغْتِيَالُـهُ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ –،
فَوَقَعَـتِ الفِتَـنُ بَعْـدَهُ.
وَعَـنْ عُـرْوَةَ بْـنِ قَيْـسٍ،
قَـالَ: «خَطَبَنَـا خَالِـدُ بْـنُ
الوَلِيـدِ، فَقَـالَ رَجُـلٌ مِـنْ
تَحْتِـهِ: اصْـبِرْ أَيُّهَـا الأَمِـيرُ،
فَـإِنَّ الفِتَـنَ قَـدْ ظَهَـرَتْ،

فَقَالَ خَالِدٌ: أَمَا وَابْنُ الخَطَّابِ حَيٌّ فَلَا، وَإِنَّمَا ذَاكَ بَعْدَهُ». وَقَدْ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَبْصَرَ رَسُولُ الله - ﷺ - عَلَى عُمَرَ ثَوْبًا، فَقَالَ:

أَجَدِيدٌ ثَوْبُكَ أَمْ غَسِيلٌ؟ قَالَ: بَلْ غَسِيلٌ، قَالَ: اِلْبَسْ جَدِيدًا، وَعِشْ حَمِيدًا، وَمُتْ شَهِيدًا، وَأَظُنُّهُ قَالَ: وَيَرْزُقُكَ اللهُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ

وَابْنُ مَاجَهْ، ثُمَّ قَالَ النَّسَائِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، أَنْكَرَهُ يَحْيَى القَطَّانُ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «قُلْتُ: رِجَالُ إِسْنَادِهِ وَاتِّصَالُهُ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحَيْنِ. وَقَدْ وَقَعَ مَا

أَخْبَرَ بِهِ فِي هَذَا الحَدِيثِ؛
فَإِنَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
قُتِلَ شَهِيدًا وَهُوَ قَائِمٌ
يُصَلِّي الفَجْرَ فِي مِحْرَابِهِ
مِنَ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ».
وَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ
عَنْهُ، ظَهَرَتِ الفِتْنَةُ،

وَبِدَايَتُهَا خُرُوجُ الخَوَارِجِ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ الخَلِيفَةُ الثَّالِثُ؛ لِيَنْتَظِمَ عِقْدُ الخِلَافَةِ الَّذِي طَالَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ - فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ فِي تَسْبِيحِ الحَصَا فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذِهِ خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ».

وَلَمَّا قَدِمَتِ الجُيُوشُ

مِنَ الأَمْصَارِ إِلَى المَدِينَةِ

لِنُصْرَةِ الخَلِيفَةِ عُثْمَانَ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَدْ

حَاصَرَ دَارَهُ نَحْوُ أَلْفَيْ

مُقَاتِلٍ مِنَ الخَوَارِجِ،

فَلَمَّا سَمِعُوا بِقُدُومِ

ذَلِكَ الزَّحْفِ بَادَرُوا بِالدُّخُولِ عَلَيْهِ، فَقَتَلُوهُ فِي مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -، (أَلَا لَعْنَةُ اللهُ عَلَى الظَّالِمِينَ).

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قَتَلْتُـــمْ وَلِيَّ اللهِ فِي جَـــوْفِ

دَارِهِ ❊ وَجِئْتُـــمْ بِأَمْـــرٍ

جَائِـــرٍ غَـــيْرِ مُهْتَـــدِ

فَهَـــلَّا رَعَيْتُـــمْ ذِمَّـــةَ اللهِ

بَيْنَكُـــمْ ❊ وَأَوْفَيْتُـــمُ

بِالعَهْـــدِ عَهْـــدِ مُحَمَّـــدِ؟!

فَـــلَا ظَفِـــرَتْ أَيْـــمَانُ قَـــوْمٍ

تَبَايَعُوا ❊ عَلَى قَتْلِ
عُثْمَانَ الرَّشِيدِ الْمُسَدَّدِ
وَقَالَ حَسَّانُ أَيْضًا:
ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ
السُّجُودِ بِهِ ❊ يُقَطِّعُ
اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنَا
قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَدْ

رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، أَنَّهُ صَلَّى بِالقُرْآنِ العَظِيمِ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ عِنْدَ الحَجَرِ الأَسْوَدِ، أَيَّامَ الحَجِّ، وَقَدْ كَانَ هَذَا مِنْ دَأْبِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وَلِهَذَا رُوِّينَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ

قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ)، قَالَ: هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٢٢- نبوءات تحققت في عهد عثمان رضي الله عنه -

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ - ﷺ - ذَاتَ غَدَاةٍ بَعْدَ طُلُوعِ

الشَّمْسِ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ قَبْلَ الفَجْرِ كَأَنِّي أُعْطِيتُ المَقَالِيدَ وَالمَوَازِينَ، فَأَمَّا المَقَالِيدُ فَهَذِهِ المَفَاتِيحُ، وَأَمَّا المَوَازِينُ فَهِيَ الَّتِي يُوزَنُ بِهَا، فَوُضِعْتُ فِي كَفَّةٍ، وَوُضِعَتْ أُمَّتِي

فِي كَفَّةٍ، فَوُزِنْتُ بِهِمْ
فَرَجَحْتُ، ثُمَّ جِيءَ بِأَبِي
بَكْرٍ فَوُزِنَ فَوَزَنَ بِهِمْ،
ثُمَّ جِيءَ بِعُمَرَ فَوُزِنَ
فَوَزَنَ بِهِمْ، ثُمَّ جِيءَ
بِعُثْمَانَ فَوُزِنَ فَوَزَنَ بِهِمْ،
ثُمَّ رُفِعَتْ». رَوَاهُ أَحْمَدُ،

وَوَثَّقَ رِجَالَهُ الهَيْثَمِيُّ، وَصَحَّحَهُ غَيْرُهُ.

وَرَوَى يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «ثُمَّ وُضِعَ عُثْمَانُ فِي كَفَّةٍ

وَأُمَّتِي فِي كَفَّةٍ، فَعَدَلَهَا».

وَرَوَى البَزَّارُ عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ - ﷺ -: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ - يَعْنِي فِي الخِلَافَةِ -.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا

إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، ثُمَّ ذَكَرَ تَعْقِيبَ البَزَّارِ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَمَّا تُوُفِّيَ عُمَرُ بَايَعْنَا خَيْرَنَا وَلَمْ نَأْلُ.

وَعَنِ المُهَلَّبِ بْنِ أَبِي

صُفْـــرَةَ، قَـــالَ: قَـــالَ أَصْحَـــابُ رَسُـــولِ اللهِ - ﷺ -: لَمْ يَتَـــزَوَّجْ رَجُـــلٌ مِـــنَ الأَوَّلِـــينَ وَالآخِرِيـــنَ ابْنَتَـــيْ نَبِـــيٍّ غَـــيْرُهُ. رَوَاهُ ابْـــنُ عَسَـــاكِرَ. وَقَـــدْ وَرَدَتْ أَحَادِيـــثُ

كَثِيرَةٌ فِي فَضْلِ
عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «لَا يَصِحُّ
عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ
أَنَّهُ رَضِيَ بِقَتْلِ عُثْمَانَ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بَلْ كُلُّهُمْ
كَرِهَهُ، وَمَقَتَهُ، وَسَبَّ

مَـــنْ فَعَلَـــهُ». فَفَتَـــحَ اللهُ
عَـــلَى يَدَيْـــهِ كَثِـــيرًا مِـــنَ
الأَقَالِيـــمِ وَالأَمْصَـــارِ،
وَتَوَسَّـــعَتِ المَمْلَكَـــةُ
الإِسْـــلَامِيَّةُ، وَامْتَـــدَّتِ
الدَّوْلَـــةُ المُحَمَّدِيَّـــةُ،
وَبُلِّغَـــتِ الرِّسَـــالَةُ

الْمُصْطَفَوِيَّةُ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَظَهَرَ لِلنَّاسِ مِصْدَاقُ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ

كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ
لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى
لَهُمْ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا)، وَقَوْلِهِ
تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى

وَدِيـنِ الحَـقِّ لِيُظْهِـرَهُ عَلَى الدِّيـنِ كُلِّـهِ وَلَـوْ كَـرِهَ الْمُشْرِكُـونَ)، وَقَوْلِهِ - ﷺ -: «إِذَا هَلَـكَ قَيْـصَرُ فَـلَا قَيْـصَرَ بَعْـدَهُ، وَإِذَا هَلَـكَ كِـسْرَى فَـلَا كِـسْرَى بَعْـدَهُ، وَالَّـذِي نَفْـسِي

بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ». متفق عليه.

وَهَذَا كُلُّهُ تَحَقَّقَ وُقُوعُهُ وَتَأَكَّدَ وَتَوَطَّدَ فِي زَمَانِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَعَنْ أَبِي حَبِيبَةَ، أَنَّهُ دَخَلَ الدَّارَ وَعُثْمَانُ

مَحْصُورٌ فِيهَا، وَأَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَسْتَأْذِنُ عُثْمَانَ فِي الكَلَامِ فَأَذِنَ لَهُ، فَقَامَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّكُمْ تَلْقَوْنَ بَعْدِي

فِتْنَـةً وَاخْتِلَافًـا - أَوْ قَالَ: اخْتِلَافًـا وَفِتْنَـةً - فَقَـالَ لَـهُ قَائِـلٌ مِـنَ النَّـاسِ: فَمَـنْ لَنَـا يَـا رَسُـولَ اللهِ؟ قَـالَ: عَلَيْكُـمْ بِالأَمِـينِ وَأَصْحَابِـهِ، وَهُـوَ يُشِـيرُ إِلَى عُثْـمَانَ بِذَلِـكَ». قَـالَ

ابْنُ كَثِيرٍ: تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ حَسَنٌ.

وَرَوَى أَحْمَدُ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ، فَقَالَ: «إِنَّكَ إِمَامُ الْعَامَّةِ، وَقَدْ نَزَلَ بِكَ

مَـــا تَـــرَى، وَإِنِّي أَعْـــرِضُ عَلَيْـــكَ خِصَـــالًا ثَلَاثًـــا اخْـــتَرْ إِحْدَاهُـــنَّ؛ إِمَّـــا أَنْ تَخْـــرُجَ فَتُقَاتِلَهُـــمْ، فَـــإِنَّ مَعَكَ عَـــدَدًا وَقُـــوَّةً، وَأَنْتَ عَـــلَى الحَـــقِّ وَهُـــمْ عَـــلَى البَاطِـــلِ ... فَقَـــالَ عُثْـــمَانُ:

أَمَّـــا أَنْ أَخْـــرُجَ فَأُقَاتِـــلَ، فَلَـــنْ أَكُـــونَ أَوَّلَ مَـــنْ خَلَفَ رَسُـــولَ اللهِ - ﷺ - فِي أُمَّتِـــهِ بِسَـــفْكِ الدِّمَـــاءِ».

٢٣- مبايعـــة عـــلي، ومطالبـــة معاويـــة بـــدم

عثمان رضي الله عنهم –
عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ
اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله –
ﷺ – أَشْرَفَ عَلَى أُطُمٍ
مِنْ آطَامِ المَدِينَةِ، فَقَالَ:
(هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟
إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ

خِـلَالَ بُيُوتِكُـمْ كَمَوَاقِـعِ
القَطْـرِ). متفـق عليـه.
وَقَـدْ تَحَقَّـقَ مَـا أَخْـبَرَ
بِـهِ الْمُصْطَفَـى - ﷺ -،
حَيْـثُ أَشْـعَلَ فَتِيـلَ الفِتَنِ
الخَـوَارِجُ؛ بِخُرُوجِهِـمْ
عَـلَى عُثْـمَانَ بْـنِ عَفَّـانَ

رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، وَقَتْلِـــهِ.

لَقَـــدْ قُتِـــلَ عُثْـــمَانُ رَضِيَ

اللهُ عَنْـــهُ، يَـــوْمَ الجُمُعَـــةِ،

لِثَـــمَانِ عَـــشْرَةَ خَلَـــتْ

مِـــنْ ذِي الحِجَّـــةِ،

سَـــنَةَ خَمْسَـــةٍ وَثَلَاثِـــينَ.

وَفِي ذَلِـــكَ اليَـــوْمِ اخْتَـــارَ

النَّاسُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي
طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
فَهُوَ أَفْضَلُ الأُمَّةِ بَعْدَ
أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ،
وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: لَا
يَصْلُحُ لَهَا إِلَّا عَلِيٌّ،
فَامْتَنَعَ مِنْ إِجَابَتِهِمْ إِلَى

قَبُولِ الإِمَارَةِ حَتَّى أَلَحُّوا عَلَيْهِ، وَجَاءُوا مَعَهُمْ بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ هَذَا الأَمْرَ لَا يُمْكِنُ بَقَاؤُهُ بِلَا أَمِيرٍ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَجَابَ.

فَبَايَعَهُ مِنَ الغَدِ عَامَّةُ
النَّاسِ إِلَّا القَلِيلَ، ثُمَّ
طَلَبَ مِنْهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ
وَرُءُوسُ الصَّحَابَةِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، الأَخْذَ
بِدَمِ عُثْمَانَ، مِمَّنْ قَتَلَهُ
مِنَ الخَوَارِجِ، فَاعْتَذَرَ

إِلَيْهِمْ بِأَنَّ لَهُمْ مَدَدًا وَأَعْوَانًا، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ ذَلِكَ يَوْمَهُ هَذَا.

وَامْتَنَعَ طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ عَنْ مُبَايَعَةِ نُوَّابِهِ فِي الأَمْصَارِ، قَالُوا: لَا نُبَايِعُ حَتَّى نَقْتُلَ قَتَلَةَ

عُثْمَانَ، وَانْتَشَرَتِ الفِتْنَةُ،
وَاخْتَلَفَتِ الكَلِمَةُ،
وَافْتَرَقَتِ الأُمَّةُ، وَأَذْكَى
نَارَهَا الخَوَارِجُ خَوْفًا
مِنْ وَحْدَةِ الصَّفِّ
وَاجْتِمَاعِ الكَلِمَةِ.
وَكَانَ عَلَى الشَّامِ مُعَاوِيَةُ

بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَامَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعَهُ يُحَرِّضُونَ النَّاسَ عَلَى الْمُطَالَبَةِ بِدَمِ عُثْمَانَ.

وَقَامَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ

اللهُ عَنْهَا فِي مَكَّةَ، وَقَدِ
اجْتَمَعَ فِيهَا خَلْقٌ مِنْ
سَادَاتِ الصَّحَابَةِ،
وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ،
فَحَثَّتِ النَّاسَ عَلَى
الْمُطَالَبَةِ بِدَمِ عُثْمَانَ،
وَذَكَرَتْ مَا افْتَاتَ بِهِ

أُولَئِكَ مِنْ قَتْلِهِ مَظْلُومًا
فِي بَلَدٍ حَرَامٍ وَشَهْرٍ
حَرَامٍ، وَلَمْ يُرَاقِبُوا جِوَارَ
رَسُولِ اللهِ - ﷺ -، وَقَدْ
سَفَكُوا الدِّمَاءَ، وَأَخَذُوا
الأَمْوَالَ، فَاسْتَجَابَ
النَّاسُ لَهَا، وَخَرَجُوا

مَعَهَا إِلَى البَصْرَةِ.

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، أَنَّ عَائِشَةَ لَمَّا أَتَتْ عَلَى الحَوْأَبِ فَسَمِعَتْ نِبَاحَ الكِلَابِ، فَقَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً، إِنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ

لَنَا: «أَيَّتُكُنَّ يَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الحَوْأَبِ؟، فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ: تَرْجِعِينَ؟ عَسَى اللهُ أَنْ يُصْلِحَ بِكِ بَيْنَ النَّاسِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: هَذَا إِسْنَادٌ عَلَى شَرْطِ

الصَّحِيحَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

وَرَوَاهُ البَزَّارُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -:

«لَيْتَ شِعْرِي، أَيُّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الجَمَلِ الأَدِيبِ، تَسِيرُ حَتَّى تَنْبَحَهَا كِلَابُ

الحَوْأَبِ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ». ثُمَّ قَالَ: لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا بِهَذَا الإِسْنَادِ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَهَذَا كُلُّهُ وَقَعَ فِي أَيَّامِ الجَمَلِ،

وَقَدْ نَدِمَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُرُوجِهَا».

٢٤- حقيقة الخلاف بين أصحاب الجَمَل وصِفِّين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ

عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ). متفق عليه.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَهَاتَانِ الْفِئَتَانِ هُمَا أَصْحَابُ

الْجَمَـــلِ، وَأَصْحَـــابُ
صِفِّـــينَ، فَإِنَّهُـــمَا جَمِيعًـــا
يَدْعُـــونَ إِلَى الْإِسْـــلَامِ،
وَإِنَّـــمَا يَتَنَازَعُـــونَ فِي
شَيْءٍ مِـــنْ أُمُـــورِ الْمُلْـــكِ،
وَمُرَاعَـــاةِ الْمَصَالِـــحِ
الْعَائِـــدِ نَفْعُهَـــا عَـــلَى الْأُمَّـــةِ

وَالرَّعَايَا، وَكَانَ تَرْكُ الْقِتَالِ أَوْلَى مِنْ فِعْلِهِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ الصَّحَابَةِ». انتهى.

وَالَّذِي يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ - أَسْلَمَ لِقَلْبِهِ، وَأَتْقَى لِرَبِّهِ - أَنْ يَتَرَضَّى عَنْ

أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ وَمَنْ

كَانَ مَعَهَا مِنَ الصَّحَابَةِ

كَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ،

وَيَتَرَضَّى عَنِ الْخَلِيفَةِ

عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ

كَانَ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ

كَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ،

وَيَتَرَضَّى عَنْ خَالِ
الْمُؤْمِنِينَ، وَكَاتِبِ الوَحْيِ
الأَمِينِ، وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفيَانَ،
قَائِدِ أَنْصَارِهِ الشَّامِيِّينَ
فِي مَكَانِ صِفِّينَ، وَمَنْ
مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ

كَعَمْرِو بْنِ العَاصِ،
وَيَتَرَضَّى عَمَّنْ تَوَقَّفَ
وَاعْتَزَلَ الفَرِيقَيْنِ كَسَعْدِ
بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ
اللهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا؛ فَكُلٌّ
عَمِلَ بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ
اجْتِهَادُهُ وَتَأْوِيلُهُ، وَكَانُوا

جَمِيعًا أَهْلًا لِلاجْتِهَادِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: (إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ،

وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ).

وَالخُلَاصَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا خَرَجَتْ مِنْ مَكَّةَ قَاصِدَةً وَمَنْ مَعَهَا البَصْرَةَ؛ لِيَأْخُذُوا بِدَمِ عُثْمَانَ، وَيُعَاقِبُوا

الظَّلَمَةَ الْمُعْتَدِينَ،

وَكَانَتْ فِي هَوْدَجٍ عَلَى

جَمَلٍ لَهَا، فَتَبِعَهُمْ عَلِيُّ بْنُ

أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

وَمَنْ مَعَهُ، فَخَرَجَ مِنَ

الْمَدِينَةِ قَاصِدًا الْبَصْرَةَ؛

لِيَحْمِيَ وَيَمْنَعَ عَائِشَةَ

رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَمَنْ كَانَ مَعَهَا، مِنَ الدُّخُولِ فِي قِتَالٍ لَيْسَ هَذَا وَقْتَهُ لِتَفَرُّقِ الأُمَّةِ، وَكُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مَا يُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَالأُلْفَةَ وَالجَمَاعَةَ.

وَمَحَلُّ الخِلَافِ: أَنَّ عَلِيًّا سَيَأْخُذُ بِدَمِ عُثْمَانَ مِمَّنْ قَتَلَهُ، لَكِنْ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ لَهُ الأُمُورُ، وَتَجْتَمِعُ عَلَى كَلِمَتِهِ الأُمَّةُ، دَرْءًا لِلْمَفْسَدَةِ،

وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، وَمَنْ مَعَهُمْ أَيَّامَ الجَمَلِ، يُرِيدُونَ مُعَاقَبَةَ قَتَلَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فِي الحَالِ، مُرَاعَاةً لِلْمَصْلَحَةِ، فَالأَمْرُ لَا

يَحْتَمِلُ التَّأْجِيلَ، وَهُوَ مَحَلُّ الخِلَافِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ أَيَّامَ صِفِّينَ، رَضِيَ اللهُ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَلَمْ يَكُنْ مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

تَنَازُعًا عَلَى الْمُلْكِ،
وَلَكِنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
لَمَّا بَايَعَهُ النَّاسُ بِالْخِلَافَةِ
لِفَضْلِهِ وَسَابِقَتِهِ، وَلِأَنَّهُ
أَحَقُّ النَّاسِ بِالْبَيْعَةِ مِنْ
كُلِّ وَجْهٍ: كَاتَبَ أُمَرَاءَ
الأَمْصَارِ لِيُبَايِعُوهُ؛

حِفْظًا لِلْأُمَّةِ مِنَ النِّزَاعِ
وَالضَّيَاعِ، وَلِذَا بَعْدَ أَنْ
شَيَّعَ عَائِشَةَ عَائِدَةً إِلَى
مَكَّةَ، ذَهَبَ إِلَى الشَّامِ
لِيُبَايِعَهُ أَمِيرُهَا مُعَاوِيَةُ،
وَيَأْبَى الخَوَارِجُ قَتَلَةُ
عُثْمَانَ، فِي يَوْمِ الجَمَلِ،

وَيَـــوْمِ صِفِّـــينَ، إِلَّا أَنْ يُوقِـدُوا نَـارَ الحَـرْبِ بَـيْنَ الصُّفُـــوفِ؛ خَوْفًـــا مِـــنْ وَحْـدَةِ الصَّـــفِّ وَاجْتِـمَاعِ الكَلِمَـةِ، فَيُقْتَـصُّ مِنْهُـــمْ.

وَقَـدِ اتَّفَـقَ صَالِـحُ الأُمَّةِ، سَـــابِقُهَا وَلَاحِقُهَـــا، عَـــلَى

أَنَّ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الإِمْسَاكَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ.

٢٥- وجوب الكَفِّ عما شَجَر بين الصحابة رضي الله عنهم - قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ

اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ

جَـاءُوا مِـن بَعْدِهِـمْ
يَقُولُـونَ رَبَّنَـا اغْفِـرْ لَنَـا
وَلِإِخْوَانِنَـا الَّذِينَ سَـبَقُونَا
بِالْإِيـمَانِ وَلَا تَجْعَـلْ فِي
قُلُوبِنَـا غِـلًّا لِّلَّذِيـنَ آمَنُـوا
رَبَّنَـا إِنَّـكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ).
لَقَـدْ خَـصَّ اللهُ الصَّحَابَـةَ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، بِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ - ﷺ -، وَبِسَبْقِهِمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَشُهُودِ الغَزَوَاتِ مَعَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -، وَحُضُورِ نُزُولِ الوَحْيِ، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ،

وَأَنَّهُمْ أَكْمَلُ النَّاسِ
إِيمَانًا وَإِخْلَاصًا وَعِلْمًا
وَنُصْحًا، وَتَبْلِيغًا لِلقُرْآنِ
وَالحَدِيثِ، وَنَشْرًا
لِلْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَفَتْحًا
لِلْبُلْدَانِ، وَدَعْوَةً إِلَى اللهِ،
وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ

وَمُوَاجَهَةٍ فَخَارِجٌ أَكْثَرُهُ عَنِ اخْتِيَارِهِمْ، وَصَادِرٌ عَنْ تَأْوِيلٍ وَاجْتِهَادٍ، وَهَفْوَةُ أَحَدِهِمْ مَغْمُورَةٌ فِي بَحْرِ حَسَنَاتِهِ، فَلَا يَحِلُّ جَعْلُهُمْ غَرَضًا لِلْأَلْسِنَةِ.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ

أُمَّـــةٌ قَـــدْ خَلَـــتْ لَهَـــا
مَـــا كَسَـــبَتْ وَلَكُـــمْ مَـــا
كَسَـــبْتُمْ وَلا تُسْـــأَلونَ
عَـــمَّا كَانُـــوا يَعْمَلُـــونَ).
وقَـــالَ مُحَمَّـــدُ بْـــنُ
سِـــيرِينَ: «هَاجَـــتِ الْفِتْنَـــةُ
وَأَصْحَـــابُ رَسُـــولِ اللَّهِ –

ﷺ - عَشَرَاتُ الأُلُوفِ، فَلَمْ يَحْضُرْهَا مِنْهُمْ مِائَةٌ، بَلْ لَمْ يَبْلُغُوا ثَلَاثِينَ».

رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ لِشُعْبَةَ: إِنَّ أَبَا شَيْبَةَ

رَوَى عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: «شَهِدَ صِفِّينَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ سَبْعُونَ رَجُلًا، فَقَالَ: كَذَبَ أَبُو شَيْبَةَ، وَاللَّهِ لَقَدْ ذَاكَرْنَا الْحَكَمَ فِي ذَلِكَ، فَمَا وَجَدْنَاهُ شَهِدَ

صِفِّينَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ غَيْرُ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ شَهِدَهَا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَكَذَا أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ،

قَالَـــهُ شَـــيْخُنَا الْعَلَّامَـــةُ

ابْـــنُ تَيْمِيَّـــةَ فِي كِتَـــابِ الرَّدِّ

عَـــلَى الرَّافِضَـــةِ - وَرَوَى

ابْـــنُ بَطَّـــةَ بِإِسْـــنَادِهِ عَـــنْ

بُكَـــيْرِ بْـــنِ الْأَشَـــجِّ، أَنَّـــهُ

قَـــالَ: أَمَـــا إِنَّ رِجَـــالًا مِـــنْ

أَهْـــلِ بَـــدْرٍ لَزِمُـــوا بُيُوتَهُـــمْ

بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ، فَلَمْ
يَخْرُجُوا إِلَّا إِلَى قُبُورِهِمْ.
وَذَكَرَ شَيْخُ الإِسْلَامِ
ابْنُ تَيْمِيَّةَ أَنَّ الإِمَامَ
أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ لَمَّا
ذُكِرَ لَهُ قِتَالُ عَلِيٍّ مَعَ
طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِمْ

مِـــنَ الصَّحَابَـــةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُـــمْ، قَـــالَ: «إِنِّي لَسْـــتُ مِـــنْ حَرْبِهِـــمْ فِي شَيْءٍ»؛ يَعْنِـــي أَنَّ مَـــا تَنَـــازَعَ فِيـــهِ عَـــلِيٌّ وَإِخْوَانُـــهُ لَا أَدْخُـــلُ بَيْنَهُـــمْ فِيـــهِ؛ لِمَـــا بَيْنَهُـــمْ مِـــنَ الاجْتِهَـــادِ وَالتَّأْوِيـــلِ

الَّـذِي هُـمْ أَعْلَمُ بِـهِ مِنِّي،
وَلَيْـسَ ذَلِـكَ مِنْ مَسَـائِلِ
العِلْـمِ الَّتِـي تَعْنِينِـي،
حَتَّـى أَعْـرِفَ حَقِيقَـةَ
حَـالِ كُلِّ وَاحِـدٍ مِنْهُـمْ،
وَأَنَـا مَأْمُـورٌ بِالاسْـتِغْفَارِ
لَهُـمْ، وَأَنْ يَكُـونَ قَلْبِـي

لَهُمْ سَلِيمًا، وَمَأْمُورٌ
بِمَحَبَّتِهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ،
وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ
وَالفَضَائِلِ مَا لَا يُهْدَرُ.
فَالوَاجِبُ عَلَى أَهْلِ
الإِسْلَامِ الكَفُّ عَمَّا
حَصَلَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ،

وَأَنْ نُطَهِّرَ أَلْسِنَتَنَا وَقُلُوبَنَا كَمَا طَهَّرَ اللهُ أَيْدِيَنَا.

قِيلَ لِـ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ: مَا رَأْيُكَ فِي أَهْلِ الجَمَلِ وَأَهْلِ صِفِّينَ؟ قَالَ: «تِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ مِنْهَا

سُيُوفَنَا، أَفَلَا نُطَهِّرُ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ أَلْسِنَتَنَا؟!».

٢٦- علي ﷺ رضي الله عنه ﷺ أدنى الطائفتين إلى الحق

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ

النَّبِـــيِّ – ﷺ – قَـــالَ:

«تَـــدُورُ رَحَـــى الإِسْـــلَامِ لِخَمْـــسٍ وَثَلَاثِـــينَ، أَوْ سِـــتٍّ وَثَلَاثِـــينَ، أَوْ سَـــبْعٍ وَثَلَاثِـــينَ، فَـــإِنْ يَهْلَكُـــوا فَسَـــبِيلُ مَـــنْ هَلَـــكَ، وَإِنْ يَقُـــمْ لَهُـــمْ دِينُهُـــمْ يَقُـــمْ لَهُمْ

سَبْعِينَ عَامًا». قُلْتُ: أَمِمَّا بَقِيَ أَوْ مِمَّا مَضَى؟ قَالَ: «مِمَّا مَضَى». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ نَحْوَهُ، وَصَحَّحَهُ غَيْرُهُ.

قَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فِي أَيَّامِ الجَمَلِ، جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ: «إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، دَارَتْ رَحَى الإِسْلَامِ وَرَبِّ الكَعْبَةِ». وَأَيَّامُ صِفِّينَ كَانَتْ

فِي شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ، ثُمَّ المُحَرَّمِ، وَبَعْدَهُ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ.

وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي يَوْمِ الجَمَلِ وَفِي يَوْمِ صِفِّينَ أَقْرَبُ إِلَى الحَقِّ؛ لِأَنَّهُ الخَلِيفَةُ

الشَّرْعِيُّ الَّذِي بَايَعَهُ النَّاسُ فِي المَدِينَةِ، وَرَضِيَ بِبَيْعَتِهِ مَنْ كَانَ خَارِجَهَا، وَتَوَقَّفَ القَلِيلُ عَنْ مُبَايَعَتِهِ، حَتَّى يُقَاتِلَ قَتَلَةَ عُثْمَانَ، وَيُسَلِّمَ مَنِ انْضَمَّ إِلَى عَسْكَرِهِ

وَاخْتَلَطَ بِجُنُودِهِ مِنْهُمْ.

وَلَمْ يَرَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ هَذَا أَمْرٌ هَيِّنٌ فِي ظِلِّ فُرْقَةِ الْمُسْلِمِينَ، إِثْرَ الفِتْنَةِ فِي آخِرِ عَهْدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَيُؤَيِّدُ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ

عَنْـهُ، أَدْنَـى الطَّائِفَتَـيْنِ إِلَى
الحَـقِّ - كَـمَا فِي صَحِيـحِ
مُسْـلِمٍ، مِـنْ حَدِيـثِ أَبِي
سَـعِيدٍ - مَـا جَـاءَ عَـنْ
أَبِي حَـزْمٍ المَـازِنِيِّ، قَـالَ:
شَـهِدْتُ عَلِيًّـا وَالزُّبَـيْرَ
حِـينَ تَوَافَقَـا - يَعْنِـي فِي

يَـوْمِ الجَمَـلِ - فَقَـالَ لَـهُ عَـلِيٌّ: يَـا زُبَـيْرُ! أَنْشُـدُكَ اللهَ، أَسَـمِعْتَ رَسُـولَ اللهِ - ﷺ - يَقُـولُ: «إِنَّـكَ تُقَاتِلُنِـي وَأَنْـتَ ظَـالِمٌ»؟ قَـالَ: نَعَـمْ! لَمْ أَذْكُـرْهُ إِلَّا فِي مَوْقِفِـي

هَـذَا، ثُـمَّ انْـصَرَفَ. رَوَاهُ أَبُـو يَعْـلَى، وَالبَيْهَقِـيُّ.

قَـالَ ابْـنُ كَثِـيرٍ: «وَقَـدْ قِيـلَ: إِنَّـهُ إِنَّـمَا رَجَـعَ عَـنِ القِتَـالِ لَمَّـا رَأَى عَـمَّارًا مَـعَ عَـلِيٍّ، وَقَـدْ سَـمِعَ رَسُـولَ اللهِ - ﷺ - يَقُـولُ لِعَـمَّارٍ:

«تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ»،
فَخَشِيَ أَنْ يُقْتَلَ عَمَّارٌ فِي
هَذَا اليَوْمِ. وَعِنْدِي أَنَّ
الحَدِيثَ الَّذِي أَوْرَدْنَاهُ
إِنْ كَانَ صَحِيحًا عَنْهُ،
فَمَا رَجَعَهُ سِوَاهُ».
قَالَ: وَرَوَى البَيْهَقِيُّ عَنِ

ابْــنِ مَسْــعُودٍ، سَــمِعْتُ رَسُــولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: (إِذَا اخْتَلَــفَ النَّــاسُ كَانَ ابْــنُ سُــمَيَّةَ مَــعَ الحَــقِّ).

وَمَعْلُــومٌ أَنَّ عَــمَّارًا كَانَ فِي جَيْــشِ عَــلِيٍّ يَــوْمَ صِفِّــينَ، وَقَتَلَــهُ أَصْحَــابُ مُعَاوِيَــةَ

مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى قَتْلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَفْنَادِ النَّاسِ. انتهى.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -:

(وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ

الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ)، قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ، وَخَرَّجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: «قَالَ
الْعُلَمَاءُ: هَذَا الْحَدِيثُ
حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ فِي أَنَّ
عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
كَانَ مُحِقًّا مُصِيبًا،
وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى
بُغَاةٌ، لَكِنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ،

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ».

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ:

«الْمُجْتَهِدُ الْمُخْطِئُ إِذَا قَاتَلَ عَلَى مَا يَرَى أَنَّهُ الْحَقُّ قَاصِدًا إِلَى اللهِ تَعَالَى بِنِيَّتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ بِأَنَّهُ مُخْطِئٌ؛ فَهُوَ فِئَةٌ

بَاغِيَـةٌ، وَإِنْ كَانَ مَأْجُورًا».

وَقَـالَ شَـيْخُ الإِسْـلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّـةَ: «ثُمَّ إِنَّ عَـمَّارًا تَقْتُلُهُ الفِئَـةُ البَاغِيَـةُ، لَيْـسَ نَصًّا فِي أَنَّ هَـذَا اللَّفْـظَ لِمُعَاوِيَـةَ وَأَصْحَابِـهِ؛ بَلْ يُمْكِـنُ أَنَّهُ أُرِيـدَ بِـهِ تِلْـكَ العِصَابَـةُ

الَّتِي حَمَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَتْهُ، وَهِيَ طَائِفَةٌ مِنَ العَسْكَرِ، وَمَنْ رَضِيَ بِقَتْلِ عَمَّارٍ كَانَ حُكْمُهُ حُكْمَهَا، وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّهُ كَانَ فِي العَسْكَرِ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَتْلِ عَمَّارٍ:

كَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، وَغَيْرِهِ، بَلْ كُلُّ النَّاسِ كَانُوا مُنْكِرِينَ لِقَتْلِ عَمَّارٍ، حَتَّى مُعَاوِيَةُ وَعَمْرٌو». انتهى.

وَمِمَّا يَجْدُرُ إِيرَادُهُ هُنَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ

طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ
فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى
الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي
تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ
اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا
بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا

﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾.

فَسَمَّاهُمْ جَمِيعًا مُؤْمِنِينَ.

أَلَا وَإِنَّ التَّأْوِيلَ السَّائِغَ عُذْرٌ، وَالشُّبْهَةُ القَوِيَّةُ تَدْرَأُ التَّكْفِيرَ وَالتَّفْسِيقَ، وَالفِتْنَةُ إِذَا أَقْبَلَتِ اشْتَبَهَتْ،

وَإِذَا أَدْبَـــرَتِ اسْـــتَبَانَتْ.

٢٧- عـــلي - رضي الله عنـــه - هـــو رابـــع الخلفـــاء الراشـــدين ثَبَـــتَ فِي الصَّحِيحَـــيْنِ وَغَيْرِهِمَـا عَـنْ جَمَاعَـةٍ مِـنَ

التَّابِعِينَ، أَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: لَا! وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ

وَبَـرَأَ النَّسَـمَةَ ... الأَثَـر.

وَلَا يَثْبُـتُ حَدِيـثٌ بِـأَنَّ

النَّبِـيَّ - ﷺ - عَهِـدَ

بِالخِلَافَـةِ مِـنْ بَعْـدِهِ لِعَـلِيِّ

بْـنِ أَبِي طَالِـبٍ رَضِيَ اللهُ

عَنْـهُ، وَلَا أَوْصَى الصَّحَابَةَ

بِذَلِـكَ، وَمَـا رُوِيَ فِي

هَـذَا كُلِّـهِ - مِـنْ وَضْـعِ الرَّوَافِـضِ وَأَكَاذِيبِهِـمْ، وَالشِّـيعَةِ وَالنَّوَاصِـبِ، وَمَـنْ عَـلَى شَـاكِلَتِهِمْ مِـنْ أَهْـلِ الأَهْـوَاءِ - أَكَاذِيـبُ عَـلَى الصَّحَابَـةِ، وَتَشْـوِيهٌ لَهُـمْ فِي كُتُبِهِـمُ التَّارِيخِيَّـةِ.

وَلِلقُصَّـــاصِ حِكَايَـــاتٌ مُخْتَلَقَـــةٌ، فِيهَـــا مَثْلَبَـــةٌ عَـــلَى بَعْـــضِ الصَّحَابَـــةِ، وَهُنَاكَ مُؤَلَّفَـــاتٌ مَنْسُـــوبَةٌ لِبَعْـــضِ الأَئِمَّـــةِ هُـــمْ مِنْهَـــا بَـــرَاءٌ، لَفَّـــقَ وَاضِعُوهَـــا فِيهَـــا مَـــا يُوَافِـــقُ أَهْوَاءَهُـــمْ،

وَكَثِيرٌ مِنَ الحِكَايَاتِ
فِي كُتُبِ التَّارِيخِ لَا
أَصْلَ لَهَا، وَلَيْسَ
لَهَا أَسَانِيدُ مُتَّصِلَةٌ.
وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ عَبْدِ
المَلِكِ المَيْمُونِيِّ، قَالَ:
سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ

يَقُولُ: (ثَلَاثَةُ كُتُبٍ لَيْسَ لَهَا أُصُولٌ: الْمَغَازِي، وَالْمَلَاحِمُ، وَالتَّفْسِيرُ).

رَوَاهُ الْخَطِيبُ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: عَدُّ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَابِعَ الْخُلَفَاءِ

الرَّاشِـــدِينَ المَهْدِيِّـــينَ.

قَـــالَ ابْـــنُ تَيْمِيَّـــةَ - رَحِمَـــهُ اللهُ -: «وَالصَّحِيـــحُ الَّـــذِي عَلَيْـــهِ الأَئِمَّـــةُ أَنَّ عَلِيًّـــا رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ مِـــنَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِـــدِينَ بِهَـــذَا الحَدِيـــثِ يَعْنِـــي حَدِيـــثَ سَـــفِينَةَ -:

«خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً» - فَزَمَانُ عَلِيٍّ كَانَ يُسَمِّي نَفْسَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالصَّحَابَةُ تُسَمِّيهِ بِذَلِكَ، قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُ اللهُ -: وَمَنْ لَمْ يُرَبِّعْ

بِعَـــلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ فِي الخِلَافَـةِ، فَهُـوَ أَضَـلُّ مِـنْ حِمَـارِ أَهْلِـهِ، وَمَـعَ هَـذَا فَلِـكُلِّ خَلِيفَـةٍ مَرْتَبَـةٌ».

وَقَـالَ - رَحِمَـهُ اللهُ -:

«وَعَـلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ لَمْ

يُقَاتِلْ أَحَدًا عَلَى إِمَامَةِ
مَنْ قَاتَلَهُ، وَلَا قَاتَلَهُ
أَحَدٌ عَلَى إِمَامَتِهِ نَفْسِهِ،
وَلَا ادَّعَى أَحَدٌ قَطُّ فِي
زَمَنِ خِلَافَتِهِ أَنَّهُ أَحَقُّ
بِالإِمَامَةِ مِنْهُ، لَا عَائِشَةُ
وَلَا طَلْحَةُ وَلَا الزُّبَيْرُ

وَلَا مُعَاوِيَةُ وَأَصْحَابُهُ، وَلَا الخَوَارِجُ؛ بَلْ كُلُّ الأُمَّةِ كَانُوا مُعْتَرِفِينَ بِفَضْلِ عَلِيٍّ وَسَابِقَتِهِ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يُمَاثِلُهُ فِي زَمَنِ خِلَافَتِهِ».

٢٨- الخـــوارج

مِـــن أَشَرِّ الخَلْـــق

رَوَى مُسْـــلِمٌ فِي صَحِيحِهِ،

عَـــنْ أَبِي سَـــعِيدٍ الخُـــدْرِيِّ

رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، قَـــالَ:

قَـــالَ رَسُـــولُ اللهِ - ﷺ -

-: «تَكُونُ فِي أُمَّتِي فِرْقَتَانِ، فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمَا مَارِقَةٌ، يَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلَاهُمْ بِالحَقِّ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فِرْقَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ

بِالحَقِّ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «هُمْ شَرُّ الخَلْقِ - أَوْ مِنْ أَشَرِّ الخَلْقِ - يَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الحَقِّ». وَفِي رِوَايَةٍ: «يَقْتُلُهُمْ أَقْرَبُ الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الحَقِّ».

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا عَنْ

زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ الجُهَنِيِّ،
أَنَّهُ كَانَ فِي الجَيْشِ الَّذِينَ
كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ
اللهُ عَنْهُ، الَّذِينَ سَارُوا
إِلَى الخَوَارِجِ، فَقَالَ
عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَيُّهَا
النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ

رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ:

«يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ

بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، لَوْ يَعْلَمُ الجَيْشُ الَّذِينَ

يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ - ﷺ -، لَا تَتَّكِلُوا عَنِ العَمَلِ، «وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ

شَعَرَاتٌ بِيضٌ» فَتَذْهَبُونَ
إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ
الشَّامِ، وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ
يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ
وَأَمْوَالِكُمْ، وَاللهِ، إِنِّي
لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ
القَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا

الـدَّمَ الحَـرَامَ، وَأَغَـارُوا فِي
سَرْحِ النَّاسِ، فَسِـيرُوا عَلَى
اسْـمِ اللهِ. قَـالَ سَـلَمَةُ بْـنُ
كُهَيْـلٍ: فَنَزَّلَنِـي زَيْـدُ بْـنُ
وَهْـبٍ مَنْـزِلًا، حَتَّـى قَالَ:
مَرَرْنَـا عَـلَى قَنْطَـرَةٍ، فَلَـمَّا
الْتَقَيْنَـا وَعَـلَى الْخَـوَارِجِ

يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ، فَقَالَ لَهُمْ: أَلْقُوا الرِّمَاحَ، وَسُلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ جُفُونِهَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ، فَرَجَعُوا

فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ،
وَسَلُّوا السُّيُوفَ،
وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ
بِرِمَاحِهِمْ، قَالَ: وَقُتِلَ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا
أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ
إِلَّا رَجُلَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ

رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ: الْتَمِسُـــوا
فِيهِـــمُ الْمُخْدَجَ، فَالْتَمَسُـــوهُ
فَلَـــمْ يَجِـــدُوهُ، فَقَـــامَ عَـــلِيٌّ
رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ بِنَفْسِـــهِ
حَتَّـــى أَتَـــى نَاسًـــا قَـــدْ قُتِـــلَ
بَعْضُهُـــمْ عَـــلَى بَعْـــضٍ،
قَـــالَ: أَخِّرُوهُـــمْ، فَوَجَدُوهُ

مِمَّـا يَـلِي الْأَرْضَ، فَكَـبَّرَ، ثُـمَّ قَالَ: صَـدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُـولُهُ، قَـالَ: فَقَـامَ إِلَيْـهِ عَبِيـدَةُ السَّـلْمَانِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِـيرَ الْمُؤْمِنِـينَ، أَللهَّ الَّـذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ، لَسَـمِعْتَ هَـذَا الْحَدِيـثَ مِنْ رَسُـولِ

اللهِ - ﷺ -؟ فَقَالَ: إِيْ وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ -

ﷺ - فَانْقَطَعَتْ نَعْلُهُ، فَتَخَلَّفَ عَلِيٌّ يَخْصِفُهَا، فَمَشَى قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ القُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ، فَاسْتَشْرَفَ لَهَا القَوْمُ وَفِيهِمْ أَبُو

بَكْـــرٍ وَعُمَـــرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُـــمَا، قَـــالَ أَبُـــو بَكْـــرٍ: أَنَـــا هُـــوَ؟ قَـــالَ: لَا. قَـــالَ عُمَـــرُ: أَنَـــا هُـــوَ؟ قَـــالَ: لَا. لَكِـــنْ خَاصِـــفُ النَّعْـــلِ يَعْنِـــي عَلِيًّـــا - فَأَتَيْنَـــاهُ فَبَشَّرْنَـــاهُ فَلَـــمْ يَرْفَـــعْ بِـــهِ

رَأْسَهُ، كَأَنَّهُ قَدْ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ).

رَوَاهُ الحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرَ فِطْرِ

بْـــنِ خَلِيفَـــةَ، وَهُـــوَ ثِقَـــةٌ.

وَفِي هَـــذِهِ الأَحَادِيـــثِ وَغَيْرِهَـــا إِشَـــارَةٌ إِلَى خِلَافَةِ عَـــلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، وَأَنَّـــهُ أَدْنَـــى إِلَى الحَـــقِّ وَأَوْلَى بِـــهِ مِـــنْ مُعَاوِيَـــةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، وَأَهْـــلُ الشَّـــامِ وَإِنْ

كَانُوا مُجْتَهِدِينَ مُتَأَوِّلُونَ.

٢٩- تحكيم الحَكَمَيْن، وخروج الخوارج على علي رضي الله عنه - عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: إِنَّ عَلِيًّا لَمَّا

كَاتَبَ مُعَاوِيَةَ وَحَكَّمَ الحَكَمَيْنِ؛ «يَعْنِي أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ وَعَمْرَو بْنَ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا» خَرَجَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ مِنْ قُرَّاءِ النَّاسِ، فَنَزَلُوا

بِـــأَرْضٍ يُقَـــالُ لَهَـــا:
حَـــرُورَاءَ، مِـــنْ جَانِـــبِ
الكُوفَـــةِ، وَأَنَّهُـــم عَتَبُـــوا
عَلَيْـــهِ، فَقَالُـــوا: انْسَـــلَخْتَ
مِـــنْ قَمِيـــصٍ أَلْبَسَـــكَهُ اللهُ،
وَاسْـــمٍ سَـــمَّاكَ بِـــهِ اللهُ،
ثُـــمَّ انْطَلَقْـــتَ فَحَكَّمْـــتَ

فِي دِيـــنِ اللهِ، وَلَا حُكْـــمَ
إِلَّا للهِ، فَلَـــمَّا أَنْ بَلَـــغَ عَلِيًّـــا
مَـــا عَتَبُـــوا عَلَيْـــهِ وَفَارَقُـــوهُ
عَلَيْـــهِ، أَمَـــرَ فَـــأَذَّنَ مُـــؤَذِّنٌ
أَنْ لَا يَدْخُـــلَ عَـــلَى أَمِـــيرِ
الْمُؤْمِنِـــينَ رَجُـــلٌ إِلَّا رَجُـــلًا
قَـــدْ حَمَـــلَ الْقُـــرْآنَ، فَلَـــمَّا أَنِ

امْتَلَأَتِ الدَّارُ مِنْ قُرَّاءِ النَّاسِ دَعَا بِمُصْحَفٍ إِمَامٍ عَظِيمٍ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَصُكُّهُ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: أَيُّهَا الْمُصْحَفُ! حَدِّثِ النَّاسَ، فَنَادَاهُ النَّاسُ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَسْأَلُ عَنْهُ

إِنَّمَا هُوَ مِدَادٌ فِي وَرَقٍ،

وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِمَا رُوِينَا

مِنْهُ، فَمَاذَا تُرِيدُ؟ قَالَ:

أَصْحَابُكُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ

خَرَجُوا، بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ

كِتَابُ اللهِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى

فِي كِتَابِـهِ فِي امْـرَأَةٍ وَرَجُلٍ:

(وَإِنْ خِفْتُـمْ شِـقَاقَ بَيْنِهِمَا

فَابْعَثُـوا حَكَـمًا مِـنْ أَهْلِـهِ

وَحَكَـمًا مِـنْ أَهْلِهَـا إِنْ

يُرِيـدَا إِصْلَاحًـا يُوَفِّـقِ اللهُ

بَيْنَهُـمَا)، فَأُمَّـةُ مُحَمَّدٍ - ﷺ

- أَعْظَـمُ دَمًـا وَحُرْمَـةً

مِـــنِ امْـــرَأَةٍ وَرَجُـــلٍ،
وَنَقَمُـــوا عَـــلَيَّ أَنَّ كَاتِـــبَ
مُعَاوِيَـــةَ كَتَـــبَ عَـــلِيَّ بْـــنَ
أَبِي طَالِـــبٍ، وَقَـــدْ جَاءَنَـــا
سُـــهَيْلُ بْـــنُ عَمْـــرٍو وَنَحْنُ
مَـــعَ رَسُـــولِ اللهِ - ﷺ -
بِالحُدَيْبِيَـــةِ، حِـــينَ صَالَـــحَ

قَوْمَـــهُ قُرَيْشًـــا، فَكَتَـــبَ رَسُـــولُ اللهِ – ﷺ –: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيـــمِ، فَقَالَ سُـــهَيْلٌ: لَا أَكْتُبُ بِسْـــمِ اللهِ الرَّحْمَـــنِ الرَّحِيـــمِ، قَـــالَ: كَيْـــفَ تَكْتُـــبُ؟ «قَـــالَ: اكْتُـــبْ بِاسْـــمِكَ اللَّهُـــمَّ!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -:

اكْتُبْ، فَكَتَبَ، فَقَالَ:

اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ

عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ،

فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ

رَسُولُ اللهِ لَمْ أُخَالِفْكَ،

فَكَتَبَ هَذَا مَا صَالَحَ

عَلَيْـهِ مُحَمَّـدُ بْـنُ عَبْـدِ اللهِ قُرَيْشًـا، يَقُـولُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِـهِ: (لَقَـدْ كَانَ لَكُـمْ فِي رَسُـولِ اللهِ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ لِمَـنْ كَانَ يَرْجُـو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِـرَ)، فَبَعَـثَ إِلَيْهِـمْ عَبْـدَ اللهِ بْـنَ عَبَّـاسٍ،

فَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْتُ عَسْكَرَهُمْ، فَقَامَ ابْنُ الكَوَّاءِ فَخَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: يَا حَمَلَةَ القُرْآنِ، هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أَعْرِفُهُ مِمَّنْ

يُخَاصِمُ فِي كِتَابِ اللهِ بِمَا لَا يَعْرِفُهُ، هَذَا مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي قَوْمِهِ: (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)، فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَا تُوَاضِعُوهُ كِتَابَ اللهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللهِ لَنُوَاضِعَنَّهُ؛ فَإِنْ جَاءَ

بِحَـــقٍّ نَعْرِفُـــهُ لَنَتَّبِعَنَّـــهُ،
وَإِنْ جَـاءَ بِبَاطِـلٍ لَنَكْبِتَنَّـهُ
بِبَاطِلِـــهِ، فَوَاضَعُـــوا عَبْـــدَ
اللهِ الكِتَـــابَ ثَلَاثَـــةَ أَيَّـــامٍ،
فَرَجَـــعَ مِنْهُمْ أَرْبَعَـــةُ آلَافٍ
كُلُّهُـــمْ تَائِـــبٌ، فِيهِـــمُ ابْـــنُ
الكَـــوَّاءِ، حَتَّـــى أَدْخَلَهُـــمْ

عَلَى عَلِيٍّ الكُوفَةَ، فَبَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى بَقِيَّتِهِمْ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَمْرِ النَّاسِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَقِفُوا حَيْثُ شِئْتُمْ حَتَّى تَجْتَمِعَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ - بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، أَنْ لَا

تَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا، أَوْ تَقْطَعُوا سَبِيلًا، أَوْ تَظْلِمُوا ذِمَّةً، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكُمُ الحَرْبَ عَلَى سَوَاءٍ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ ...».

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: تَفَرَّدَ بِهِ

أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ،
وَاخْتَارَهُ الضِّيَاءُ.
وَقَدْ رَوَاهُ يَعْقُوبُ بْنُ
سُفْيَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،
فَذَكَرَ القِصَّةَ، وَأَنَّهُمْ
عَتَبُوا عَلَيْهِ فِي كَوْنِهِ
حَكَّمَ الرِّجَالَ، وَأَنَّهُ

مَحَى اسْمَهُ مِنَ الإِمْرَةِ،
وَأَنَّهُ غَزَا يَوْمَ الجَمَلِ
فَقَتَلَ الأَنْفُسَ الحَرَامَ، وَلَمْ
يَقْسِمِ الأَمْوَالَ وَالسَّبْيَ،
فَأَجَابَ عَنِ الأُولَيَيْنِ
بِمَا تَقَدَّمَ، وَعَنِ الثَّالِثِ
فَقَالَ: قَدْ كَانَ فِي السَّبْيِ

أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ قُلْتُمْ لَيْسَتْ لَكُمْ بِأُمٍّ فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَإِنِ اسْتَحْلَلْتُمْ سَبْيَ أُمَّهَاتِكُمْ فَقَدْ كَفَرْتُمْ. قَالَ: فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانِ، وَخَرَجَ سَائِرُهُمْ فَتَقَاتَلُوا.

وَقَاتَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الخَوَارِجَ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ فَهَزَمَهُمْ، وَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ.

وَعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سُئِلَ عَلِيٌّ عَنْ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ:

أَمُشْرِكُونَ هُمْ؟ فَقَالَ: مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا، قِيلَ: أَفَمُنَافِقُونَ؟ قَالَ: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا، فَقِيلَ: فَمَا هُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا،

فَقَاتَلْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ عَلَيْنَا.

رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ.

٣٠- ذَمُّ الخوارج والتحريض على قَتْلِهم

ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي كِتَابِهِ «البِدَايَةِ» أَحَادِيثَ

كَثِيرَةً فِي ذَمِّ الخَوَارِجِ وَالتَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِهِمْ، وَمِنْ جُمْلَةِ مَا قَالَ: رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «يَخْرُجُ قَوْمٌ

فِي آخِرِ الزَّمَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، أَحْدَاثُ - أَوْ حُدَثَاءُ - الْأَسْنَانِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ

الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَمَنْ أَدْرَكَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا عِنْدَ اللهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ».

وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ:

هَـــذَا حَدِيـــثٌ حَسَـــنٌ صَحِيـــحٌ، ابْـــنُ مَسْـــعُودٍ مَـــاتَ قَبْـــلَ ظُهُـــورِ الْخَـــوَارِجِ بِنَحْوٍ مِـــنْ خَمْسِ سِـــنِينَ، فَخَـــبَرُهُ فِي ذَلِـــكَ مِـــنْ أَقْـــوَى الأَسَـــانِيدِ. وَعَـــنْ مَـــسْرُوقٍ عَـــنْ

عَائِشَـــةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَـــا، قَالَـــتْ: ذَكَـــرَ رَسُـــولُ اللهِ - ﷺ - الْخَـــوَارِجَ فَقَـــالَ: «شِرَارُ أُمَّتِـــي يَقْتُلُهُـــمْ خِيَـــارُ أُمَّتِـــي». وَفِي رِوَايَـــةٍ، قَـــالَ: فَرَأَيْـــتُ عَلِيًّـــا قَتَلَهُـــمْ، وَهُـــمْ

أَصْحَابُ النَّهْرَوَانِ.

ثُمَّ قَالَ الْبَزَّارُ: وَسُلَيْمَانُ بْنُ قَرْمٍ قَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ، لَكِنَّ الإِسْنَادَ الأَوَّلَ يَشْهَدُ لِهَذَا، كَمَا أَنَّ هَذَا يَشْهَدُ لِلأَوَّلِ، فَهُمَا مُتَعَاضِدَانِ، وَهُوَ

غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ
الْمُؤْمِنِينَ. وَإِنَّمَا أَوْرَدْنَا
هَذِهِ الطُّرُقَ كُلَّهَا؛ لِيَعْلَمَ
الْوَاقِفُ عَلَيْهَا أَنَّ ذَلِكَ
حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَهُوَ مِنْ
أَكْبَرِ دِلَالَاتِ النُّبُوَّةِ،
كَمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ

مِـــنَ الأَئِمَّـــةِ فِيهَـــا، وَاللهُ تَعَـــالَى أَعْلَـــمُ. انتهـــى.

قَـالَ ابْـنُ بَطَّـالٍ: «ذَهَـبَ جُمْهُـــورُ العُلَـــمَاءِ إِلَى أَنَّ الخَـوَارِجَ غَـيْرُ خَارِجِـينَ عَـــنْ جُمْلَـــةِ المُسْـــلِمِينَ».

قَـالَ ابْـنُ حَجَـرٍ: «وَذَهَبَ

أَكْثَرُ أَهْلِ الأُصُولِ
مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى
أَنَّ الخَوَارِجَ فُسَّاقٌ،
وَأَنَّ حُكْمَ الإِسْلَامِ
يَجْرِي عَلَيْهِمْ لِتَلَفُّظِهِمْ
بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَمُوَاظَبَتِهِمْ
عَلَى أَرْكَانِ الإِسْلَامِ،

وَإِنَّمَا فَسَقُوا بِتَكْفِيرِهِمُ
الْمُسْلِمِينَ، مُسْتَنِدِينَ إِلَى
تَأْوِيلٍ فَاسِدٍ، وَجَرَّهُمْ
ذَلِكَ إِلَى اسْتِبَاحَةِ دِمَاءِ
مُخَالِفِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
وَالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ
بِالكُفْرِ وَالشِّرْكِ».

وَقَالَ القَاضِي عِيَاضُ:

«كَادَتْ هَذِهِ المَسْأَلَةُ -

يَعْنِي تَكْفِيرَ الخَوَارِجِ

- تَكُونُ أَشَدَّ إِشْكَالًا

عِنْدَ المُتَكَلِّمِينَ مِنْ

غَيْرِهَا، حَتَّى سَأَلَ

الفَقِيهُ عَبْدُ الحَقِّ الإِمَامَ

أَبَا المَعَالِي عَنْهَا، فَاعْتَذَرَ بِأَنَّ إِدْخَالَ كَافِرٍ فِي المِلَّةِ، وَإِخْرَاجَ مُسْلِمٍ عَنْهَا: عَظِيمٌ فِي الدِّينِ».

٣١- الحَكَمان مِن

خيار الصحابة

رضي الله عنهم –

رَوَى البَيْهَقِيُّ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَخْتَلِفُ، فَلَا يَزَالُ اخْتِلَافُهُمْ بَيْنَهُمْ، حَتَّى

يَبْعَثُوا حَكَمَيْنِ ضَلَّا، وَأَضَلَّا مَنِ اتَّبَعَهُمَا». قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: حَدِيثٌ مُنْكَرٌ جِدًّا، وَالحَكَمَانِ كَانَا مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ، وَهُمَا: عَمْرُو بْنُ العَاصِ السَّهْمِيُّ مِنْ جِهَةِ أَهْلِ

الشَّـــامِ، وَالثَّـــانِي: أَبُـــو
مُوسَـى عَبْـدُ اللهِ بْـنُ قَيْسٍ
الأَشْـعَرِيُّ، مِـنْ جِهَـةِ
أَهْـلِ العِـرَاقِ، وَإِنَّـمَا نُصِّبَا
لِيُصْلِحَـا بَـيْنَ النَّـاسِ،
وَيَتَّفِقَـا عَـلَى أَمْـرٍ فِيـهِ
رِفْـقٌ بِالْمُسْـلِمِينَ، وَحَقْـنٌ

لِدِمَائِهِمْ، وَكَذَلِكَ وَقَعَ،
وَلَمْ يَضِلَّ بِسَبَبِهِمَا إِلَّا
فِرْقَةُ الخَوَارِجِ، حَيْثُ
أَنْكَرُوا عَلَى الأَمِيرَيْنِ
التَّحْكِيمَ، وَخَرَجُوا
عَلَيْهِمَا وَكَفَّرُوهُمَا،
حَتَّى قَاتَلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ

أَبِي طَالِبٍ، وَنَاظَرَهُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ شِرْذِمَةٌ إِلَى الحَقِّ، وَاسْتَمَرَّ بَقِيَّتُهُمْ حَتَّى قُتِلَ أَكْثَرُهُمْ بِالنَّهْرَوَانِ وَغَيْرِهِ». انتهى.

وَقَالَ القَاضِي أَبُو بَكْرٍ

بْنُ العَرَبِيِّ: «تَحَكَّمَ النَّاسُ فِي التَّحْكِيمِ فَقَالُوا فِيهِ مَا لَا يَرْضَاهُ اللهُ، وَالَّذِي يَصِحُّ مِنْ ذَلِكَ: مَا رَوَى الأَئِمَّةُ كَخَلِيفَةَ بْنِ خَيَّاطٍ، وَالدَّارَقُطْنِيِّ: أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ الطَّائِفَةُ

العِرَاقِيَّــةُ فِي مِائَــةِ أَلْــفٍ، وَالشَّــامِيَّةُ فِي سَــبْعِينَ أَوْ تِسْــعِينَ أَلْفًــا، وَنَزَلُــوا عَــلَى الفُــرَاتِ بِصِفِّــينَ، اقْتَتَلُــوا فِي أَوَّلِ يَــوْمٍ «يَعْنِي تَغَالَبُــوا» - وَهُــوَ الثُّلَاثَــاءُ - عَــلَى المَــاءِ، فَغَلَــبَ

أَهْلُ العِرَاقِ عَلَيْهِ، ثُمَّ
الْتَقَوْا يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ
لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ
سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ،
وَيَوْمَ الخَمِيسِ، وَيَوْمَ
الجُمُعَةِ، وَلَيْلَةَ السَّبْتِ،
وَرُفِعَتِ المَصَاحِفُ مِنْ

أَهْلِ الشَّامِ، وَدَعَوْا إِلَى
الصُّلْحِ، وَتَفَرَّقُوا عَلَى
أَنْ تَجْعَلَ كُلُّ طَائِفَةٍ
أَمْرَهَا إِلَى رَجُلٍ، حَتَّى
يَكُونَ الرَّجُلَانِ يَحْكُمَانِ
بَيْنَ الدَّعْوَيَيْنِ بِالحَقِّ،
فَكَانَ مِنْ جِهَةِ عَلِيٍّ

أَبُــو مُوسَــى، وَمِــنْ
جِهَــةِ مُعَاوِيَــةَ عَمْــرُو
بْــنُ العَــاصِ، وَكَانَ أَبُــو
مُوسَــى رَجُــلًا تَقِيًّــا فَقِيهًا
عَالِمًــا، وَزَعَمَــتِ الطَّائِفَــةُ
التَّارِيخِيَّــةُ الرَّكِيكَــةُ أَنَّــهُ
كَانَ أَبْلَــهَ ضَعِيــفَ الــرَّأْيِ

مَخْدُوعًا فِي القَوْلِ، وَأَنَّ

ابْنَ العَاصِ كَانَ ذَا دَهَاءٍ

وأَرَبٍ، حَتَّى ضُرِبَتِ

الأَمْثَالُ بِدَهَائِهِ، تَأْكِيدًا

لِمَا أَرَادَتْ مِنَ الفَسَادِ،

اتَّبَعَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ

الجُهَّالِ بَعْضًا، وَصَنَّفُوا

فِيــهِ حِكَايَــاتٍ، وَقَالُــوا:
إِنَّهُــمَا لَمَّــا اجْتَمَعَــا بِــأَذْرُحَ
مِــنْ دُوْمَــةِ الجَنْــدَلِ
وَتَفَاوَضَــا، اتَّفَقَــا عَــلَى أَنْ
يَخْلَعَــا الرَّجُلَــيْنِ، فَقَــالَ
عَمْرٌو لِأَبِي مُوسَــى: اسْبِقْ
بِالقَــوْلِ. فَتَقَــدَّمَ، فَقَــالَ:

إِنِّي نَظَرْتُ فَخَلَعْتُ عَلِيًّا عَنِ الأَمْرِ، وَيَنْظُرُ الْمُسْلِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، كَمَا خَلَعْتُ سَيْفِي هَذَا مِنْ عَاتِقِي، وَأَخْرَجَهُ مِنْ عُنُقِهِ، فَوَضَعَهُ فِي الأَرْضِ.

وَقَامَ عَمْرٌو فَوَضَعَ

سَـيْفَهُ فِي الأَرْضِ، وَقَـالَ:
إِنِّي نَظَـرْتُ فَأَثْبَـتُّ مُعَاوِيَةَ
فِي الأَمْـرِ كَـمَا أُثْبِتُ سَـيْفِي
هَـذَا فِي عَاتِقِـي. وَتَقَلَّـدَهُ.
فَأَنْكَـرَ أَبُـو مُوسَـى. فَقَالَ
عَمْـرٌو: كَذَلِـكَ اتَّفَقْنَـا.
وَتَفَـرَّقَ الجَمْـعُ عَـلَى

ذَلِـــكَ مِـــنَ الاخْتِـــلَافِ.

هَـــذَا كُلُّـــهُ كَـــذِبٌ صُرَاحٌ،

مَـــا جَـــرَى مِنْـــهُ حَـــرْفٌ

قَـــطُّ، وَإِنَّـــمَا هُـــوَ شَيْءٌ

أَخْـــبَرَ عَنْـــهُ الْمُبْتَدِعَـــةُ،

وَوَضَعَتْـــهُ التَّارِيخِيَّـــةُ

لِلْمُلُـــوكِ، فَتَوَارَثَـــهُ

أَهْـــلُ المَجَانَـــةِ وَالجِهَـــارَةِ بِمَعَـــاصِي اللهِ وَالبِـــدَعِ».

وَإِنَّـمَا الَّـذِي رَوَى الأَئِمَّـةُ الثِّقَـاتُ الأَثْبَـاتُ: أَنَّهُـمَا لَمَّا اجْتَمَعَـا لِلنَّظَـرِ فِي الأَمْـرِ - فِي عُصْبَـةٍ كَرِيمَـةٍ مِـنَ النَّـاسِ؛ مِنْهُـمُ: ابْـنُ عُمَرَ

وَنَحْوُهُ - عَزَلَ عَمْرٌو مُعَاوِيَةَ، ذَكَرَ الدَّارَقُطْنِيَّ بِسَنَدِهِ إِلَى حُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ - «ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي ثِقَاتِهِ» -: لَمَّا عَزَلَ عَمْرٌو مُعَاوِيَةَ فَبَلَغَ نَبَأُهُ مُعَاوِيَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ

فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الأَمْرِ الَّذِي وُلِّيْتَ أَنْتَ وَأَبُو مُوسَى، كَيْفَ صَنَعْتُمَا فِيهِ؟ قَالَ: قَدْ قَالَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ مَا قَالُوا، وَاللهِ مَا كَانَ الأَمْرُ عَلَى مَا

قَالُوا، وَلَكِنْ قُلْتُ لِأَبِي مُوسَى: مَا تَرَى فِي هَذَا الأَمْرِ؟ قَالَ: أَرَى أَنَّهُ فِي النَّفَرِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ. قُلْتُ: فَأَيْنَ تَجْعَلُنِي أَنَا وَمُعَاوِيَةَ؟

فَقَالَ: إِنْ يُسْتَعَنْ بِكُمَا فَفِيكُمَا مَعُونَةٌ. فَهَذَا كَانَ بَدْءُ الحَدِيثِ وَمُنْتَهَاهُ. فَأَمْسِكُوا الأَلْسِنَةَ عَنِ السَّابِقِينَ إِلَى الدِّينِ، فَقَدْ هَلَكَ مَنْ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ - ﷺ - خَصْمَهُ،

وَدَعْوا مَا مَضَى، فَقَدْ قَضَى اللهُ مَا قَضَى.

٣٢- استشهاد علي، ونجاة معاوية وعمرو رضي الله عنهم -

عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ

الْأَنْصَارِيِّ - وَكَانَ أَبُو فَضَالَةَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ - : قَالَ «خَرَجْتُ مَعَ أَبِي عَائِدًا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ مَرَضٍ أَصَابَهُ ثَقُلَ مِنْهُ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَبِي: مَا يُقِيمُكَ بِمَنْزِلِكَ هَذَا

لَـــوْ أَصَابَـــكَ أَجَلُـــكَ لَمْ يَلِـــكَ إِلَّا أَعْـــرَابُ جُهَيْنَةَ؟ تُحْمَـــلُ إِلَى الْمَدِينَـــةِ، فَـــإِنْ أَصَابَـــكَ أَجْلُـــكَ وَلِيَـــكَ أَصْحَابُـــكَ وَصَلَّـــوْا عَلَيْـــكَ. فَقَـــالَ عَـــلَى: إِنَّ رَسُـــولَ اللهِ - ﷺ - عَهِـــدَ

إِلَيَّ أَنْ لَا أَمُوتَ حَتَّى أُؤَمَّرَ، ثُمَّ تُخْضَبَ هَذِهِ - يَعْنِي لِحْيَتَهُ - مِنْ دَمِ هَذِهِ - يَعْنِي هَامَتَهُ قَالَ: فَقُتِلَ». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، ورَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ، وَلَهُ طُرُقٌ،

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ بَعْدَ ذِكْرِهِ طَرَفًا مِنْ هَذِهِ الطُّرُقِ:

«وَقَدْ رُوِّينَا فِي كِتَابِ السُّنَنِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ فِي إِخْبَارِ

النَّبِـــيِّ - ﷺ - بِقَتْلِـــهِ».

وَبَيْنَـــمَا عَـــلِيٌّ بِالعِـــرَاقِ وَمُعَاوِيَـــةُ بِالشَّـــامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُـــمَا، وَقَـــدِ اشْـــتَدَّتِ المِحَـــنُ وَظَهَـــرَتِ الفِتَـــنُ، وَسَـــئِمَ عَـــلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ الأَحْـــوَالَ، وَمَـــلَّ

الأَوْضَاعَ، حَتَّى حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَتُخْضَبَنَّ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ، لِلِحْيَتِهِ مِنْ رَأْسِهِ، فَمَا يَحْبِسُ أَشْقَاهَا؟» أَيْ: مَا يَنْتَظِرُ، مَا لَهُ لَا يَقْتُلُ؟

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَبُعٍ:
وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
لَوْ أَنَّ رَجُلًا فَعَلَ ذَلِكَ
لَأَبَدْنَا عِتْرَتَهُ، فَقَالَ:
أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ أَنْ يُقْتَلَ
غَيْرُ قَاتِلِي. فَقَالُوا:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا

تَسْتَخْلِفُ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَتْرُكُكُمْ كَمَا تَرَكَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ التَّارِيخِ وَالسِّيَرِ

وَأَيَّامِ النَّاسِ - وَذَكَرَ مَا مُلَخَّصُهُ -: أَنَّ ثَلَاثَةً مِنَ الْخَوَارِجِ؛ وَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو الْمُعْرُوفُ بِابْنِ مُلْجَمٍ الْمِصْرِيُّ - وَسَمَّى الْبَقِيَّةَ - اجْتَمَعُوا فَتَذَاكَرُوا

قَتْلَ عَلِيٍّ إِخْوَانَهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ، فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: لَوْ أَتَيْنَا أَئِمَّةَ الضَّلَالِ فَقَتَلْنَاهُمْ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ ثَأْرَ إِخْوَانِنَا، فَقَالَ ابْنُ مُلْجَمٍ: أَمَّا أَنَا فَأَكْفِيكُمْ

عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ. وَقَالَ الآخَرُ: أَنَا أَكْفِيكُمْ مُعَاوِيَةَ: وَقَالَ الثَّالِثُ: أَنَا أَكْفِيكُمْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ. ثُمَّ إِنَّ الشَّقِيَّ الجَبَانَ ابْنَ مُلْجَمٍ اخْتَبَأَ وَمَعَهُ أَعْوَانٌ جُبَنَاءُ،

بِطَرِيــقِ عَــلِيٍّ رَضِيَ اللهُ
عَنْــهُ، وَهُــوَ خَــارِجٌ لِصَلَاةِ
الفَجْــرِ، فَهَجَمُــوا عَلَيْــهِ،
وَضَرَبَ ابْــنُ مُلْجَــمٍ
رَأْسَــهُ بِالسَّــيْفِ، حَتَّــى
سَــالَ دَمُهُ مِــنْ رَأْسِــهِ عَلَى
لِحْيَتِــهِ، فَحُمِــلَ إِلَى بَيْتِــهِ،

ثُمَّ مَاتَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شَهِيدًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ، عَنْ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَكَانَ مَعْرُوفًا بِالدِّيَانَةِ، مُشْتَهِرًا بِالشَّجَاعَةِ، مَشْهُودًا لَهُ بِالذَّكَاءِ وَالدَّهَاءِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَدُفِنَ بِدَارِ الْإِمَارَةِ بِالْكُوفَةِ، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ، وَمَا يَعْتَقِدُهُ كَثِيرٌ مِنْ جَهَلَةِ الرَّوَافِضِ مِنْ أَنَّ قَبْرَهُ بِمَشْهَدِ النَّجَفِ؛ فَلَا دَلِيلَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا

أَصْـــلَ لَـــهُ». انتهـــى.

وَأَمَّـــا المُتَعَهِّـــدُ بِقَتْـــلِ مُعَاوِيَـــةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، فَقَـــدِ اخْتَبَـــأَ لَـــهُ وَهُـــوَ خَـــارِجٌ إِلَى الصَّـــلَاةِ، فَطَعَنَـــهُ، فَأَصَابَـــتْ فَخِذَهُ، ثُـــمَّ شُـــفِيَ مِنْهَـــا، وَأَمَّـــا

عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَكَانَ مَرِيضًا فَلَمْ يَخْرُجْ لِصَلَاةِ الفَجْرِ ذَلِكَ اليَوْمَ، فَجَاءَتِ الطَّعْنَةُ فِي نَائِبِهِ، وَقَدْ قُبِضَ عَلَى الثَّلَاثَةِ وَقُتِلُوا، قَبَّحَهُمُ اللهُ.

٣٣- الخلفاء الأربعة في الجَنَّة

رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ وَقَدْ صُحِّحَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: (القَائِمُ بَعْدِي

فِي الجَنَّـــةِ، وَالَّـــذِي يَقُـــومُ بَعْـــدَهُ فِي الجَنَّـــةِ، وَالثَّالِـــثُ وَالرَّابِـــعُ فِي الجَنَّـــةِ).

فَهَـــؤُلَاءِ الخُلَفَـــاءُ الأَرْبَعَـــةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُـــمْ، وَهُمْ أَبُو بَكْـــرٍ وَعُمَرُ صِهْرَا رَسُـــولِ اللهِ - ﷺ - وَعُثْـــمَانُ وَعَلِيٌّ

خَتَنَا رَسُولِ اللهِ - ﷺ -، وَقَدْ ثَبَتَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي فَضْلِهِمْ، وَعِظَمِ شَأْنِهِمْ، وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِمْ، وَشَرَفِ رُتْبَتِهِمْ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

«لَا يَبْلُغُنِي عَنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ أَنَّهُ فَضَّلَنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، إِلَّا جَلَدْتُهُ حَدَّ الْمُفْتَرِي».

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ مِنْ نَحْوِ ثَمَانِينَ وَجْهًا وَأَكْثَرَ، أَنَّهُ

قَالَ عَلَى مِنْبَرِ الكُوفَةِ:
خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ
نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ».
وَعَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ،
قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَلِيِّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ: يَا أَبَتِ،
مَنْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ

رَسُـــولِ اللهِ - ﷺ -؟

فَقَـــالَ: يَـــا بُنَـــيَّ، أَوَ مَـــا

تَعْـــرِفُ؟! فَقُلْـــتُ: لَا،

فَقَـــالَ: أَبُـــو بَكْـــرٍ، قُلْـــتُ:

ثُـــمَّ مَـــنْ؟ قَـــالَ: ثُـــمَّ عُمَرُ.

وَقَـــالَ عِيسَـــى بْـــنُ يُونُسَ:

«جَـــاءَتِ الرَّافِضَـــةُ زَيْـــدًا

- وَهُوَ زَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَقَالُوا: تَبَرَّأْ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ حَتَّى نَنْصُرَكَ، قَالَ: بَلْ أَتَوَلَّاهُمَا، قَالُوا: إِذًا نَرْفُضُكَ، فَمِنْ ثَمَّ

قِيلَ لَهُمُ الرَّافِضَةُ».

وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّهُمَا وَزِيرَا جَدِّي؛ يَعْنِي أَنَّ الطَّعْنَ فِيهِمَا طَعْنٌ فِي رَسُولِ اللهِ - ﷺ -.

وَثَبَتَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ:

(أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ،

وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ

فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ،

وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ

فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ

بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ،

وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ).

رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ ابْنُ حَجَرٍ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي كِتَابِهِ

«السِّـيَرِ»: «فَهَـذَا مَـا تَيَسَّرَ
مِـنْ سِـيْرَةِ العَـشَرَةِ، وَهُمْ
أَفْضَـلُ قُرَيْـشٍ، وَأَفْضَـلُ
السَّـابِقِيْنَ المُهَاجِرِيْـنَ،
وَأَفْضَـلُ البَدْرِيِّـيْنَ،
وَأَفْضَـلُ أَصْحَـابِ
الشَّـجَرَةِ، وَسَـادَةُ هَـذِهِ

الأُمَّـةِ فِي الدُّنْيَـا وَالآخِرَةِ.

فَأَبْعَـدَ اللهُ الرَّافِضَـةَ

مَـا أَغْوَاهُـمْ، وَأَشَـدَّ

هَوَاهُـمْ!، كَيْـفَ اعْتَرَفُـوا

بِفَضْـلِ وَاحِـدٍ مِنْهُـمْ،

وَبَخَسُـوا التِّسْـعَةَ حَقَّهُمْ،

وَافْـتَرَوْا عَلَيْهِـمْ بِأَنَّهُـمْ

كَتَمُوا النَّصَّ فِي عَلِيٍّ أَنَّهُ الخَلِيْفَةُ؟ فَوَاللهِ مَا جَرَى مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ». انتهى.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ مِمَّنْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا

مَـــا فِي صُدُورِهِـــم مِّـــنْ غِـــلٍّ إِخْوَانًـــا عَـــلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِـــينَ). وَقَـــالَ: إِنِّي لَأَرْجُـــو أَنْ أَكُـــونَ أَنَـــا وَطَلْحَـــةُ وَالزُّبَـــيْرُ مِمَّـــنْ قَـــالَ اللهُ: (وَنَزَعْنَـــا مَـــا فِي صُدُورِهِـــم مِّـــنْ

غِـــلٍّ إِخْوَانًـــا عَـــلَىٰ
سُرُرٍ مُّتَقَابِلِـــينَ)».
وَقَـــالَ كَثِـــيرٌ النَّـــوَّاءُ:
دَخَلْـــتُ عَـــلَى أَبِي جَعْفَـــرٍ
مُحَمَّـــدِ بْـــنِ عَـــلِيٍّ، فَقُلْـــتُ:
وَلِيِّـــي وَلِيُّكُـــمْ، وَسِـــلْمِي
سِـــلْمُكُمْ، وَعَـــدُوِّي

عَدُوُّكُمْ، وَحَرْبِي
حَرْبُكُمْ، إِنِّي أَسْأَلُكَ
بِاللهِ: أَتَبْرَأُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ
وَعُمَرَ؟ فَقَالَ: (قَدْ
ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ). تَوَلَّهُمَا يَا
كَثِيرُ، فَمَا أَدْرَكَكَ فَهُوَ

فِي رَقَبَتِي هَذِهِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: (إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ)، قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِخْوَانًا عَلَىٰ

سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ)، قَالَ:
هُمْ عَشَرَةٌ: أَبُو بَكْرٍ،
وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ،
وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ،
وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ،
وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ

اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

٣٤- مبايعة الحَسَن، ثم تنازله لمعاوية قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا

تَفَرَّقُوا)، وقال تعالى:
(وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا
وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ).
لَمَّا طَعَنَ الخَارِجِيُّ
الشَّقِيُّ ابْنُ مُلْجَمٍ
الخَلِيفَةَ الرَّاشِدَ عَلِيَّ بْنَ
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

يَـــوْمَ الجُمُعَـــةِ، السَّـــابِعَ
عَـشَرَ مِـنْ رَمَضَـانَ، سَـنَةَ
أَرْبَعِـينَ لِلْهِجْـرَةِ، فَـمَاتَ
يَوْمَهَـا، وَقِيـلَ بَعْـدَ ذَلِـكَ
بِأَيَّـــامٍ قَلَائِـــلَ، فَـــكَانَ
عُمْـرُهُ ثَلَاثًا وَسِـتِّينَ سَـنَةً،
وَمَـــاتَ وَلَمْ يَسْـــتَخْلِفْ،

فَبَايَعَ النَّاسُ ابْنَهُ الحَسَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، خِلَافَةَ نُبُوَّةٍ، عَلَى الحِجَازِ وَاليَمَنِ وَالعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَغَيْرِهَا؛ لِمَا ثَبَتَ عَنْ سَفِينَةَ مَوْلَى

رَسُــولِ اللهِ – ﷺ –، قَــالَ: قَــالَ رَسُــولُ اللهِ – ﷺ –: (الخِلَافَــةُ فِي أُمَّتِــي ثَلَاثُــونَ سَــنَةً، ثُــمَّ مُلْــكٌ بَعْــدَ ذَلِــكَ). رَوَاهُ أَحْمَــدُ، وَالتِّرْمِــذِيُّ وَحَسَّــنَهُ، وَحَسَّــنَهُ ابْــنُ حَجَــرٍ.

ثُـــمَّ إِنَّ الحَسَـــنَ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، رَأَى المَصْلَحَـــةَ فِي التَّنَـــازُلِ لِمُعَاوِيَـــةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، لِأَسْـــبَابٍ مُتَعَـــدِّدَةٍ، فَـــكَانَ تَنَازُلُـــهُ مِـــنْ أَفْضَـــلِ مَنَاقِبِـــهِ الدِّينِيَّـــةِ وَالعَقْلِيَّـــةِ، وَتَحَقَّـــقَ مَـــا أَخْـــبَرَ بِـــهِ

النَّبِيُّ - ﷺ -؛ فَعَنْ أَبِي مُوسَى - وَهُوَ البَصْرِيُّ - قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ - يَعْنِي البَصْرِيَّ - يَقُولُ: اسْتَقْبَلَ ﷺ وَاللَّهِ - الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الجِبَالِ،

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ:
إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لَا تُوَلِّي
حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا،
فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ - وَكَانَ
وَاللَّهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ -: أَيْ
عَمْرُو! إِنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ
هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ،

مَـــنْ لِي بِأُمُـــورِ النَّـــاسِ؟!

مَـنْ لِي بِنِسَـائِهِمْ؟! مَـنْ لِي

بِضَيْعَتِهِـمْ؟! فَبَعَـثَ إِلَيْـهِ

رَجُلَـيْنِ مِـنْ قُرَيْـشٍ مِـنْ

بَنِـي عَبْـدِ شَـمْسٍ: عَبْـدَ

الرَّحْمَنِ بْـنَ سَـمُرَةَ، وَعَبْدَ

اللهِ بْـنَ عَامِـرِ بْـنِ كُرَيْـزٍ،

فَقَالَ: اذْهَبَا إِلَى هَذَا
الرَّجُلِ فَاعْرِضَا عَلَيْهِ،
وَقُولَا لَهُ، وَاطْلُبَا إِلَيْهِ.
فَأَتَيَاهُ، فَدَخَلَا عَلَيْهِ
فَتَكَلَّمَا، وَقَالَا لَهُ،
فَطَلَبَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمَا
الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: إِنَّا

بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ قَدْ
أَصَبْنَا مِنْ هَذَا المَالِ،
وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ
عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا. قَالَا:
فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا
وَكَذَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ
وَيَسْأَلُكَ. قَالَ: فَمَنْ لِي

بِهَـذَا؟ قَـالَا: نَحْـنُ لَـكَ بِـهِ. فَـمَا سَـأَلَهُمَا شَـيْئًا إِلَّا قَـالَا: نَحْـنُ لَـكَ بِـهِ، فَصَالَحَـهُ، فَقَـالَ الحَسَـنُ: وَلَقَـدْ سَـمِعْتُ أَبَـا بَكْـرَةَ يَقُـولُ: رَأَيْـتُ رَسُـولَ اللهِ - ﷺ - عَـلَى المِنْـبَرِ -

وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ
-، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ
مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى،
وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا
سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَّ أَنْ يُصْلِحَ
بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ». رَوَاهُ

البُخَارِيُّ، وَقَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ - وَهُوَ المَدِينِيُّ -: إِنَّمَا ثَبَتَ لَنَا سَمَاعُ الحَسَنِ - يَعْنِي البَصْرِيَّ - مِنْ أَبِي بَكْرَةَ بِهَذَا الحَدِيثِ. انتهى.

وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ

يَقُولُ عَقِبَ هَذَا الحَدِيثِ: قَوْلُهُ: (مِنَ المُسْلِمِينَ) يُعْجِبُنَا جِدًّا، أَخْرَجَهُ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ فِي تَارِيخِهِ، وَفِي هَذَا الحَدِيثِ حَقٌّ يَدْمَغُ بَاطِلَ الخَوَارِجِ

الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ وَأَنْصَارَهُمَا.

وَقَدْ سُمِّيَ العَامُ الَّذِي تَنَازَلَ فِيهِ الحَسَنُ بِالخِلَافَةِ لِمُعَاوِيَةَ – بِشُرُوطٍ وَفَّى بِهَا مُعَاوِيَةُ أَوَّلُ مَلِكٍ فِي الإِسْلَامِ

-: عَامَ الجَمَاعَةِ، فَحَقَنَ سِبْطُ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - دِمَاءَ الأُمَّةِ، وَجَمَعَهَا عَلَى الاجْتِمَاعِ وَالأُلْفَةِ، عَمَلًا بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

٣٥- اكتمال عهد

خلافة النبوة بتنازل الحَسَن لمعاوية

ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ، أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ أَشَارَ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَنْ يَأْمُرَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ أَنْ يَخْطُبَ النَّاسَ، وَيُعْلِمَهُمْ بِنُزُولِهِ

عَنِ الْأَمْرِ لِمُعَاوِيَةَ، فَأَمَرَ مُعَاوِيَةُ الْحَسَنَ، فَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ، بَعْدَ حَمْدِ اللهَّ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ - ﷺ -:

«أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ!

فَـإِنَّ اللهَّ هَدَاكُـمْ بِأَوَّلِنَـا،
وَحَقَـنَ دِمَاءَكُـمْ بِآخِرِنَا».
قَـالَ الحَسَـنُ البَـصْرِيُّ:
فَـوَاللهِ بَعْـدَ أَنْ تَـوَلَّى
لَمْ يُهْـرَقْ فِي خِلَافَتِـهِ
مِـلْءُ مِحْجَمَـةٍ بِـدَمٍ.
قَـالَ ابْـنُ كَثِـيرٍ: وَإِنَّـمَا

كَمَلَتِ الثَّلَاثُونَ بِخِلَافَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَإِنَّهُ نَزَلَ عَنِ الْخِلَافَةِ لِمُعَاوِيَةَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَذَلِكَ كَمَالُ ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

–، فَإِنَّـــهُ تُـــوُفِّيَ فِي رَبِيـــعٍ الْأَوَّلِ سَـنَةَ إِحْـدَى عَشْرَةَ مِـنَ الْهِجْـرَةِ، وَهَـذَا مِـنْ دَلَائِـلِ النُّبُـوَّةِ – صَلَـوَاتُ اللهِ وَسَـلَامُهُ عَلَيْـهِ. فَأَمَّـا الحَدِيـثُ الَّـذِي قَـالَ أَبُـو عِيسَـى التِّرْمِـذِيُّ، عَـنْ

يُوسُفَ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بَعْدَ مَا بَايَعَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: سَوَّدْتَ وُجُوهَ الْمُؤْمِنِينَ - أَوْ يَا مُسَوِّدَ وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ - فَقَالَ: لَا تُؤَنِّبْنِي رَحِمَكَ

اللهُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ -
أُرِيَ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى مِنْبَرِهِ
فَسَاءَهُ ذَلِكَ فَنَزَلَتْ:
«إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ»
يَا مُحَمَّدُ - يَعْنِي نَهْرًا
فِي الْجَنَّةِ -، وَنَزَلَتْ: «إِنَّا
أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ،

وَمَـــا أَدْرَاكَ مَـــا لَيْلَـــةُ الْقَـــدْرِ، لَيْلَـــةُ الْقَـــدْرِ خَـــيْرٌ مِنْ أَلْـــفِ شَـــهْرٍ»، يَمْلِكُهَا بَعْـــدَكَ بَنُـــو أُمَيَّـــةَ يَـــا مُحَمَّدُ، قَـــالَ الفَضْـــلُ: فَعَدَدْنَـــا فَـــإِذَا هِـــيَ أَلْـــفُ شَـــهْرٍ، لَا تَزِيـــدُ يَوْمًـــا وَلَا تَنْقُـــصُ.

ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ... قَالَ: وَلَا يُعْرَفُ هَذَا الحَدِيثُ عَلَى هَذَا اللَّفْظِ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. فَإِنَّهُ حَدِيثٌ غَرِيبٌ؛ بَلْ مُنْكَرٌ جِدًّا، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا

عَلَيْـهِ فِي كِتَـابِ التَّفْسِـيرِ
بِـمَا فِيـهِ كِفَايَـةٌ، وَبَيَّنَّـا
وَجْـهَ نَكَارَتِـهِ. .. قَـالَ:
وَجَعَـلَ كُلَّـمَا مَـرَّ بِحَـيٍّ
مِـنْ شِـيعَتِهِمْ يُبَكِّتُونَـهُ
عَـلَى مَـا صَنَـعَ مِـنْ نُزُولِهِ
عَـنِ الْأَمْـرِ لِمُعَاوِيَـةَ، وَهُوَ

فِي ذَلِكَ هُوَ البَارُّ الرَّاشِدُ
المَمْدُوحُ، وَلَيْسَ يَجِدُ فِي
صَدْرِهِ حَرَجًا وَلَا تَلَوُّمًا
وَلَا نَدَمًا؛ بَلْ هُوَ رَاضٍ
بِذَلِكَ مُسْتَبْشِرٌ بِهِ،
وَإِنْ كَانَ قَدْ سَاءَ هَذَا
خَلْقًا مِنْ ذَوِيهِ وَأَهْلِهِ

وَشِيعَتِهِمْ، وَلَا سِيَّمَا
بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَدٍ، وَهَلُمَّ
جَرًّا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.
وَالْحَقُّ فِي ذَلِكَ اتِّبَاعُ
السُّنَّةِ، وَمَدْحُهُ فِيمَا
حَقَنَ بِهِ دِمَاءَ الْأُمَّةِ، كَمَا
مَدَحَهُ عَلَى ذَلِكَ رَسُولَ

اللهَّ – ﷺ –. انتهى.

٣٦- معاوية رضي الله عنه أَوَّل ملوك الإسلام وخَيْرُهم أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي

عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ بَدَأَ رَحْمَةً وَنُبُوَّةً، ثُمَّ يَكُونُ رَحْمَةً وَخِلَافَةً، ثُمَّ كَائِنٌ مُلْكًا عَضُوضًا، ثُمَّ كَائِنٌ عُتُوًّا وَجَبْرِيَّةً وَفَسَادًا

فِي الْأَرْضِ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ وَالْفُرُوجَ وَالْخُمُورَ، وَيُرْزَقُونَ عَلَى ذَلِكَ وَيُنْصَرُونَ حَتَّى يَلْقَوُا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ».

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ، وقَدْ تَقَدَّمَ فِي

الْحَدِيثِ أَنَّ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ

مُلْكًا، وَقَدِ انْقَضَتِ

الثَّلَاثُونَ بِخِلَافَةِ

الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَأَيَّامُ

مُعَاوِيَةَ أَوَّلُ الْمُلْكِ، فَهُوَ

أَوَّلُ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ وَخِيَارِهِمْ». انتهى.

وَعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: وَاللهِ مَا حَمَلَنِي عَلَى الْخِلَافَةِ إِلَّا قَوْلُ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - لِي: «يَا مُعَاوِيَةُ،

إِنْ مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ».

رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَهُ شَوَاهِدُ مِنْ وُجُوهٍ أُخَرَ. وَأَعَلَّهُ ابْنُ كَثِيرٍ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ تَحْتَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا

لِوَلِيِّـــهِ سُـــلْطَانًا فَـــلَا
يُـسْرِف فِّي الْقَتْـلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ
مَنصُـورًا)، قَـالَ: قَـدْ أَخَذَ
الإِمَـامُ الحَـبْرُ ابْـنُ عَبَّـاسٍ
مِـــنْ عُمُـــومِ هَـــذِهِ الآيَـــةِ
الكَرِيمَـــةِ وِلَايَـــةَ مُعَاوِيَـــةَ
السَّـــلْطَنَةَ وَأَنَّـــهُ سَـــيَمْلِكُ؛

لِأَنَّـهُ كَانَ وَلِيَّ عُثْـمَانَ، وَقَدْ
قُتِـلَ عُثْـمَانُ مَظْلُومًا رَضِيَ
اللهُ عَنْـهُ، وَكَانَ مُعَاوِيَـةُ
يُطَالِـبُ عَلِيًّـا رَضِيَ اللهُ
عَنْـهُ أَنْ يُسَـلِّمَهُ قَتَلَتَـهُ
حَتَّـى يَقْتَـصَّ مِنْهُـمْ لِأَنَّـهُ
أُمَـوِيٌّ، وَكَانَ عَـلِيٌّ رَضِيَ

اللهُ عَنْهُ يَسْتَمْهِلُهُ فِي الأَمْرِ
حَتَّى يَتَمَكَّنَ وَيَفْعَلَ
ذَلِكَ، وَيَطْلُبُ عَلِيٌّ مِنْ
مُعَاوِيَةَ أَنْ يُسَلِّمَهُ الشَّامَ،
فَيَأْبَى مُعَاوِيَةُ ذَلِكَ حَتَّى
يُسَلِّمَهُ القَتَلَةَ، وَأَبَى أَنْ
يُبَايِعَ عَلِيًّا هُوَ وَأَهْلُ

الشَّامِ، ثُمَّ مَعَ المُطَاوَلَةِ
تَمَكَّنَ مُعَاوِيَةُ وَصَارَ
الأَمْرُ إِلَيْهِ كَمَا تَفَاءَلَ
ابْنُ عَبَّاسٍ وَاسْتَنْبَطَ
مِنْ هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ،
وَهَذَا مِنَ الأَمْرِ
العَجَبِ، وَقَدْ رَوَى ذَلِكَ

الطَّـــبَرَانِيُّ فِي مُعْجَمِـــهِ.

٣٧- فضائـــل معاويـــة، ونقلـــة جديـــدة في التاريـــخ الإســـلامي

عَـنْ أَبِي الـدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ

اللهَّ - صَـــلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّمَ -: بَيْنَـــا أَنَـــا نَائِـــمٌ إِذْ رَأَيْـــتُ عَمُـــودَ الكِتَـــابِ احْتُمِـــلَ مِـــنْ تَحْـــتِ رَأْسِي، فَظَنَنْـــتُ أَنَّـــهُ مَذْهُـــوبٌ بِـــهِ، فَأَتْبَعْتُـــهُ بَـــصَرِي، فَعُمِـــدَ بِـــهِ إِلَى الشَّـــامِ، أَلَّا

وَإِنَّ الْإِيمَانَ - حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ. رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَيْهَقِيُّ، وَقَالَ: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

فَبَعْدَ أَنْ تَنَازَلَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - صَاحِبُ الفَضَائِلِ

الكَثِيرَةِ وَالمَنَاقِبِ الكَبِيرَةِ – عَنِ الخِلَافَةِ، وَسَلَّمَ المُلْكَ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ، وَاسْتَقَامَ الأَمْرُ؛ كَانَتْ نَقْلَةً جَدِيدَةً فِي التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ، فَعَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -: «الْخِلَافَةُ بِالْمَدِينَةِ، وَالْمُلْكُ بِالشَّامِ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: غَرِيبٌ جِدًّا.

وَبَعْدُ: فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يُسَلِّمُ لله التَّسْلِيمَ الكَامِلَ. قَالَ تَعَالَى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ). وَقَالَ تَعَالَى: (وَرَبُّكَ

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عُمَيْرَةَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهَّ - صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، عَنِ النَّبِيِّ -

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، وَاهْدِ بِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُ، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وَلِلْحَدِيثِ

طُـــرُقٌ، وَقَـــدْ صُحِّـــحَ.

قَـــالَ ابْـــنُ كَثِـــيرٍ:
فَضْـــلُ مُعَاوِيَـــةَ بْـــنِ أَبِي
سُـــفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ
هُـــوَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُـــفْيَانَ
الْقُـــرَشِيُّ الْأُمَـــوِيُّ، خَـــالُ

الْمُؤْمِنِينَ، وَكَاتِبُ وَحْيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَسْلَمَ هُوَ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ، أَنَّهُ قَالَ: أَسْلَمْتُ يَوْمَ عُمْرَةِ القَضَاءِ، وَلَكِنِّي

كَتَمْتُ إِسْلَامِي مِنْ أَبِي
إِلَى يَوْمِ الْفَتْحِ، وَقَدْ كَانَ
أَبُوهُ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَآلَتْ إِلَيْهِ
رِيَاسَةُ قُرَيْشٍ بَعْدَ يَوْمِ
بَدْرٍ، فَكَانَ هُوَ أَمِيرَ
الْحُرُوبِ مِنْ ذَلِكَ

الْجَانِبِ، وَكَانَ رَئِيسًا مُطَاعًا ذَا مَالٍ جَزِيلٍ، وَلَمَّا أَسْلَمَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، مُرْنِي حَتَّى أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَمُعَاوِيَةُ

تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ، قَالَ: «نَعَمْ».

وَالْمَقْصُودُ أَنْ مُعَاوِيَةَ كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعَ غَيْرِهِ مِنْ كُتَّابِ الْوَحْيِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وَلَمَّا فُتِحَتِ الشَّامُ وَلَّاهُ
عُمَرُ نِيَابَةَ دِمَشْقَ بَعْدَ
أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ،
وَأَقَرَّهُ عَلَى ذَلِكَ عُثْمَانُ
بْنُ عَفَّانَ وَزَادَهُ بِلَادًا
أُخْرَى، وَهُوَ الَّذِي
بَنَى الْقُبَّةَ الْخَضْرَاءَ

بِدِمَشْقَ وَسَكَنَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَهُ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ. انتهى.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «لَمَّا مَاتَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ؛ اسْتَعْمَلَ أَخَاهُ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ

عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِرَاسَةً، وَأَخْبَرِهِمْ بِالرِّجَالِ.

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: «حَسْبُكَ بِمَنْ يُؤَمِّرُهُ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ عَلَى إِقْلِيمٍ - وَهُوَ ثَغْرٌ - فَيَضْبِطُهُ وَيَقُومُ بِهِ

أَتَمَّ قِيَامٍ، وَيَرْضَى النَّاسُ بِسَخَائِهِ وَحِلْمِهِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ تَأَلَّمَ مَرَّةً مِنْهُ، وَكَذَلِكَ فَلْيَكُنِ الْمُلْكُ».

٣٨- شَعْرَة معاوية

عَنْ أُمِّ حَرَامٍ رَضِيَ اللهُ

عَنْهَا، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: أَنْتِ فِيهِمْ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ، قُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَـالَ: لَا). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي فَتْـحِ البَـارِي قَوْلُـهُ:

«قَـدْ أَوْجَبُـوا»؛ أَيْ:

«فَعَلُـوا فِعْـلًا وَجَبَـتْ

لَهُـمْ بِـهِ الجَنَّـةِ».

فَالْغَـزْوَةُ الْأُولَى فِي الْبَحْـرِ

كَانَـتْ فِي سَـنَةِ سَـبْعٍ

وَعِشْرِينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حِينَ غَزَا قُبْرُصَ وَهُوَ نَائِبُ الشَّامِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ.

وَالْغَزْوَةُ الثَّانِيَةُ غَزْوَةُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ مَعَ أَوَّلِ جَيْشٍ غَزَاهَا، وَكَانَ

أَمِيرُهَا يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ.

وَقَدْ جَمَعَ اللهُ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَضَائِلَ وَمَنَاقِبَ تُذْكَرُ فَتُشْكَرُ، وَتُرْوَى وَلَا تُطْوَى، فِي مَجَالِ العِلْمِ،

وَالسِّيَاسَةِ، وَالدَّعْوَةِ، وَالجِهَادِ، وَغَيْرِهَا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فِي أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ: «إِنَّهُ فَقِيهٌ»، وَكَانَ يَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا كَانَ أَخْلَقَ

لِلْمُلْكِ مِنْ مُعَاوِيَةَ».

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو، وَكَذَلِكَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْوَدَ مِنْ مُعَاوِيَةَ.

وَمِنْ مَنَاقِبِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سِيَاسَتُهُ

النَّاسَ سِيَاسَةً حَكِيمَةً رَشِيدَةً، وَقَلَّ أَنْ يَسْلَمَ مُلْكٌ مِنْ زَلَّةٍ.

حُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَيْفَ حَكَمْتَ الشَّامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَمْ تَحْدُثْ

فِتْنَـةٌ؟ فَقَـالَ: «إِنِّي لَا أَضَعُ
سَـــيْفِي حَيْـــثُ يَكْفِينِـــي
سَوْطِي، وَلَا أَضَعُ سَوْطِي
حَيْـــثُ يَكْفِينِـــي لِسَـــانِي،
وَلَـــوْ أَنَّ بَيْنِي وَبَـــيْنَ النَّاسِ
شَـــعْرَةً مَـــا انْقَطَعَـــتْ،
كَانُوا إِذَا مَدُّوهَـــا أَرْخَيْتُهَا،

وَإِذَا أَرْخَوْهَا مَدَدْتُهَا».

وَمِنْ مَنَاقِبِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَاتَلَ الخَوَارِجَ لَمَّا خَرَجُوا عَلَيْهِ حَتَّى أَخْمَدَ نَارَهُمْ.

وَمِنْ مَنَاقِبِهِ: غَزْوُ الرُّومِ صَيْفًا وَشِتَاءً.

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَسِيرُ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ، فَذَكَرُوا الشَّامَ، فَقَالَ رَجُلٌ: كَيْفَ نَسْتَطِيعُ الشَّامَ وَفِيهِ الرُّومُ؟! قَالَ:

وَمُعَاوِيَةُ فِي القَوْمِ وَبِيَدِهِ عَصَا، فَضَرَبَ بِهَا كَتِفَ مُعَاوِيَةَ، وَقَالَ: «يَكْفِيكُمُ اللهُ بِهَذَا». قَالَ الذَّهَبِيُّ: هَذَا مُرْسَلٌ قَوِيٌّ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ: لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ

لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ غَازِيَةٌ تَغْزُو، حَتَّى كَانَ عَامُ الجَمَاعَةِ، فَأَغْزَا مُعَاوِيَةُ أَرْضَ الرُّومِ سِتَّ عَشْرَةَ غَزْوَةً، تَذْهَبُ سَرِيَّةٌ فِي الصَّيْفِ وَيُشَتُّوا بِأَرْضِ الرُّومِ، ثُمَّ

تَقْفِلُ وَتَعْقُبُهَا أُخْرَى.

قَالَ الذَّهَبِيُّ: «وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَيْرًا مِنْهُ بِكَثِيرٍ وَأَفْضَلَ وَأَصْلَحَ، فَهَذَا الرَّجُلُ

سَـــادَ وَسَـــاسَ العَـــالَمَ
بِكَـــمَالِ عَقْلِـــهِ، وَفَـــرْطِ
حِلْمِـــهِ، وسَـــعَةِ نَفْسِـــهِ،
وَقُـــوَّةِ دَهَائِـــهِ وَرَأْيِـــهِ ...
وَكَانَ مُحَبَّبًـــا إِلَى رَعِيَّتِـــهِ،
عَمِـــلَ فِي نِيَابَـــةِ الشَّـــامِ
عِشْرِيـــنَ سَـــنَةً، وَالخِلَافَـــةِ

عِشْرِينَ سَنَةً، وَلَمْ يَهْجُهُ
أَحَدٌ فِي دَوْلَتِهِ؛ بَلْ
دَانَتْ لَهُ الأُمَمُ، وَحَكَمَ
عَلَى العَرَبِ وَالعَجَمِ،
وَكَانَ مُلْكُهُ عَلَى
الحَرَمَيْنِ وَمِصْرَ وَالشَّامِ
وَالعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ

وَفَـــارِسَ وَالجَزِيـــرَةِ

وَاليَمَـــنِ وَالمَغْـــرِبِ

وَغَـــيْرِ ذَلِـــكَ». انتهـــى.

قَـــالَ ابْـــنُ كَثِـــيرٍ: وَالسُـــنَّةُ

أَنْ يُقَـــالَ لِمُعَاوِيَـــةَ:

مَلِـــكٌ، وَلَا يُقَـــالُ لَـــهُ:

خَلِيفَـــةٌ؛ لِحَدِيـــثِ سَـــفِينَةَ.

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «كَانَتْ إِمَارَةُ مُعَاوِيَةَ مُلْكًا وَرَحْمَةً، وَبَعْدَهُ وَقَعَ مُلْكٌ عَضُوضٌ».

٣٩- لا تَذْكُروا

معاويـــة إلا بخـــير

قَالَ ابْـنُ عَسَـاكِرَ: وَأَصَحُّ مَـا رُوِيَ فِي فَضْـلِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ، حَدِيـثُ أَبِي جَمْـرَةَ، عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُـمَا: أَنَّـهُ كَانَ كَاتِـبَ النَّبِـيِّ –

صَـــلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّمَ – مُنْـــذُ أَسْـــلَمَ. أَخْرَجَـــهُ مُسْـــلِمٌ فِي صَحِيحِـــهِ. وَقَـــالَ عَبْـــدُ المَلِـــكِ المَيْمُـــونِيُّ: قُلْـــتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَـــلٍ: أَلَيْـــسَ قَـــالَ النَّبِـــيُّ – صَـــلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّمَ

-: (كُلُّ صِهْرٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ، إِلَّا صِهْرِي وَنَسَبِي)؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: وَهَذِهِ لِمُعَاوِيَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَهُ صِهْرٌ وَنَسَبٌ، قَالَ: وَسَمِعْتُ ابْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ:

مَـــا لَهُـــمْ وَلِمُعَاوِيَـــةَ؟!،
نَسْـــأَلُ اللهَ العَافِيَـــةَ.
وَقَـــالَ عُمَـــرُ بْـــنُ الخَطَّـــابِ
رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ: «لَا تَذْكُرُوا
مُعَاوِيَـــةَ إِلَّا بِخَـــيْرٍ».
وَقَـــالَ الزُّهْـــرِيُّ: سَـــأَلْتُ
سَـــعِيدَ بْـــنَ المُسَـــيَّبِ

عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ
اللهِ ﷺ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - فَقَالَ لِي:
اسْمَعْ يَا زُهْرِيُّ، مَنْ
مَاتَ مُحِبًّا لِأَبِي بَكْرٍ،
وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ،
وَشَهِدَ لِلْعَشَرَةِ بِالجَنَّةِ،

وَتَرَحَّمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُنَاقِشَهُ الحِسَابَ.

وَقَالَ المَيْمُونِيُّ: قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: يَا أَبَا الحَسَنِ، إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَذْكُرُ أَحَدًا

مِـــنَ الصَّحَابَـــةِ بِسُـــوءٍ
فَاتَّهِمْـــهُ عَـــلَى الإِسْـــلَامِ.
وَقَـــالَ الفَضْـــلُ بْـــنُ زِيَـــادٍ:
سَـــمِعْتُ أَبَـــا عَبْـــدِ اللهِ أَحْمَدَ
بْـــنَ حَنْبَـــلٍ يُسْـــأَلُ عَـــنْ
رَجُـــلٍ تَنَقَّـــصَ مُعَاوِيَـــةَ
وَعَمْـــرَو بْـــنَ العَـــاصِ،

أَيُقَالُ لَهُ: رَافِضِيٌّ؟

فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَجْتَرِئْ عَلَيْهِمَا إِلَّا وَلَهُ خَبِيئَةُ سُوءٍ، مَا انْتَقَصَ أَحَدٌ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَّا وَلَهُ دَاخِلَةُ سُوءٍ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ

مَيْسَرَةَ: «مَا رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ ضَرَبَ إِنْسَانًا قَطُّ، إِلَّا إِنْسَانٌ شَتَمَ مُعَاوِيَةَ، فَإِنَّهُ ضَرَبَهُ أَسْوَاطًا.

وَقَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ: «مَنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ

أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَبَا بَكْرٍ أَوْ عُمَرَ أَوْ عُثْمَانَ أَوْ مُعَاوِيَةَ أَوْ عَمْرَو بْنَ العَاصِ؛ فَإِنْ قَالَ: كَانُوا عَلَى ضَلَالٍ وَكُفْرٍ: قُتِلَ، وَإِنْ شَتَمَهُمْ بِغَيْرِ

هَـذَا مِـنْ مُشَـاتَمَةِ النَّـاسِ:
نُـكِلَ نَـكَالًا شَـدِيدًا».
وَقَـالَ مُحَمَّـدُ بْـنُ يَحْيَـى:
سُـئِلَ ابْـنُ الْمُبَـارَكِ: أَيُّهُـمَا
أَفْضَـلُ؟ مُعَاوِيَـةُ أَوْ عُمَـرُ
بْـنُ عَبْـدِ العَزِيـزِ؟ فَقَـالَ:
«لَـتُرَابُ فِي مِنْخَـرَيْ

مُعَاوِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ».

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ المَرْوَذِيُّ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: أَيُّهُمَا

أَفْضَلُ: مُعَاوِيَةُ أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ؟ فَقَالَ: مُعَاوِيَةُ أَفْضَلُ، لَسْنَا نَقِيسُ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَحَدًا.

قَالَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ:

مُعَاوِيَةُ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنَ العُلَمَاءِ الكِبَارِ.

وَسُئِلَ المُعَافَى بْنُ عِمْرَانَ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مُعَاوِيَةُ أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ؟ فَغَضِبَ، وَقَالَ لِلسَّائِلِ: أَتَجْعَلُ رَجُلًا

مِـنَ الصَّحَابَـةِ مِثْـلَ رَجُلٍ مِـنَ التَّابِعِـينَ؟ مُعَاوِيَـةُ صَاحِبُـهُ وَصِهْـرُهُ وَكَاتِبُـهُ وَأَمِينُـهُ عَـلَى وَحْـيِ اللهِ. وَقَـدْ قَـالَ رَسُـولُ اللهِ - صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -: «دَعُـوا لِي أَصْحَـابِي

وَأَصْهَارِي، فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

وَقَالَ: مُعَاوِيَةُ أَفْضَلُ مِنْ سِتِّمِائَةٍ مِثْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ.

وَرَوَى البَيْهَقِيُّ عَنِ

الإِمَامِ أَحْمَدَ، أَنَّهُ قَالَ:
الخُلَفَاءُ: أَبُو بَكْرٍ،
وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ.
فَقِيلَ لَهُ: فَمُعَاوِيَةُ؟
قَالَ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ
أَحَقَّ بِالخِلَافَةِ فِي
زَمَانِ عَلِيٍّ مِنْ عَلِيٍّ،

رَحِمَ اللهُ مُعَاوِيَةَ.

٤٠- وفاة معاوية، ومبايعة وَلَدِه يَزِيدَ

أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ،

قَـالَ: فَـمَا الَّـذِي يَجْعَلُـكَ
يَـا مِسْـوَرُ أَحَـقَّ بِـأَنْ
تَرْجُـوَ أَنْـتَ المَغْفِـرَةَ
مِنِّـي، فَـوَاللهِ لَمَـا إِلَيَّ مِـنْ
إِصْـلَاحِ الرَّعَايَـا، وَإِقَامَـةِ
الحُـدُودِ، وَالإِصْـلَاحِ
بَـيْنَ النَّـاسِ، وَالجِهَـادِ

فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالأُمُورِ
العِظَامِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا
إِلَّا اللهُ وَلَا نُحْصِيهَا: أَكْثَرُ
مِنَ العُيُوبِ وَالذُّنُوبِ،
وَإِنِّي لَعَلَى دِينٍ يَقْبَلُ
اللهُ فِيهِ الحَسَنَاتِ،
وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ.

قَـالَ: فَفَكَّـرْتُ حِـينَ قَالَ لِي مَـا قَـالَ، فَعَرَفْـتُ أَنَّـهُ قَـدْ خَصَمَنِي. قَـالَ: فَكَانَ المِسْـوَرُ إِذَا ذَكَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ دَعَـا لَـهُ بِخَـيْرٍ. انتهـى.

قَـالَ ابْـنُ كَثِـيرٍ: «وَلَمْ تَـزَلِ الفُتُوحَـاتُ وَالجِهَـادُ قَائِمًا

عَلَى سَـاقِهِ فِي أَيَّامِهِ فِي بِلَادِ الـرُّومِ وَالفِرِنْـجِ وَغَيْرِهَا. فَلَـمَّا كَانَ مِـنْ أَمْـرِهِ وَأَمْـرِ أَمِـيرِ الْمُؤْمِنِـينَ عَـلِيٍّ مَـا كَانَ، لَمْ يَقَـعْ فِي تِلْـكَ الأَيَّـامِ فَتْـحٌ بِالكُلِّيَّـةِ، لَا عَـلَى يَدَيْـهِ وَلَا عَـلَى يَـدَيْ

عَـلِيٍّ، وَطَمِـعَ فِي مُعَاوِيَـةَ مَلِـكُ الـرُّومِ بَعْـدَ أَنْ كَانَ قَـدْ أَخْشَـاهُ وَأَذَلَّـهُ، وَقَهَـرَ جُنْـدَهُ وَدَحَرَهُـمْ. فَلَـمَّا رَأَى مَلِـكُ الـرُّومِ اشْـتِغَالَ مُعَاوِيَـةَ بِحَـرْبِ عَـلِيٍّ تَدَانَـى إِلَى بَعْـضِ

الْبِلَادِ فِي جُنُودٍ عَظِيمَةٍ وَطَمِعَ فِيهِ، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَيْهِ: وَاللهِ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ وَتَرْجِعْ إِلَى بِلَادِكَ يَا لَعِينُ؛ لَأَصْطَلِحَنَّ أَنَا وَابْنُ عَمِّي عَلَيْكَ، وَلَأُخْرِجَنَّكَ مِنْ جَمِيعِ

بِـــلَادِكَ، وَلَأُضَيِّقَـــنَّ
عَلَيْـــكَ الأَرْضَ بِـــمَا
رَحُبَـــتْ. فَعِنْـــدَ ذَلِـــكَ
خَـــافَ مَلِـــكُ الـــرُّومِ
وَانْكَـــفَّ، وَبَعَـــثَ
يَطْلُـــبُ الهُدْنَـــةَ». انتهـــى.
وَكَانَ مُعَاوِيَـــةُ لَمَّـــا صَالَـــحَ

الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَهِدَ لَهُ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، فَلَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ، عَقَدَ مُعَاوِيَةُ الْبَيْعَةَ لِوَلَدِهِ يَزِيدَ، وَكَتَبَ إِلَى الْآفَاقِ بِذَلِكَ، فَبَايَعَ لَهُ النَّاسُ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ، إِلَّا مَا

قِيلَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَعَبْدِ اللهِ
بْنِ عُمَرَ، وَالْحُسَيْنِ
بْنِ عَلِيٍّ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ
الزُّبَيْرِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، ثُمَّ
خَطَبَ مُعَاوِيَةُ وَهَؤُلَاءِ
حُضُورٌ تَحْتَ مِنْبَرِهِ،

وَبَايَعَ النَّاسُ لِيَزِيدَ وَهُمْ قُعُودٌ، وَلَمْ يُوَافِقُوا وَلَمْ يُظْهِرُوا خِلَافًا.

وَقَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فِيمَا خَاطَبَهُ بِهِ: إِنِّي خِفْتُ أَنْ أَذَرَ الرَّعِيَّةَ مِنْ بَعْدِي - يَعْنِي إِنْ تَرَكْتُهَا شُورَى

- كَالْغَنَمِ الْمُطِيرَةِ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِذَا بَايَعَهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ بَايَعْتُهُ، وَلَوْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ.

وَرُوِي عَنْ مُعَاوِيَةَ، أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا فِي خُطْبَتِهِ:

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي وَلَّيْتُهُ لِأَنَّهُ فِيمَا أَرَاهُ أَهْلٌ لِذَلِكَ؛ فَأَتْمِمْ لَهُ مَا وَلَّيْتُهُ، وَإِنْ كُنْتُ وَلَّيْتُهُ لِأَنِّي أُحِبُّهُ؛ فَلَا تُتْمِمْ لَهُ مَا وَلَّيْتُهُ.

وَتُوُفِّيَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ

اللهُ عَنْـــهُ بِدِمَشْـــقَ، لَيْلَـــةَ الخَمِيـــسِ، لِلنِّصْـــفِ مِـــنْ رَجَـــبٍ، سَـــنَةَ سِـــتِّينَ، وَقَـــدْ جَـــاوَزَ عُمْـــرُهُ الثَّمَانِـــينَ، فَرَحِمَـــهُ اللهُ، وَغَفَـــرَ لَـــهُ، وَعَفَـــا عَنْـــهُ.

٤١ بِدَايَةُ عَهْدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ

وَبَعْدَ أَنْ بُوِيعَ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بِالإِمْرَةِ بَعْدَ أَبِيهِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتِّينَ، وَكَانَ ابْنَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، أَقَرَّ نُوَّابَ أَبِيهِ عَلَى

الْأَقَالِيمِ، وَاهْتَمَّ بِبَيْعَةِ
النَّفَرِ الَّذِينَ أَبَوْا عَلَى
أَبِيهِ الْبَيْعَةَ لَهُ بِوِلَايَةِ
العَهْدِ، فَكَتَبَ إِلَى نَائِبِ
الْمُدِينَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ
بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: أَمَّا بَعْدُ،
فَخُذْ حُسَيْنًا، وَعَبْدَ اللهِ

بْنَ عُمَرَ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ بِالْبَيْعَةِ. فَبَايَعَ ابْنُ عُمَرَ مَعَ النَّاسِ، وَأَمَّا الْحُسَيْنُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ، فَإِنَّهُمَا قَدِمَا مَكَّةَ. وَلَمَّا عَزَلَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْوَلِيدَ بْنَ

عُتْبَةَ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ،
وَأَضَافَهَا إِلَى عَمْرِو بْنِ
سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَمِيرِ
مَكَّةَ: انْتَقَلَ عَمْرٌو إِلَى
الْمَدِينَةِ، وَجَعَلَ يَبْعَثُ
الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ لِحَرْبِ
عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ،

حَـــوَارِيِّ رَسُـــولِ اللهِ –
ﷺ – وَابْـنِ عَمَّتِـهِ. وَهُـوَ
مِـــنْ صِغَـــارِ الصَّحَابَـــةِ،
وَمِـــنَ العُلَـــمَاءِ الكِبَـــارِ
المُجَاهِدِيـــنَ العُبَّـــادِ. ذُكِـــرَ
عِنْـــدَ ابْـــنِ عَبَّـــاسٍ،
فَقَـــالَ: قَـــارِئٌ لِكِتَـــابِ

اللهِ، عَفِيفٌ فِي الإِسْلَامِ، أَبُوهُ الزُّبَيْرُ، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ، وَجَدُّهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّتُهُ خَدِيجَةُ، وَخَالَتُهُ عَائِشَةُ، وَجَدَّتُهُ صَفِيَّةُ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ، أَنَّ أَبَا شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيَّ، قَالَ

لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ:

ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْ أُحَدِّثَكَ حَدِيثًا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ، سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي

حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ، إِنَّهُ حَمِدَ اللهَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُّ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهَا لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِي إِلَّا

سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ قَدْ صَارَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - فِيهَا، فَقُولُوا: لَمْ

إِنَّ اللهَّ أَذِنَ لِرَسُولِهِ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ»، فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ: مَا قَالَ لَكَ؟ فَقَالَ: قَالَ لِي: نَحْنُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ، إِنَّ الْحَرَمَ لَا يُعِيذُ عَاصِيًا، وَلَا فَارًّا

بِـــدَمٍ، وَلَا فَـــارًّا بِخَرْبَـــةٍ.

٤٢- تَمَكُّـــنُ ابْـــنِ الزُّبَـــيْرِ مِـــنْ مَكَّـــةَ، وَعَزْمُ الحُسَـــيْنِ عَـــلَى المَسِـــيرِ لِلْعِـــرَاقِ لَقَـــدْ شَـــغَلَ يَزِيـــدَ بْـــنَ مُعَاوِيَـــةَ إِصْرَارُ الحُسَـــيْنِ

بْنِ عَلِيٍّ، وَعَبْدِ اللهِ
بْنِ الزُّبَيْرِ، عَلَى تَرْكِ
مُبَايَعَتِهِ، وَقَدْ بَايَعَهُ ابْنُ
عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَمَّا
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ،
فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ، وَكَانُوا
جَمِيعًا قَدْ تَوَقَّفُوا عَنْ

مُبَايَعَتِـــهِ وَلِيًّـــا لِلْعَهْـــدِ.

وَالأَطَـــمُّ عَـــلَى يَزِيـــدَ تَمَكُّنُ

ابْـــنِ الزُّبَيْرِ وَقُوَّتُـــهُ فِي مَكَّةَ؛

فَبُعُـــوثُ عَمْـــرِو بْنِ سَـــعِيدٍ

إِلَيْـــهِ بَـــاءَتْ بِالفَشَـــلِ،

وَأَثْبَـــتَ عَبْدُ اللهِ بْـــنُ الزُّبَيْرِ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُـــمَا وُجُـــودَهُ

بِانْتِصَارِهِ عَلَى سَرَايَاهُ.
وَالطَّامَّةُ الأُخْرَى الَّتِي
تُوَاجِهُ يَزِيدَ: تَحَرُّكُ
الحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
سِبْطِ رَسُولِ اللهِ -
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- صَاحِبِ الشَّرَفِ

وَالسُّــؤْدَدِ، فِي عِدَادِ صِغَارِ
الصَّحَابَــةِ، وَالنَّــاسُ
لَا تُقَــدِّمُ عَلَيْــهِ أَحَــدًا،
وَقَــدْ جَاءَتْــهُ الكُتُــبُ
مِــنَ العِــرَاقِ تَدْعُــوهُ إِلَى
المَجِــيءِ إِلَيْهِــمْ؛ لِمُبَايَعَتِــهِ
بَــدَلًا مِــنْ مُبَايَعَــةِ يَزِيــدَ،

فَعِنْدَ ذَلِكَ: بَعَثَ ابْنَ عَمِّهِ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْعِرَاقِ، لِيَكْشِفَ لَهُ حَقِيقَةَ هَذَا الْأَمْرِ وَالِاتِّفَاقِ، فَإِنْ كَانَ مُتَحَتِّمًا وَأَمْرًا حَازِمًا مُحْكَمًا بَعَثَ إِلَيْهِ لِيَرْكَبَ

فِي أَهْلِـهِ وَذَوِيـهِ، وَيَـأْتِيَ
الْكُوفَـةَ لِيَظْفَـرَ بِمَـنْ
يُعَادِيـهِ، وَكَتَـبَ مَعَـهُ
كِتَابًـا إِلَى أَهْـلِ الْعِـرَاقِ
بِذَلِـكَ، فَسَـارَ مُسْـلِمٌ،
فَتَسَـامَعَ أَهْـلُ الْكُوفَـةِ
بِقُدُومِـهِ، فَجَاءُ عَـدَدٌ كَبِيرٌ

إِلَيْـهِ فَبَايَعُـوهُ عَـلَى إِمْـرَةِ الْحُسَـيْنِ، فَكَتَـبَ مُسْـلِمٌ إِلَى الْحُسَـيْنِ لِيَقْـدَمَ عَلَيْهَا؛ فَقَـدْ تَمَهَّـدَتْ لَـهُ الْبَيْعَـةُ وَالْأُمُـورُ، فَتَجَهَّزَ الْحُسَـيْنُ مِـنْ مَكَّـةَ قَاصِـدًا الْكُوفَةَ.

وعَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ، قَـالَ:

اسْتَشَارَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي الْخُرُوجِ، فَقُلْتُ: لَوْلَا أَنْ يُزْرِيَ بِي وَبِكَ النَّاسُ لَشَبَّثْتُ يَدِي فِي رَأْسِكَ فَلَمْ أَتْرُكْكَ تَذْهَبُ، إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَوْمٌ غُدُرٌ، فَلَا تَغْتَرَّنَّ

بِهِمْ! فَقَالَ الْحُسَيْنُ: يَا ابْنَ عَمِّ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ نَاصِحٌ شَفِيقٌ، وَلَكِنِّي قَدْ أَزْمَعْتُ الْمُسِيرَ، فَقَالَ لَهُ: فَإِنْ كُنْتَ وَلَا بُدَّ سَائِرًا فَلَا تَسِرْ بِأَوْلَادِكَ وَنِسَائِكَ،

فَـوَاللهِ إِنِّي لَخَائِـفٌ أَنْ تُقْتَلَ
كَـمَا قُتِـلَ عُثْـمَانُ وَنِسَـاؤُهُ،
وَوَلَـــدُهُ يَنْظُـــرُونَ إِلَيْـــهِ.
وكَتَـــبَ يَزِيـــدُ إِلَى عُبَيْـــدِ
اللهِ بْـــنِ زِيَـــادٍ وَالِي
الْبَـــصْرَةِ وَالْكُوفَـــةِ:
أَنِ اطْلُـــبْ مُسْـــلِمَ بْـــنَ

عَقِيلٍ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ فَاقْتُلْهُ أَوِ انْفِهِ.

وَبَعْدَ أَنْ تَخَلَّى عَنْ مُسْلِمٍ أَهْلُ العِرَاقِ، تَمَكَّنَ عُبَيْدُ اللهِ مِنَ القَبْضِ عَلَيْهِ وَقَتْلِهِ، إِلَّا أَنَّ مُسْلِمًا - وَهُوَ أَسِيرٌ - قَدْ بَعَثَ إِلَى

الْحُسَيْنِ يأْمُرُهُ بِالرُّجُوعِ، فَلَمْ يُصَدِّقِ الْحُسَيْنُ الرَّسُولَ فِي ذَلِكَ.

٤٣- إِصْرَارُ الْحُسَيْنِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَلَى الْخُرُوجِ لِلْعِرَاقِ

عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَلَحِقَهُ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْعِرَاقَ، وَإِذَا مَعَهُ

طَوَامِيرُ وَكُتُبٌ، فَقَالَ: هَذِهِ كُتُبُهُمْ وَبَيْعَتُهُمْ، فَقَالَ: لَا تَأْتِهِمْ، فَأَبَى. فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا، إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَخَيَّرَهُ

بَـــيْنَ الدُّنْيَـــا وَالْآخِـــرَةِ،
فَاخْتَـــارَ الْآخِـــرَةَ وَلَمْ يُـــرِدِ
الدُّنْيَـــا، وَإِنَّـــكَ بَضْعَـــةٌ
مِـــنْ رَسُـــولِ اللهِ، وَاللهِ مَـــا
يَلِيهَـــا أَحَـــدٌ مِنْكُـــمْ أَبَـــدًا،
وَمَـــا صَرَفَهَـــا اللهُ عَنْكُـــمْ
إِلَّا لِلَّـــذِي هُـــوَ خَـــيْرٌ

لَكُمْ، فَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ.

قَالَ: فَاعْتَنَقَهُ ابْنُ عُمَرَ وَبَكَى، وَقَالَ: أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ مِنْ قَتِيلٍ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ مِينَا، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: وَاللهِ

لَـــوْ أَدْرَكْـــتُ الْحُسَـــيْنَ
مَـــا تَرَكْتُـــهُ يَخْـــرُجُ إِلَّا أَنْ
يَغْلِبَنِـــي، بِبَنِـــي هَاشِـــمٍ
فُتِـــحَ هَـــذَا الأَمْـــرُ، وَبِبَنِـــي
هَاشِـــمٍ يُخْتَـــمُ، فَـــإِذَا رَأَيْتَ
الْهَاشِـــمِيَّ قَـــدْ مَلَـــكَ
فَقَـــدْ ذَهَـــبَ الزَّمَـــانُ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: قُلْتُ: وَهَذَا مَعَ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الفَاطِمِيِّينَ أَدْعِيَاءُ كَذَبَةٌ، لَمْ يَكُونُوا مِنْ سُلَالَةِ فَاطِمَةَ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ.

وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ،
عَنِ الحُسَيْنِ، أَنَّهُ قَالَ
لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ:
أَتَتْنِي بَيْعَةُ أَرْبَعِينَ
أَلْفًا يَحْلِفُونَ بِالطَّلَاقِ
وَالعَتَاقِ إِنَّهُمْ مَعِي،
فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ:

أَتَخْرُجُ إِلَى قَوْمٍ قَتَلُوا
أَبَاكَ وَأَخْرَجُوا أَخَاكَ؟!
وَأَشَارَ عَلَيْهِ آخَرُونَ
بِأَنْ لَا يَخْرُجَ فَاعْتَذَرَ،
فَلَمَّا خَرَجَ أَشَارَ عَلَيْهِ
نَاصِحُونَ بِأَنْ يَرْجِعَ فَمَا
رَجَعَ؛ حَيْثُ عَشَرَاتُ

الآلَافِ تَنْتَظِرُهُ، قَالَ تَعَالَى: (لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۚ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ).

فَوَاصَلَ السَّيْرَ إِلَى الكُوفَةِ، وَمَا عَلِمَ

بِخِـــذْلَانِ مَـــنْ وَعَـــدُوهُ وَبَايَعُـــوهُ، فَتَخَلَّفُـــوا عَنْـــهُ إِمَّـــا خَوْفًـــا، أَوْ لِاسْـــتِهَالَةٍ، وَقَـــدْ قَـــالَ لَـــهُ الصَّادِقُـــونَ: إِنَّ قُلُـــوبَ أَهْـــلِ الكُوفَـــةِ مَعَـــكَ، وَسُـــيُوفَهُمْ مَـــعَ بَنِـــي أُمَيَّةَ.

وَلَمَّا انْتَدَبَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ يَزِيدَ وَوَالِيهِ عَلَى العِرَاقِ - عُمَرَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ لِقِتَالِ الحُسَيْنِ وَأَنْصَارِهِ؛ لَقِيَهُ بِكَرْبَلَاءَ، وَدَارَ بَيْنَهُمَا وَبَقِيَّةِ القَادَةِ

الحِوَارُ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ
الرُّجُوعَ لِعَدَمِ صِدْقِ
أَهْلِ الكُوفَةِ فِيمَا كَتَبُوا
إِلَيْهِ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ
بَعْضُهُمْ، وَأَصَرُّوا إِلَّا أَنْ
يَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ ابْنِ
زِيَادٍ، فَأَبَى الحُسَيْنُ رَضِيَ

اللهُ عَنْـهُ، وَخَطَـبَ فِيمَـنْ
مَعَـهُ بِـأَنْ يَعُـودُوا فِي جُنْحِ
الظَّـلَامِ فَإِنَّـهُ مَقْصُـودٌ.
فَرَجَـعَ كَثِـيرٌ مِمَّـنْ لِحَـقَ
بِـهِ، وَثَبَـتَ مَـنْ خَـرَجَ
مَعَـهُ، وَدَافَعُـوا عَنْـهُ
دِفَاعًـا مُسْـتَمِيتًا، وَفَـدَوْهُ

بِأَنْفُسِهِمْ، وَأَظْهَرُوا لَهُ أَنَّ
الْبَقَاءَ بَعْدَهُ لَا قِيمَةَ لَهُ،
وَتَهَيَّبَ غَالِبُ عَسْكَرِ
عُمَرَ مِنْ أَذِيَّتِهِ، وَأَنْكَرُوا
عَلَى مَنْ قَصَدَهُ بِسُوءٍ،
وَاشْتَبَكَ الفَرِيقَانِ حَتَّى
قُتِلَ بَيْنَ يَدَيِ الحُسَيْنِ

عَـــدَدٌ مِـــنْ آلِ البَيْـــتِ
وَمِـــنْ أَنْصَـــارِهِ، وَاشْـــتَدَّتِ
الأُمُـــورُ، وَتَـــأَزَّمَ الوَضْـــعُ،
إِلَى أَنْ قُتِـــلَ الحُسَـــيْنُ رَضِيَ
اللهُ عَنْـــهُ فِي يَـــوْمِ عَاشُـــورَاءَ
مِـــنْ شَـــهْرِ المُحَـــرَّمِ، سَـــنَةَ
إِحْـــدَى وَسِـــتِّينَ، عَـــلَى

الْمُشْهُورِ الَّذِي صَحَّحَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَمَانٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً تَقْرِيبًا، فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَعَنْ آلِهِ وَأَنْصَارِهِ.

٤٤- اسْتِشْهَادُ الْحُسَيْنِ

[رَضِيَ اللهُ عَنْهُ]

وَنَفَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ

اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «رَأَيْتُ

رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي المَنَامِ

نِصْفَ النَّهَارِ أَشْعَثَ

أَغْبَرَ، مَعَهُ قَارُورَةٌ فِيهَا دَمٌ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا دَمُ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ، لَمْ أَزَلْ أَلْتَقِطُهُ مُنْذُ الْيَوْمِ».

قَالَ عَمَّارٌ: فَأَحْصَيْنَا

ذَلِـــكَ الْيَـــوْمَ فَوَجَدْنَـــاهُ قَـــدْ قُتِـــلَ فِي ذَلِـــكَ الْيَـــوْمِ.

قَـــالَ ابْـــنُ كَثِـــيرٍ: تَفَـــرَّدَ بِـــهِ أَحْمَـــدُ وَإِسْـــنَادُهُ قَـــوِيٌّ.

وَعَـــنِ الْحَسَـــنِ الْبَـــصْرِيِّ، أَنَّـــهُ قَـــالَ: قُتِـــلَ مَـــعَ الْحُسَـــيْنِ سِـــتَّةَ عَـــشَرَ

رَجُلًا كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ شِبْهٌ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَقَالَ غَيْرُهُ: قُتِلَ مَعَهُ مِنْ وَلَدِهِ وَإِخْوَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا؛

فَمِنْ أَوْلَادِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: جَعْفَرٌ، وَالْحُسَيْنُ، وَالْعَبَّاسُ، وَمُحَمَّدٌ، وَعُثْمَانُ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَمِنْ أَوْلَادِ الْحُسَيْنِ: عَلِيٌّ الْأَكْبَرُ، وَعَبْدُ اللهِ، وَمِنْ أَوْلَادِ أَخِيهِ

الْحَسَنِ: ثَلَاثَةٌ؛ عَبْدُ اللهِ، وَالْقَاسِمُ، وَأَبُو بَكْرٍ بَنُو الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمِنْ أَوْلَادِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ: اثْنَانِ؛ عَوْنٌ، وَمُحَمَّدٌ، وَمِنْ أَوْلَادِ عَقِيلٍ: جَعْفَرٌ،

وَعَبْدُ اللهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ،
وَمُسْلِمٌ قُتِلَ قَبْلَ ذَلِكَ،
فَهَؤُلَاءِ أَرْبَعَةٌ لِصُلْبِهِ،
واثْنَانِ آخَرَانِ هُمَا: عَبْدُ
اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ،
وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَعِيدِ
بْنِ عَقِيلٍ، فَكَمَلُوا

سِتَّةً مِنْ وَلَدِ عَقِيلٍ».

وَأَمَّا بَقِيَّةُ أَهْلِهِ وَنِسَائِهِ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ أَرْكَبَهُمْ فِي الْهَوَادِجِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ، فَأَكْرَمَهُمْ، ثُمَّ بَعَثَ بِهِمْ إِلَى يَزِيدَ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ،

وَحَمَلَهُمْ إِلَى المَدِينَةِ.

وَقَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقِيلَ: زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، هَذِهِ الْأَبْيَاتَ:

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ

النَّبِـــيُّ لَكُـــمْ ... مَـــاذَا
فَعَلْتُـــمْ وَأَنْتُـــمْ آخِـــرُ الْأُمَمِ
بِعِـــتْرَتِي وَبِأَهْـــلِي بَعْـــدَ
مُفْتَقَـــدِي ... مِنْهُـــمْ
أُسَـــارَى وَمِنْهُـــمْ
ضُرِّجُـــوا بِـــدَمِ؟
مَـــا كَانَ هَـــذَا جَزَائِـــي

إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ

... أَنْ تَخْلُفُونِي

بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِ

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ

أَنَسٍ، قَالَ: أُتِيَ عُبَيْدُ اللهِ

بْنُ زِيَادٍ - يَعْنِي وَالِي

العِرَاقِ - بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ،

فَجُعِلَ فِي طَسْتٍ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ عَلَيْهِ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَرَوَى الْبَزَّارُ وَأَبُو يَعْلَى، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: جَعَلَ يَنْكُتُ بِالقَضِيبِ

ثَنَايَاهُ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَأَسُوءَنَّكَ: «إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَلْثَمُ حَيْثُ يَقَعُ قَضِيبُكَ».

قَالَ: فَانْقَبَضَ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ، عَنْ

عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: لَمَّا
جِيءَ بِرَأْسِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ
زِيَادٍ وَأَصْحَابِهِ، فَنُصِبَتْ
فِي المَسْجِدِ فِي الرَّحْبَةِ، فَإِذَا
حَيَّةٌ قَدْ جَاءَتْ تَتَخَلَّلُ
الرُّءُوسَ، حَتَّى دَخَلَتْ
فِي مِنْخَرَيْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ

زِيَادٍ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ:
حَسَنٌ صَحِيحٌ.
قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَدِ
اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ بَعْدَهَا
فِي رَأْسِ الْحُسَيْنِ؛ هَلْ
سَيَّرَهُ ابْنُ زِيَادٍ إِلَى
الشَّامِ إِلَى يَزِيدَ أَمْ لَا،

عَـــلَى قَوْلَـــيْنِ، الأَظْهَـــرُ
مِنْهُـــمَا أَنَّـــهُ سَـــيَّرَهُ إِلَيْـــهِ.
قَـالَ: وَلَقَـدْ بَالَـغَ الشِّـيعَةُ
فِي يَـــوْمِ عَاشُـــورَاءَ،
فَوَضَعُـــوا أَحَادِيـــثَ
كَثِـــيرَةً، وَأَمَّـــا مَـــا رُوِيَ
مِـــنَ الأَحَادِيـــثِ وَالْفِتَـــنِ

الَّتِي أَصَابَتْ مَنْ قَتَلَهُ؛ فَأَكْثَرُهَا صَحِيحٌ، وَلِلشِّيعَةِ وَالرَّافِضَةِ فِي صِفَةِ مَصْرَعِ الْحُسَيْنِ كَذِبٌ كَثِيرٌ، وَأَخْبَارٌ بَاطِلَةٌ. انتهى.

٤٥- الحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالرَّوَافِضِ وَالنَّوَاصِبِ

عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَسَأَلَهُ عَنِ الْمُحْرِمِ -

قَالَ شُعْبَةُ: أَحْسِبُهُ - يَقْتُلُ الذُّبَابَ، فَقَالَ: أَهْلُ العِرَاقِ يَسْأَلُونَ عَنِ الذُّبَابِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -!، وَقَالَ النَّبِيُّ

- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا). رواه البخاري.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَأَحْسَنُ مَا يُقَالُ عِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْمُصَائِبِ - يَعْنِي قَتْلَ الْحُسَيْنِ وَمَنْ مَعَهُ

وَأَمْثَالِهَا: مَا رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ جَدِّهِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ فَيَتَذَكَّرُهَا، وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا، فَيُحْدِثُ

لَهَا اسْتِرْجَاعًا، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ يَوْمِ أُصِيبَ مِنْهَا». رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَهْ.

قَالَ مُقَيِّدُهُ - عَفَا اللهُ عَنْهُ -: الحَدِيثُ

ضَعِيفُ الإِسْنَادِ،

وَأَمَّا الاسْتِرْجَاعُ

فَقَدْ مَدَحَ اللهُ أَهْلَهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ

وَغَيْرُهُ: أَنَّ مَوْضِعَ قَتْلِ

الحُسَينِ عَفَى أَثَرُهُ،

حَتَّى لَمْ يَطَّلِعْ أَحَدٌ

عَـــلَى تَعْيِينِـــهِ بِخَـــبَرٍ.
وَقَـــدْ كَانَ أَبُـــو نُعَيْـــمٍ،
الْفَضْـــلُ بْـــنُ دُكَـــيْنٍ،
يُنْكِـــرُ عَـــلَى مَـــنْ يَزْعُـــمُ
أَنَّـــهُ يَعْـــرِفُ قَـــبْرَ
الْحُسَـــيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ.

وَلَقَدْ أَضَلَّ اللهُ الرَّوَافِضَ
وَالنَّوَاصِبَ عَنِ الحَقِّ،
وَهَدَى إِلَيْهِ أَهْلَ السُّنَّةِ
وَالجَمَاعَةِ؛ حَيْثُ إِنَّ أَهْلَ
السُّنَّةِ يَوَدُّونَ أَنَّ الحُسَيْنَ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لَمْ يَسْتَجِبْ
لِأَهْلِ الكُوفَةِ، وَيُنْكِرُونَ

عَـلَى قَاتِلِيـهِ وَلَـوْ بِتَأْوِيـلِ قَتْلِـهِ، وَكَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمُ النُّـزُولُ إِلَى إِحْـدَى الخِصَـالِ الَّتِـي دَعَاهُـمْ إِلَيْهَـا، وَمِنْهَـا: الرُّجُـوعُ. وَيَتَرَضَّـوْنَ عَنْـهُ وَعَـنِ الصَّحَابَـةِ كُلِّهِـمْ،

وَيَرَوْنَ أَنَّ الْحُسَيْنَ قُتِلَ
يَوْمَ عَاشُورَاءَ شَهِيدًا
مَظْلُومًا، وَيُنْكِرُونَ عَلَى
الرَّوَافِضِ تَحْوِيلَهُمْ لِيَوْمِ
عَاشُورَاءَ مَأْتَمًا يُعَذِّبُونَ
فِيهِ أَنْفُسَهُمْ بِأَبْشَعِ
الصُّوَرِ، وَمَا أَحْدَثُوا

فِيهِ مِنَ الْمُحْدَثَاتِ الَّتِي يُنْكِرُهَا النَّقْلُ وَالعَقْلُ، وَكَذَلِكَ يُنْكِرُونَ عَلَى النَّوَاصِبِ تَحْوِيلَهُمْ يَوْمَ عَاشُورَاءَ عِيدًا.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: فَكُلُّ مُسْلِمٍ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحْزِنَهُ

قَتْلُـهُ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ، فَإِنَّـهُ
مِـنْ سَـادَاتِ الْمُسْـلِمِينَ،
وَعُلَـمَاءِ الصَّحَابَـةِ، وَابْـنُ
بِنْتِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ
عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - الَّتِـي هِـيَ
أَفْضَـلُ بْناتِـهِ، وَقَـدْ كَانَ
عَابِدًا وَشُـجَاعًا وَسَـخِيًّا،

وَلَكِنْ لَا يَحْسُنُ مَا يَفْعَلُهُ
الشِّيعَةُ مِنْ إِظْهَارِ الْجَزَعِ
وَالْحُزْنِ، الَّذِي لَعَلَّ
أَكْثَرَهُ تَصَنُّعٌ وَرِيَاءٌ،
وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ أَفْضَلَ مِنْهُ
فَقُتِلَ، وَهُمْ لَا يَتَّخِذُونَ
مَقْتَلَهُ مَأْتَمًا كَيَوْمِ مَقْتَلِ

الْحُسَـــيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ.

٤٦- ثَـــوْرَةُ أَهْـــلِ الحِجَـــازِ، وَالتَّحْرِيـــضُ عَـــلَى خَلْـــعِ يَزِيـــدَ

وَلَمَّـــا بَلَغَ ابْـــنَ الزُّبَـــيْرِ مَقْتَلُ الْحُسَـــيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ،

خَطَبَ فِي النَّاسِ يَحُثُّهُمْ عَلَى خَلْعِ يَزِيدَ، فَبَايَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَكَاتَبَهُ أَهْلُ الْمُدِينَةِ وَغَيْرُهُمْ، فَجُلُّ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْحِجَازِ مَالَئُوهُ وَأَحَبُّوهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ شَقَّ عَلَيْهِ،

وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ عَمْرَو بْنَ
سَعِيدِ بْنِ العَاصِ أَمِيرَ
الحَرَمَيْنِ، لَوْ شَاءَ لَبَعَثَ
إِلَيْكَ بِرَأْسِ ابْنِ الزُّبَيْرِ،
أَوْ يُخْرِجُهُ مِنَ الْحَرَمِ
المَكِّيِّ، فَعَزَلَهُ يَزِيدُ وَوَلَّى
الوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي

سُفْيَانَ مَكَانَهُ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَوَلَّى عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ابْنَ عَمِّ يَزِيدَ.

وَثَارَ بِالْيَمَامَةِ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ الْحَنَفِيُّ، وَخَالَفَ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ، وَكَذَلِكَ ثَارَ

أَهْلُ المَدِينَةِ لَمَّا بَلَغَهُمْ
عَنْ يَزِيدَ هَذِهِ الأُمُورُ
المُنْكَرَةُ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ
عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
ثُمَّ إِنَّ يَزِيدَ بَعَثَ إِلَى أَهْلِ
المُدِينَةِ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ

يَنْهَاهُمْ عَمَّا صَنَعُوا،
وَيَأْمُرُهُمْ بِالرُّجُوعِ
إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ،
وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، فَلَمْ
يَسْمَعُوا مِنْهُ، فَانْصَرَفَ.

وَمِمَّا كَتَبَهُ ابْنُ كَثِيرٍ:
«ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ

وَسِتِّينَ، فَفِيهَا كَانَتْ
وَقْعَةُ الْحَرَّةِ، وَكَانَ سَبَبَهَا
أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَمَّا خَلَعُوا
يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ، وَوَلَّوْا
عَلَى قُرَيْشٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
مُطِيعٍ، وَعَلَى الْأَنْصَارِ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ،

فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ أَظْهَرُوا ذَلِكَ. وَاعْتَزَلَ النَّاسَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «زَيْنُ الْعَابِدِينَ»، وَكَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمْ يَخْلَعَا يَزِيدَ. وَقَدْ

سُئِلَ مُحَمَّدُ بْنُ الحَنَفِيَّةِ فِي ذَلِكَ فَامْتَنَعَ، وَنَاظَرَهُمْ وَجَادَلَهُمْ فِي يَزِيدَ.

وَكَتَبَ بَنُو أُمَيَّةَ إِلَى يَزِيدَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْحَصْرِ وَالْإِهَانَةِ، فَبَعَثَ يَزِيدُ مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ، وَأَرْسَلَ

مَعَهُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ، وَخَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ، وَقَالَ يَزِيدُ لِمُسْلِمٍ: ادْعُ القَوْمَ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَجَعُوا إِلَى الطَّاعَةِ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، وَإِلَّا

فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ،
فَإِذَا ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ
فَأَبِحِ المَدِينَةَ ثَلَاثًا، ثُمَّ
اكْفُفْ عَنِ النَّاسِ.

فَنَزَلَ شَرْقِيَّ المُدِينَةِ فِي
الْحَرَّةِ، وَدَعَا أَهْلَهَا ثَلَاثَةَ

أَيَّامٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَوْنَ إِلَّا الْمُحَارَبَةَ وَالْمُقَاتَلَةَ، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ اقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ انْهَزَمَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ إِلَيْهَا. وَقَدْ قُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ مِنَ السَّادَاتِ

وَالْأَعْيَانِ؛ مِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ مُطِيعٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ، ثُمَّ أَبَاحَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ - الَّذِي يَقُولُ فِيهِ السَّلَفُ: مُسْرِفُ بْنُ عُقْبَةَ قَبَّحَهُ اللهُ - الْمَدِينَةَ

ثَلَاثَــةَ أَيَّــامٍ كَــمَا أَمَــرَهُ

يَزِيــدُ، لَا جَــزَاهُ اللهُ خَــيْرًا،

وَقَتَــلَ خَلْقًــا مِــنْ أَشْرَافِهَا

وَقُرَّائِهَــا، وَانْتَهَــبَ

أَمْــوَالًا كَثِــيرَةً مِنْهَــا،

وَوَقَــعَ شَرٌّ عَظِيــمٌ وَفَسَــادٌ

عَرِيــضٌ عَــلَى مَــا ذَكَــرَهُ

غَـــيْرُ وَاحِـــدٍ». انتهـــى.

وَاللهُ أَعْلَـــمُ.

٤٧- قَـــوْلُ أَهْـــلِ السُّـــنَّةِ فِي يَزِيـــدَ

عَـــنْ نَافِـــعٍ، قَـــالَ: جَـــاءَ عَبْـــدُ اللهِ بْـــنُ عُمَـــرَ إِلَى عَبْدِ

اللهِ بْـنِ مُطِيـعٍ، حِـينَ كَانَ مِـنْ أَمْـرِ الحَـرَّةِ مَـا كَانَ، زَمَـنَ يَزِيـدَ بْـنِ مُعَاوِيَـةَ، فَقَـالَ: اطْرَحُـوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَـنِ وِسَـادَةً، فَقَـالَ: إِنِّي لَمْ آتِـكَ لِأَجْلِـسَ، أَتَيْتُـكَ لِأُحَدِّثَـكَ حَدِيثًـا

سَـــمِعْتُ رَسُـــولَ اللهِ –
صَـــلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّمَ –
يَقُولُـــهُ، سَـــمِعْتُ رَسُـــولَ
اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ
– يَقُـــولُ: (مَـــنْ خَلَـــعَ يَـــدًا
مِـــنْ طَاعَـــةٍ، لَقِـــيَ اللهَ يَـــوْمَ
القِيَامَـــةِ لَا حُجَّـــةَ لَـــهُ،

وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيْتَةً جَاهِلِيَّةً). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «أَخْرَجَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ إِلَى جُوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ: سَمِعْتُ أَشْيَاخَ

أَهْـــلِ المَدِينَـــةِ يَتَحَدَّثُـــونَ

... لَمَّـــا وَلِيَ يَزِيـــدُ وَفَـــدَ

عَلَيْـــهِ عَبْـــدُ اللهِ بْـــنُ حَنْظَلَةَ

وَجَمَاعَـــةٌ، فَأَكْرَمَهُـــمْ

وَأَجَازَهُـــمْ، فَرَجَـــعَ

فَحَـــرَّضَ النَّـــاسَ عَـــلَى

يَزِيـــدَ، وَعَابَـــهُ، وَدَعَاهُـــمْ

إِلَى خَلْعِ يَزِيدَ، فَأَجَابُوهُ.

فَبَلَغَ يَزِيدَ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِمْ مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ أَهْلُ المَدِينَةِ بِجُمُوعٍ كَثِيرَةٍ، فَهَابَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ وَكَرِهُوا قِتَالَهُمْ، فَلَمَّا نَشِبَ

القِتَالُ سَمِعُوا فِي جَوْفِ
المَدِينَةِ التَّكْبِيرَ، وَذَلِكَ
أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ أَدْخَلُوا
قَوْمًا مِنَ الشَّامِيِّينَ مِنْ
جَانِبِ الخَنْدَقِ، فَتَرَكَ
أَهْلُ المَدِينَةِ القِتَالَ
وَدَخَلُوا المَدِينَةَ خَوْفًا

عَـــلَى أَهْلِهِـــمْ، فَكَانَـــتِ
الهَزِيمَـــةُ، وَقُتِـــلَ مَـــنْ قُتِلَ،
وَبَايَـــعَ مُسْـــلِمٌ النَّـــاسَ عَلَى
أَنَّهُـــمْ خَـــوَلٌ لِيَزِيـــدَ، يَحْكُمُ
فِي دِمَائِهِـــمْ وَأَمْوَالِهِـــمْ
وَأَهْلِهِـــمْ بِـــمَا شَـــاءَ».
وَرَوَى الخَـــلَّالُ عَـــنْ

مُهَنَّى، قَالَ: سَأَلْتُ أَحْمَدَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: هُوَ فَعَلَ بِالمَدِينَةِ مَا فَعَلَ، قُلْتُ: وَمَا فَعَلَ؟ قَالَ: قَتَلَ بِالمَدِينَةِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ –

صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ – وَفَعَـلَ، قُلْتُ: وَمَـا فَعَلَ؟ قَـالَ: نَهَبَهَـا» انتهـى.

وَقَـالَ شَـيْخُ الإِسْـلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّـةَ: «افْـتَرَقَ النَّـاسُ فِي «يَزِيـدَ» بْـنِ مُعَاوِيَـةَ

بْـــنِ أَبِي سُـــفْيَانَ ثَـــلَاثَ
فِـــرَقٍ: طَرَفَـــانِ وَوَسَـــطٌ
... وَالقَـــوْلُ الثَّالِـــثُ: أَنَّـــهُ
كَانَ مَلِـــكًا مِـــنْ مُلُـــوكِ
الْمُسْـــلِمِينَ، لَـــهُ حَسَـــنَاتٌ
وَسَـــيِّئَاتٌ، وَلَمْ يُولَـــدْ إِلَّا
فِي خِلَافَـــةِ عُثْـــمَانَ، وَلَمْ

يَكُنْ كَافِرًا؛ وَلَكِنْ
جَرَى بِسَبَبِهِ مَا جَرَى
مِنْ مَصْرَعِ «الْحُسَيْنِ»،
وَفَعَلَ مَا فَعَلَ بِأَهْلِ
الْحَرَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ صَاحِبًا،
وَلَا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ
الصَّالِحِينَ، وَهَذَا قَوْلُ

عَامَّةِ أَهْلِ العَقْلِ وَالعِلْمِ وَالسُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ».

وَقَالَ: «ثُمَّ افْتَرَقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ لَعَنَتْهُ، وَفِرْقَةٌ أَحَبَّتْهُ، وَفِرْقَةٌ لَا تَسُبُّهُ وَلَا تُحِبُّهُ، وَهَذَا هُوَ المَنْصُوصُ عَنِ الإِمَامِ

أَحْمَدَ، وَعَلَيْهِ الْمُقْتَصِدُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ: قُلْتُ لِأَبِي: إِنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ يُحِبُّونَ يَزِيدَ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، وَهَلْ يُحِبُّ يَزِيدَ

أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ؟!». انتهى.

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: «يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ.. لَهُ عَلَى هَنَاتِهِ حَسَنَةٌ، وَهِيَ غَزْوُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ وَكَانَ أَمِيرَ ذَلِكَ الجَيْشِ،

وَفِيهِمْ مِثْلُ: أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ... وَيَزِيدُ مِمَّنْ لَا نَسُبُّهُ وَلَا نُحِبُّهُ، وَلَهُ نُظَرَاءُ مِنْ خُلَفَاءِ الدَّوْلَتَيْنِ، وَكَذَلِكَ فِي مُلُوكِ النَّوَاحِي؛ بَلْ فِيهِمْ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ،

وَإِنَّمَا عَظُمَ الخَطْبُ
لِكَوْنِهِ وَلِيَ بَعْدَ وَفَاةِ
النَّبِيِّ ﷺ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - بِتِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ
سَنَةً، وَالعَهْدُ قَرِيبٌ،
وَالصَّحَابَةُ مَوْجُودُونَ،
كَابْنِ عُمَرَ الَّذِي

كَانَ أَوْلَى بِالأَمْـــرِ مِنْـــهُ، وَمِـــنْ أَبِيـــهِ وَجَـــدِّهِ».

٤٨- حصـــار البيـــت الحـــرام ووفـــاة يزيـــد بـــن معاويـــة عَـــنْ سَـــعْدِ بْـــنِ أَبِي وَقَّاصٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَلِمُسْلِمٍ:

«لَا يُرِيدُ أَحَدٌ الْمَدِينَةَ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ – أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ».

وَفِي الْبَابِ حَدِيثُ السَّائِبِ بْنِ خَلَّادٍ؛ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ.

وَبَعْدَ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ

بِقَلِيلٍ فِي أَوَّلِ الْمُحَرَّمِ

سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ سَارَ

مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ إِلَى مَكَّةَ

قَاصِدًا قِتَالَ ابْنِ الزُّبَيْرِ،

فَعَاجَلَتْهُ الْمَنِيَّةُ، فَسَارَ

حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ بِالْجَيْشِ

نَحْوَ مَكَّةَ، فَانْتَهَى إِلَيْهَا
لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ،
وَقَدْ تَلَاحَقَ بِابْنِ الزُّبَيْرِ
جَمَاعَاتٌ مِمَّنْ بَقِيَ مِنْ
أَشْرَافِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ،
وَانْضَمَّ إِلَيْهِ نَجْدَةُ
الْحَنَفِيُّ - مِنْ أَهْلِ

الْيَمَامَةِ - لِيَمْنَعُوا الْبَيْتَ
مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَنَزَلَ
حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ ظَاهِرَ
مَكَّةَ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ
الزُّبَيْرِ فِي أَهْلِ مَكَّةَ وَمَنِ
الْتَفَّ مَعَهُ، فَاقْتَتَلُوا عِنْدَ
ذَلِكَ بَقِيَّةَ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ

وَصَفَرًا بِكَمَالِهِ، فَلَمَّا كَانَ
رَبِيعٌ الْأَوَّلُ سَنَةَ أَرْبَعٍ
وَسِتِّينَ نَصَبُوا الْمَجَانِيقَ
وَاسْتَمَرَّ الْحِصَارُ إِلَى
مُسْتَهَلِّ رَبِيعٍ الْآخِرِ،
وَجَاءَ النَّاسَ نَعْيُ يَزِيدَ
بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَأَنَّهُ قَدْ

مَـاتَ لِأَرْبَـعَ عَـشْرَةَ لَيْلَـةً

خَلَـتْ مِـنْ رَبِيـعٍ الْأَوَّلِ

سَـنَةَ أَرْبَـعٍ وَسِـتِّينَ، وَهُـوَ

ابْـنُ بِضْـعٍ وَثَلَاثِينَ سَـنَةً،

فَكَانَـتْ وِلَايَتُـهُ ثَـلَاثَ

سِـنِينَ وَسِـتَّةَ أَشْـهُرٍ،

وَقَـدِ اخْتُلِـفَ فِي سِـنِّهِ

وَمَبْلَغِ أَيَّامِهِ فِي الْإِمَارَةِ عَلَى أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ.

وَانْقَلَبَ أَهْلُ الشَّامِ إِلَى الشَّامِ فَوَجَدُوا مُعَاوِيَةَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَدِ اسْتُخْلِفَ مَكَانَ أَبِيهِ بِدِمَشْقَ عَنْ وَصِيَّةٍ

مِنْ أَبِيهِ لَهُ بِذَلِكَ، وَلَا يَصِحُّ حَدِيثٌ فِي ذَمِّ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

٤٩- وفاة معاوية بن يزيد واضطراب أمر الخلافة

قَالَ تَعَالَى: (الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ).

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: هُمْ

أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

وَقَالَ تَعَالَى: (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قَالَ ابْنُ

مَسْعُودٍ: عَلَى مَوَاقِيتِهَا.

قَالُوا: مَا كُنَّا نَرَى ذَلِكَ إِلَّا عَلَى التَّرْكِ؟

قَالَ: ذَاكَ الْكُفْرُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، أَخْبَرَنِي

بَشِيرُ بْنُ أَبِي عَمْرٍو الْخَوْلَانِيُّ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ قَيْسٍ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «يَكُونُ خَلْفٌ

مِـــنْ بَعْـــدِ سِـــتِّينَ سَـــنَةً
أَضَاعُوا الصَّـــلَاةَ، وَاتَّبَعُوا
الشَّـــهَوَاتِ، فَسَـــوْفَ
يَلْقَـــوْنَ غَيًّـــا، ثُـــمَّ يَكُـــونُ
خَلْـــفٌ يَقْـــرَءُونَ الْقُـــرْآنَ
لَا يَعْـــدُو تَرَاقِيَهُـــمْ، وَيَقْـــرَأُ
الْقُـــرْآنَ ثَلَاثَـــةٌ: مُؤْمِـــنٌ،

وَمُنَافِقٌ، وَفَاجِرٌ»، قَالَ بَشِيرٌ: فَقُلْتُ لِلْوَلِيدِ: مَا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ؟ فَقَالَ: الْمُنَافِقُ كَافِرٌ بِهِ، وَالْفَاجِرُ يَتَأَكَّلُ بِهِ، وَالْمُؤْمِنُ يُؤْمِنُ بِهِ. وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَصَحَّحَهُ

الْحَاكِمُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَحَسَّنَهُ غَيْرُهُ.

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (خِيَارُ

أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ
وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ
عَلَيْهِمِ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ،
وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ
تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ،
وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ،
قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ،

أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ؟ فَقَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَدْ خَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَنْ طَاعَةِ يَزِيدَ وَخَلَعُوهُ، وَوَلَّوْا عَلَيْهِمُ ابْنَ مُطِيعٍ وَابْنَ حَنْظَلَةَ،

حِينَ بَلَغَهُمْ عَنْهُ بَعْضَ
الْمُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ،
وَمِنْ أَهَمِّهَا أَمْرُ الصَّلَاةِ،
وَأَنْكَرَ ذَلِكَ آخَرُونَ
مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ.
وَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ بُوِيعَ
لِوَلِيِّ عَهْدِهِ ابْنِهِ فِي رَابِعَ

عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، وَكَانَ مِنْ صَالِحِ الْقَوْمِ، وَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ، قِيلَ: إِنَّهُ مَكَثَ فِي الْمُلْكِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَزْيَدَ، وَقِيلَ: كَانَ فِي مُدَّةِ وِلَايَتِهِ مَرِيضًا لَمْ يَخْرُجْ

إِلَى النَّاسِ، وَلَمْ يُوصِ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ، فَلَمَّا مَاتَ حَضَرَ مَرْوَانُ دَفْنَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَنْ دَفَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ؛ مُعَاوِيَةَ بْنَ يَزِيدَ، فَقَالَ مَرْوَانُ: هُوَ أَبُو

لَيْـــلَى الَّـــذِي قِيـــلَ فِيـــهِ:

إِنِّي أَرَى فِتْنَـــةً تَغْـــلِي

مَرَاجِلُهَـــا ... وَالْمُلْـــكُ

بَعْـــدَ أَبِي لَيْـــلَى لِمَـــنْ غَلَبَـــا

قَالُـــوا: فَـــكَانَ الْأَمْـــرُ

كَـــمَا قَـــالَ، فَتَغَلَّـــبَ عَـــلَى

الْحِجَـــازِ عَبْـــدُ اللَّهِ بْـــنُ

الزُّبَـــيْرِ، وَعَـــلَى دِمَشْـــقَ
وَأَعْمَالِهَـــا مَـــرْوَانُ بْـــنُ
الْحَكَـــمِ، وَبَايَـــعَ أَهْـــلُ
خُرَاسَـــانَ سَـــلْمَ بْـــنَ
زِيَـــادٍ حَتَّـــى يَتَـــوَلَّى عَـــلَى
النَّـــاسِ خَلِيفَـــةٌ، وَخَـــرَجَ
الْقُـــرَّاءُ وَالْخَـــوَارِجُ

بِالْبَصْرَةِ وَعَلَيْهِمْ نَافِعُ
بْنُ الْأَزْرَقِ، وَطَرَدُوا
عَنْهُمْ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ
بَعْدَ مَا كَانُوا بَايَعُوهُ
عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَصِيرَ
لِلنَّاسِ إِمَامٌ، فَأَخْرَجُوهُ
عَنْهُمْ، فَذَهَبَ إِلَى الشَّامِ،

وَقَدْ بَايَعُوا بَعْدَهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ الْمَعْرُوفَ بِـ«بِبَّةَ»، وَخَرَجَ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ الْحَنَفِيُّ بِالْيَمَامَةِ، وَخَرَجَ بَنُو مَاحُورَا فِي الْأَهْوَازِ وَفَارِسَ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

٥٠- والله يؤتي ملكه من يشاء قال تعالى: (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ).

وعَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ،

كَتَبَ إِلَى قَيْسِ بْنِ الْهَيْثَمِ حِينَ مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، فِتَنًا

كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، فِتَنًا
كَقِطَعِ الدُّخَانِ، يَمُوتُ
فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا
يَمُوتُ بَدَنُهُ، يُصْبِحُ
الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي
كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا،
وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ

أَقْوَامٌ خَلَاقَهُمْ وَدِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»، وَإِنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ قَدْ مَاتَ، وَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا، وَأَشِقَّاؤُنَا، فَلَا تَسْبِقُونَا حَتَّى نَخْتَارَ لِأَنْفُسِنَا.

رَوَاهُ أَحْمَدُ، قَالَ ابْنُ

كَثِيرٍ: إِسْنَادُهُ لَا بَأْسَ بِهِ.

فَحِينَ تُوُفِّيَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَابْنُهُ مُعَاوِيَةُ، سَاقَ اللهُ المُلْكَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَالزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللهِ –

صَـــلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّمَ

وَحَوَارِيُّـــهُ، وَكَانَ عَبْـــدُ اللهِ

بْـــنُ الزُّبَـــيْرِ أَوَّلَ مَوْلُـــودٍ

لِلْمُهَاجِرِيـــنَ بِالمَدِينَـــةِ،

عِـــدَادُهُ فِي صِغَـــارِ

الصَّحَابَـــةِ، وَكَانَ كَبِـــيرًا فِي

العِلْـــمِ وَالجِهَـــادِ وَالعِبَادَةِ،

وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، أُخْتُ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَعِنْدَ ابْنِ حَزْمٍ وَطَائِفَةٍ: أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْحِينِ».

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: «وَبُوِيعَ
بِالخِلَافَةِ عِنْدَ مَوْتِ
يَزِيدَ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ،
وَحَكَمَ عَلَى الحِجَازِ،
وَاليَمَنِ، وَمِصْرَ،
وَالعِرَاقِ، وَخُرَاسَانَ،
وَبَعْضِ الشَّامِ، وَلَمْ

يَسْتَوْسِقْ لَهُ الأَمْرُ، وَمِنْ
ثَمَّ لَمْ يَعُدَّهُ بَعْضُ العُلَمَاءِ
فِي أُمَرَاءِ المُؤْمِنِينَ، وَعَدَّ
دَوْلَتَهُ زَمَنَ فُرْقَةٍ، فَإِنَّ
مَرْوَانَ غَلَبَ عَلَى الشَّامِ،
ثُمَّ مِصْرَ، وَقَامَ عِنْدَ
مَصْرَعِهِ ابْنُهُ عَبْدُ المَلِكِ

بْنُ مَرْوَانَ، وَحَارَبَ
ابْنَ الزُّبَيْرَ، وَقَتَلَ ابْنَ
الزُّبَيْرِ - رَحِمَهُ اللهُ -
فَاسْتَقَلَّ بِالخِلَافَةِ عَبْدُ
المَلِكِ وَآلُهُ، وَاسْتَوْسَقَ
لَهُمُ الأَمْرُ إِلَى أَنْ قَهَرَهُمْ
بَنُو العَبَّاسِ، بَعْدَ مُلْكِ

سِـــتِّينَ عَامًـــا». انتهـــى.

وَإِذَا أَرَدْنَـا مَعْرِفَةَ تَسَلْسُـلِ الأَحْـــدَاثِ بِاخْتِصَـــارٍ، فَقَـــدْ كَانَ عَبْـــدُ اللهِ بْـــنُ الزُّبَـــيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، هُوَ أَمِـــيرُ الْمُؤْمِنِـــينَ فِي الْحِجَـــازِ وَمَـــا وَالَاهَـــا، وَبَايَعَـــهُ

النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ،
وَاسْتَوْثَقَ مِنَ البَصْرَةِ،
وَالكُوفَةِ، وَمِصْرَ،
وَالجَزِيرَةِ، وَاليَمَنِ،
وَخُرَاسَانَ، وَبَايَعَهُ
أُنَاسٌ بِالشَّامِ، وَدِمَشْقَ،
وَحِمْصَ، وَفِلَسْطِينَ.

وَيُقَالُ: إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، لَمْ يُبَايِعَا عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ.

وَجَرَتْ حَوَادِثُ وَفِتَنٌ بِالشَّامِ تَمَخَّضَتْ بِالبَيْعَةِ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ

أَبِي العَاصِ، وَاسْتَقَرَّ
مُلْكُ الشَّامِ وَمِصْرَ
بِيَدِهِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ عَازِمًا
عَلَى مُبَايَعَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ
الزُّبَيْرِ، لَوْلَا أَنَّ بَعْضَ
بَنِي أُمَيَّةَ صَرَفَهُ عَنْ
ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَوْلَى بِالإِمْرَةِ

مِنِ ابْــنِ الزُّبَــيْرِ، وَبَايَعُوهُ، فَتَرَاجَــعَ، وَمَــرْوَانُ يُعَــدُّ فِي صِغَــارِ الصَّحَابَــةِ، وَمِــنَ الفُقَهَــاءِ الفُضَــلَاءِ.

وَمُــدَّةُ إِمْرَتِــهِ لِلْمُؤْمِنِــينَ تِسْــعَةُ أَشْــهُرٍ، وَقَــدْ تُــوُفِّيَ فِي رَمَضَــانَ، سَــنَةَ خَمْــسٍ

وَسِتِّينَ بِدِمَشْقَ، وَكَانَ قَدْ عَهِدَ بِوِلَايَةِ العَهْدِ لِابْنَيْهِ عَبْدِ المَلِكِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِعَبْدِ العَزِيزِ.

٥١- ما جاء في لَعْنِ الحَكَمِ والد مروان

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ:

«وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ

فِي لَعْنِ الْحَكَمِ، وَالِدِ

مَرْوَانَ، وَمَا وَلَدَ.

أَخْرَجَهَا الطَّبَرَانِيُّ

وَغَيْرُهُ، غَالِبُهَا فِيهِ

مَقَالٌ، وَبَعْضُهَا جَيِّدٌ».

وَكَذَا صَحَّحَ بَعْضَهَا غَيْرُهُ، وَعَدَّهَا آخَرُونَ أَحَادِيثَ مُنْكَرَةً.

قَالَ ابْنُ السَّكَنِ: «يُقَالُ: إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَعَا عَلَيْهِ ﷺ يَعْنِي: الحَكَمَ

– وَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ».

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: «وَقَدْ رُوِيَتْ أَحَادِيثُ مُنْكَرَةٌ فِي لَعْنِهِ، لَا يَجُوزُ الاحْتِجَاجُ بِهَا».

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «قَدْ وَرَدَ فِي ذَمِّهِ وَلَعْنِهِ

أَحَادِيثُ لَا تَثْبُتُ».

وَقَالَ السَّخَاوِيُّ:

«وَقَدْ رُوِيَتْ أَحَادِيثُ مُنْكَرَةٌ فِي لَعْنِهِ، لَا يَجُوزُ الاحْتِجَاجُ بِهَا».

وَرَوَى أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنِ

الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَى فِي المَنَامِ أَنَّ بَنِي الحَكَمِ يَرْقَونَ عَلَى مِنْبَرِهِ وَيَنْزِلُونَ، فَأَصْبَحَ كَالمُتَغَيِّظِ، وَقَالَ: رَأَيْتُ

بَنِي الْحَكَمِ يَنْزُونَ عَلَى
مِنْبَرِي نَزْوَ الْقِرَدَةِ،
فَمَا رُئِيَ رَسُولُ اللهِ -
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا
بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ».
وَرَوَاهُ الثَّوْرِيُّ عَنْ عَلِيٍّ

بْنِ زَيْدٍ، عَنْ سَعِيدِ
بْنِ الْمُسَيَّبِ مُرْسَلًا.
قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا
مُرْسَلٌ، وَسَنَدُهُ إِلَى سَعِيدٍ
ضَعِيفٌ. وَقَدْ وَرَدَ فِي
هَذَا الْمَعْنَى أَحَادِيثُ
كَثِيرَةٌ مَوْضُوعَةٌ.

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: «الحَكَمُ بْنُ أَبِي العَاصِ ابْنِ أُمَيَّةَ الأُمَوِيُّ، ابْنُ عَمِّ أَبِي سُفْيَانَ، يُكْنَى أَبَا مَرْوَانَ، مِنْ مُسْلِمَةِ الفَتْحِ، وَلَهُ أَدْنَى نَصِيبٍ مِنَ الصُّحْبَةِ، قِيلَ: نَفَاهُ

النَّبِـــيُّ ﷺ صَـــلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ
وَسَـــلَّمَ - إِلَى الطَّائِـــفِ؛
لِكَوْنِـــهِ حَـــكَاهُ فِي مِشْـــيَتِهِ
وَفِي بَعْضِ حَرَكَاتِهِ، فَسَـــبَّهُ
وَطَـــرَدَهُ فَنَـــزَلَ بِـــوَادِي
وَجِّ ... وَيُـــرْوَى فِي سَـــبِّهِ
أَحَادِيثُ لَمْ تَصِـــحَّ ... وَقَدْ

كَانَ لِلْحَكَمِ عِشْرُونَ ابْنًا وَثَمَانِيَةُ بَنَاتٍ، وَقِيلَ: كَانَ يُفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَبْعَدَهُ لِذَلِكَ، مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ». انتهى.

وَفِي بَابِ اللَّعْنِ: حَدِيثُ

عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو
بْنِ العَاصِ؛ خَرَّجَهُ
أَحْمَدُ، وَقَدْ صُحِّحَ،
وَحَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ
الزُّبَيْرِ كَذَلِكَ؛ خَرَّجَهُ
أَحْمَدُ، وَحَدِيثُ عَائِشَةَ؛
خَرَّجَهُ النَّسَائِيُّ فِي

التَّفْسِيرِ، وَفِيهِمَا مَقَالٌ.

وَقَدْ كَانَ مَرْوَانُ

مِنْ سَادَاتِ

قُرَيْشٍ وَفُضَلَائِهَا.

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ:

سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ

- وَذَكَرَ مَرْوَانَ يَوْمًا

فَقَالَ: قَالَ مَرْوَانُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ أَصْبَحْتُ فِيمَا أَنَا فِيهِ، مِنْ إِهْرَاقِ الدِّمَاءِ وَهَذَا الشَّأْنِ.

وَقَالَ ابْنُ خَلْدُونَ:

«مَـرْوَانُ ابْنُ الحَكَـمِ وَابْنُهُ
- وَإِنْ كَانُـوا مُلُـوكًا - لَمْ
يَكُـنْ مَذْهَبُهُـمْ فِي المُلْـكِ
مَذْهَـبَ أَهْـلِ البِطَالَـةِ
وَالبَغْـيِ، إِنَّـمَا كَانُـوا
مُتَحَرِّيـنَ لِمَقَاصِـدِ الحَـقِّ
جَهْدَهُـمْ، إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ

تَحْمِلُهُمْ عَلَى بَعْضِهَا، مِثْلَ خَشْيَةِ افْتِرَاقِ الكَلِمَةِ، الَّذِي هُوَ أَهَمُّ لَدَيْهِمْ مِنْ كُلِّ مَقْصِدٍ».

٥٢- إنجازان تاريخيان لعبد الله بن

الزبير رضي الله عنه

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَـالَ ابْـنُ كَثِـيرٍ: «وَقَـدْ ذَكَـرَ العُلَـمَاءُ أَنَّ الكَـذَّابَ هُـوَ المُخْتَـارُ بْـنُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَكَانَ يُظْهِـرُ التَّشَـيُّعَ وَيُبْطِـنُ الكِهَانَـةَ، وَأَسَرَّ إِلَى أَخِصَّائِـهِ أَنَّـهُ يُوحَـى إِلَيْـهِ، وَلَكِـنْ مَـا أَدْرِي

هَـلْ كَانَ يَدَّعِـي النُّبُـوَّةَ أَمْ لَا؟ ... وَلَا شَـكَّ أَنَّـهُ كَانَ ضَـالًّا مُضِـلًّا، أَرَاحَ اللهُ الْمُسْـلِمِينَ مِنْـهُ بَعْـدَ مَـا انْتَقَـمَ بِهِ مِـنْ قَـوْمٍ آخَرِينَ مِـنَ الظَّالِمِـينَ، كَـمَا قَـالَ تَعَـالَى: ﴿وَكَذَلِـكَ نُـوَلِّي

بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَهُوَ القَتَّالُ، وَهُوَ الحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ». انتهى.

لَقَدْ سَجَّلَ التَّارِيخُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ اللهِ

بْـنِ الزُّبَـيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ،
إِنْجَازَيْنِ كَبِيرَيْـنِ؛ الأَوَّلُ:
القَضَـاءُ عَـلَى الخَـوَارِجِ
الأَزَارِقَـةِ، عَلَى يَـدِ المُهَلَّبِ
بْـنِ أَبِي صُفْـرَةَ الأَزْدِيِّ،
بَعْـدَ أَنْ قَامَـتْ لَهُـمْ
قَائِمَـةٌ بِالبَـصْرَةِ، وَالثَّـانِي:

قَتْلُ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيِّ الكَذَّابِ، وَكَانَتْ لَهُ صَوْلَةٌ وَجَوْلَةٌ بِالكُوفَةِ، وَقَدْ سَلَّطَهُ اللهُ عَلَى قَتَلَةِ الحُسَيْنِ، فَقَتَلَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ، وَقَضَى عَلَى أَعْدَادِهِمْ، ثُمَّ قُتِلَ

عَلَى يَدِ مُصْعَبِ بْنِ
الزُّبَيْرِ، فَقَضَى عَلَى فِتْنَتِهِ،
وَانْتَصَرَ عَلَى شِيعَتِهِ.
وَمِمَّنْ قُتِلَ عَلَى يَدِ
الْمُخْتَارِ، عُبَيْدُ اللهِ بْنُ
زِيَادٍ، وَجِيءَ بِرَأْسِهِ،
فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ

أَبُو أَحْمَدَ الحَاكِمُ: وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ.

وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ الحَسَنِ، أَنَّ عَائِذَ بْنَ عَمْرٍو، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ: «أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ،

فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ: وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ؟! إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ، وَفِي غَيْرِهِمْ».

وَعَنِ الحَسَنِ، قَالَ:

دَخَلَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ، عَلَى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، وَهُوَ وَجِعٌ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا لَمْ أَكُنْ حَدَّثْتُكَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: لَا يَسْتَرْعِي اللهُ

عَبْـدًا رَعِيَّـةً، يَمُـوتُ حِينَ يَمُـوتُ وَهُـوَ غَـاشٌّ لَهَـا، إِلَّا حَـرَّمَ اللهُ عَلَيْـهِ الجَنَّـةَ، قَـالَ: أَلَا كُنْـتَ حَدَّثْتَنِـي هَـذَا قَبْـلَ اليَـوْمِ؟ قَـالَ: مَـا حَدَّثْتُـكَ، أَوْ لَمْ أَكُـنْ لِأُحَدِّثَـكَ». مُتَّفَـقٌ

عَلَيْـــهِ، وَاللَّفْـــظُ لِمُسْـــلِمٍ.

وَفِي رِوَايَـــةٍ لِمُسْـــلِمٍ: (مَـــا مِـــنْ أَمِـــيرٍ يَـــلِي أَمْـــرَ الْمُسْـــلِمِينَ، ثُـــمَّ لَا يَجْهَـــدُ لَهُـــمْ، وَيَنْصَـــحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُـــلْ مَعَهُـــمُ الجَنَّـــةَ).

وَفِي رِوَايَـــةٍ لِلْبُخَـــارِيِّ:

(مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ).

٥٣- مقتل عبد الله بن الزبير وأخيه

مصعب، رضي الله عنهما قال تعالى: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ).

وَبَعْدَ أَنْ بُويِعَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَمِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى الشَّامِ

وَمِـــصْرَ، بَعْـــدَ مَـــوْتِ
أَبِيـــهِ، لِثَـــلَاثٍ خَلَـــوْنَ
مِـــنْ شَـــهْرِ رَمَضَـــانَ سَـــنَةَ
خَمْـــسٍ وَسِـــتِّينَ بِدِمَشْـــقَ:
كَانَ هَاجِسُـــهُ العِـــرَاقَ
وَالحِجَـــازَ، فَسَـــارَ بِنَفْسِـــهِ
قَائِـــدًا لِجَيْـــشِ الشَّـــامِ

لِلاسْتِيلَاءِ عَلَى العِرَاقِ،

فَدَارَتْ رَحَى الحَرْبِ

مَعَ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ،

انْتَهَتْ بِقَتْلِ مُصْعَبٍ،

وَالسَّيْطَرَةِ عَلَى العِرَاقِ،

وَذَلِكَ سَنَةَ إِحْدَى

أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ، وَلَمْ

يَبْقَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وِلَايَةٌ عَلَى الْعِرَاقِ.

وَرَجَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الشَّامِ، وَقَدْ أَجْهَزَ عَلَى الْأَزَارِقَةِ الْخَوَارِجِ.

وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «اجْتَمَعَ فِي الحِجْرِ مُصْعَبٌ، وَعُرْوَةُ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ عُمَرَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَمَّا أَنَا فَأَتَمَنَّى الخِلَافَةَ، وَقَالَ عُرْوَةُ: أَمَّا أَنَا فَأَتَمَنَّى أَنْ

يُؤْخَذَ عَنِّي الْعِلْمُ، وَقَالَ مُصْعَبٌ: أَمَّا أَنَا فَأَتَمَنَّى إِمْرَةَ الْعِرَاقِ، وَالْجَمْعَ بَيْنَ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، وَسُكَيْنَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: أَمَّا أَنَا فَأَتَمَنَّى الْمَغْفِرَةَ.

قَالَ: فَنَالُوا كُلُّهُمْ مَا تَمَنَّوْا، وَلَعَلَّ ابْنَ عُمَرَ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ».

وَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لِيُحَاصِرَهُ

بِمَكَّةَ، فَخَرَجَ الْحَجَّاجُ
حَتَّى نَزَلَ الطَّائِفَ،
ثُمَّ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى
عَبْدِ الْمَلِكِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي
دُخُولِ الْحَرَمِ وَمُحَاصَرَةِ
ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَنَزَلَ بِئْرَ
مَيْمُونَةَ، وَحَصَرَ ابْنَ

الزُّبَيْرِ بِالْمَسْجِدِ. وَأَخَذَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْمَدِينَةَ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، فِيهَا كَانَ مَقْتَلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى يَدَيِ الْحَجَّاجِ بْنِ

يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ المُبِيرِ، قَبَّحَهُ اللهُ وَأَخْزَاهُ».

٥٤- الحَجَّاجُ مُبِيرُ ثَقِيفٍ

عَنْ أَبِي نَوْفَلٍ، رَأَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ المُدِينَةِ، قَالَ: فَجَعَلَتْ

قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ،
حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ
بْنُ عُمَرَ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ،
فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا
خُبَيْبٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
أَبَا خُبَيْبٍ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، أَمَا

وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ
هَذَا، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ
أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللهِ
لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ
هَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتَ،
مَا عَلِمْتُ، صَوَّامًا،
قَوَّامًا، وَصُولًا لِلرَّحِمِ،

أَمَـــا وَاللهِ لَأُمَّـــةٌ أَنْـــتَ
أَشَرُّهَـــا لَأُمَّـــةٌ خَـــيْرٌ، ثُـــمَّ
نَفَـــذَ عَبْـــدُ اللهِ بْـــنُ عُمَـــرَ،
فَبَلَـــغَ الْحَجَّـــاجَ مَوْقِـــفُ
عَبْـــدِ اللهِ وَقَوْلُـــهُ، فَأَرْسَـــلَ
إِلَيْـــهِ، فَأَنْـــزِلَ عَـــنْ جِذْعِهِ،
فَأُلْقِيَ فِي قُبُـــورِ الْيَهُودِ، ثُمَّ

أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ: لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ مَنْ يَسْحَبُكِ بِقُرُونِكِ، قَالَ: فَأَبَتْ وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ

مَـــنْ يَسْـــحَبُنِي بِقُـــرُونِي،
قَـــالَ: فَقَـــالَ: أَرُونِي
سِـبْتَيَّ، فَأَخَـذَ نَعْلَيْـهِ، ثُـمَّ
انْطَلَـــقَ يَتَـــوَذَّفُ، حَتَّـــى
دَخَـــلَ عَلَيْهَـــا، فَقَـــالَ:
كَيْـــفَ رَأَيْتِنِـــي صَنَعْـــتُ
بِعَـدُوِّ اللهِ؟ قَالَـتْ: رَأَيْتُكَ

أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ، أَنَا وَاللهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى

اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - وَطَعَامَ أَبِي بَكْـرٍ مِـنَ الـدَّوَابِّ، وَأَمَّـا الْآخَـرُ: فَنِطَـاقُ الْمُـرْأَةِ الَّتِـي لَا تَسْـتَغْنِي عَنْـهُ، أَمَـا إِنَّ رَسُـولَ اللهِ - صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - حَدَّثَنَـا: أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا

وَمُبِـــيرًا، فَأَمَّـــا الْكَـــذَّابُ
فَرَأَيْنَـــاهُ، وَأَمَّـــا الْمُبِـــيرُ فَـــلَا
إِخَالُـــكَ إِلَّا إِيَّـــاهُ، قَـــالَ:
فَقَـــامَ عَنْهَـــا وَلَمْ يُرَاجِعْهَـــا.
رَوَاهُ مُسْـــلِمٌ. وَلِأَحْمَـــدَ:
«فَقَالَـــتْ: كَذَبْـــتَ،
كَانَ بَـــرًّا بِالْوَالِدَيْـــنِ،

صَوَّامًا قَوَّامًا».

وَالْمُبِيرُ: هُوَ الْمُسْرِفُ فِي الإِهْلَاكِ.

وعَنْ نَافِعٍ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ - وَكَانَ عَالِمًا بِفِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ -، قَالَ:

«حُصِرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَيْلَةَ هِلَالِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ، وَقُتِلَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، فَكَانَ حَصْرُ الْحَجَّاجِ

لَـــهُ خَمْسَـــةَ أَشْـــهُرٍ،
وَسَـــبْعَ عَـــشْرَةَ لَيْلَـــةً».
لَقَـــدْ نَصَـــبَ الْحَجَّـــاجُ
الْمُنْجَنِيـــقَ عَـــلَى مَكَّـــةَ،
لِيَحْـــصُرَ أَهْلَهَـــا، حَتَّـــى
يَخْرُجُـــوا إِلَى الْأَمَـــانِ
وَالطَّاعَـــةِ لِعَبْـــدِ الْمَلِـــكِ،

وَكَانَ مَعَ الْحَجَّاجِ عَدَدٌ وَعُدَّةٌ، وَالكَثْرَةُ تَغْلِبُ الشَّجَاعَةَ، وَمَا زَالَ أَهْلُ مَكَّةَ يَخْرُجُونَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِالْأَمَانِ، وَيَتْرُكُونَ ابْنَ الزُّبَيْرِ.

وَجَرَى حِوَارٌ بَيْنَ عَبْدِ

اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَأُمِّهِ أَسْمَاءَ،
حِوَارُ المُؤْمِنَيْنِ العَاقِلَيْنِ
الشَّرِيفَيْنِ الشُّجَاعَيْنِ،
يَتَخَلَّلُهُ كَلِمَاتُ الحَنَانِ
وَمَشَاعِرُ الوُدِّ، وَتَرْجَمَةُ
العَوَاطِفِ، ثُمَّ اعْتَنَقَ
بَعْضُهُمَا بَعْضًا، وَوَدَّعَ

كُلٌّ مِنْهُمَا الآخَرَ،
وَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:
وَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ
بِسُبَّةٍ ... وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ
خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلَّمَا
وَقَاتَلَ ابْنُ أَبِيهِ الحَامِلُ
فِي جَوْفِهِ شَيْئًا مِنْ رِيقِ

النَّبِـــيِّ ﷺ صَـــلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّمَ - وَدَمِـــهِ قِتَـــالَ الشُّـــجْعَانِ، مُقْبِـــلًا غَـــيْرَ مُدْبِرٍ، حَتَّـــى قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ، فَارْتَجَّتْ مَكَّـــةُ بُكَاءً.

ثُـــمَّ أَمَـــرَ الْحَجَّـــاجُ الْمُبِـــيرُ بِجُثَّـــةِ العَـــالِمِ العَابِـــدِ

الْمُجَاهِدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَصُلِبَتْ عَلَى ثَنِيَّةِ كَدَاءٍ عِنْدَ الْحَجُونِ، فَنَاسَبَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بَيْتُ أَبِي الحَسَنِ الأَنْبَارِيِّ:

عُلُوٌّ فِي الحَيَاةِ وَفِي المَمَاتِ ... لَحَقٌّ أَنْتَ

إِحْـــدَى المُعْجِـــزَاتِ

وَانْتَهَـــتِ الدَّوْلَـــةُ

الزُّبَيْرِيَّـــةُ، وَأَصْبَـــحَ

الْحَجَّـــاجُ أَمِـــيرًا عَـــلَى

مَكَّـــةَ، وَالْيَمَامَـــةِ، وَالْيَمَـــنِ.

وَقَـــدِ اخْتَلَفُـــوا فِي كُفْـــرِ

الحَجَّـــاجِ، وَاتَّفَقُـــوا عَـــلَى

أَنَّـهُ سَـفَّاحٌ ظَـالِمٌ، لَمْ يَـرْعَ حَـقَّ أَصْحَابِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ.

وَحُكِـيَ عَـنْ عُمَـرَ بْـنِ عَبْـدِ العَزِيـزِ، أَنَّـهُ قَـالَ: «كَانَ يُصَـلِّي الصَّـلَاةَ لِغَيْرِ وَقْتِهَـا، وَيَأْخُـذُ الـزَّكَاةَ

مِـــنْ غَـــيْرِ حَقِّهَـــا، وَكَانَ لِمَـا سِـوَى ذَلِـكَ أَضْيَـعَ».

وَحُكِـــيَ عَنْـــهُ أَيْضًـــا، أَنَّـــهُ قَـــالَ: «لَـــوْ تَخَابَثَـــتِ الأُمَـــمُ، فَجَـــاءَتْ كُلُّ أُمَّـــةٍ بِخَبِيثِهَـــا، وَجِئْنَـــا بِالحَجَّـــاجِ: لَغَلَبْنَاهُـــمْ».

وَمَـــا كَانَ يَصْلُـــحُ لِدُنْيَـــا
وَلَا لِآخِـــرَةٍ. وَاللهُ أَعْلَـــمُ.
قَالَ تَعَـــالَى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَـــنَآنُ قَـــوْمٍ عَـــلَىٰ أَلَّا
تَعْدِلُـــوا)، وَقَـــدِ اشْـــتُهِرَ
عَـــنِ الحَجَّاجِ - عَـــلَى خُبْثِهِ
أَنَّـــهُ كَانَ ذَا كَـــرَمٍ، وَعَقْلٍ،

وَفَصَاحَةٍ، وَقُرْآنٍ، لَا
يَشْرَبُ الْخُمُورَ، وَلَا
يَرْتَكِبُ الْفَوَاحِشَ.
وَأَمَّا عَبْدُ الْمَلِكِ
بْنُ مَرْوَانَ، فَكَانَ
عَالِمًا فَاضِلًا.
قَالَ أَبُو الزِّنَادِ: «كَانَ

فُقَهَاءُ المَدِينَةِ أَرْبَعَةً: سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَقَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ، وَعَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ».

٥٥- خَبَرُ ابنِ

الأَشْعَثِ وغَيْرِه

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ

وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ

مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

تَنَاوَلَتِ الآيَةُ أَهْلَ المِلَلِ

الَّذِينَ اخْتَلَفُوا وَتَفَرَّقُوا،

كَاليَهُـــودِ وَالنَّصَـــارَى،

وَأَهْـلِ النِّحَـلِ، أَصْحَـابِ

الأَهْـــوَاءِ وَالبِـــدَعِ

وَالضَّـلَالَاتِ، كَالخَـوَارِجِ

الَّذِيـــنَ خَرَجُـــوا عَـــلَى

الخَلِيفَتَـــيْنِ عُثْـــمَانَ وَعَـــلِيٍّ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُـــمَا، وَعَـــلَى

مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ
أُمَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكُلَّمَا
أُخْمِدَتْ نَارُ حَرْبِهِمْ
رَجَعُوا فَأَوْقَدُوهَا.
وَبَعْدَ أَنْ تَوَحَّدَ العَالَمُ
الإِسْلَامِيُّ تَحْتَ وِلَايَةِ
عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

عَقِبَ زَوَالِ دَوْلَةِ ابْنِ
الزُّبَيْرِ، وَأَصْبَحَ الخَلِيفَةَ
الوَحِيدَ لِلْمُسْلِمِينَ،
تَحَرَّكَتِ الخَوَارِجُ،
وَكَانَ أَخْطَرَهُمْ شَبِيبُ
بْنُ يَزِيدَ الشَّيْبَانِيُّ،
الَّذِي ادَّعَى الخِلَافَةَ،

وَتَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «اسْتَفْحَلَ أَمْرُ شَبِيبٍ، وَتَزَلْزَلَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، وَالْحَجَّاجُ، وَسَائِرُ الْأُمَرَاءِ، قَالَ: وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَهَرَهُ بِمَا قَهَرَهُ

بِـــهِ مِـــنَ الْغَـــرَقِ؛ لَنَـــالَ الْخِلَافَـــةَ إِنْ شَـــاءَ اللهُ».

لَقَـــدْ كَانَـــتْ هَـــذِهِ الفِتَـــنُ وَأَمْثَالُهَـــا سَـــبَبًا فِي عَرْقَلَـــةِ حَرَكَـــةِ الجِهَادِ وَالفُتُوحَاتِ الإِسْـــلَامِيَّةِ، إِلَّا أَنَّـــهُ فِي سَـــنَةِ تِسْـــعٍ وَسَـــبْعِينَ وَمَـــا

بَعْدَهَا: تَمَّ غَزْوُ «رُتْبِيلَ» مَلِكِ التُّرْكِ، وَأَخَذُوا بَعْضَ بِلَادِهِ عَلَى يَدِ أَمِيرِ جَيْشِ الحَجَّاجِ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ، وَغَزَا مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ أَمِيرُ بِلَادِ

الْمُغْـرِبِ مِـنْ جِهَـةِ عَبْـدِ
الْمُلِـكِ بِـلَادَ الْأَنْدَلُـسِ،
فَافْتَتَـحَ مُدُنًـا كَثِـيرَةً،
وَأَوْغَـلَ فِي بِـلَادِ الْمُغْـرِبِ
إِلَى أَنْ وَصَـلَ إِلَى الرَّقَـاقِ،
وَحَصَلَـتْ بَعْـدَ ذَلِـكَ
بَعْـضُ الفُتُوحَـاتِ كَفَتْـحِ

الْمِصِّيصَةَ، وَأَرْمِينِيَّةَ.

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الأَشْعَثِ دَعَى الجَيْشَ لِخَلْعِ الحَجَّاجِ لِاخْتِلَافٍ بَيْنَهُمَا، وَلِجَوْرِهِ وَظُلْمِهِ وَإِمَاتَتِهِ الصَّلَاةَ عَنْ

وَقْتِهَا، فَخَلَعُوهُ وَبَايَعُوا
ابْنَ الأَشْعَثِ، وَسَارَ
بِهِمْ مِنْ سِجِسْتَانَ
لِقِتَالِ الحَجَّاجِ، وَنَزْعِ
العِرَاقِ مِنْهُ، وَدَخَلَ
ابْنُ الْأَشْعَثِ البَصْرَةَ،
وَبَايَعَهُمْ وَبَايَعُوهُ عَلَى

خَلْعِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَنَائِبِهِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ، وَوَافَقَهُ فُقَهَاءُ وَصَالِحُونَ قُرَّاءُ وَعُبَّادٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَجَرَى قِتَالٌ شَدِيدٌ بَيْنَ الْحَجَّاجِ وَابْنِ الأَشْعَثِ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ

وَثَمَانِينَ، وَذَهَبَ ابْنُ
الأَشْعَثِ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى
الْكُوفَةِ فَبَايَعَهُ أَهْلُهَا،
ثُمَّ كَانَتْ وَقْعَةُ دَيْرِ
الْجَمَاجِمِ فِي شَعْبَانَ مِنْ
هَذِهِ السَّنَةِ بَيْنَ ابْنِ
الأَشْعَثِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ

البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ،
وَالحَجَّاجِ وَمَنْ بَقِيَ
مَعَهُ مِنَ العِرَاقِيِّينَ
وَمَدَدِ الشَّامِيِّينَ.
وَكَتَبَ عَبْدُ المَلِكِ كِتَابًا
إِلَى أَهْلِ العِرَاقِ يَقُولُ
لَهُمْ: إِنْ كَانَ يُرْضِيكُمْ

مِنِّي عَزْلُ الْحَجَّاجِ عَزَلْتُهُ
عَنْكُمْ، وَبَعَثْتُ عَلَيْكُمْ
أُعْطِيَّاتِكُمْ مِثْلَ أَهْلِ
الشَّامِ، وَلْيَخْتَرِ ابْنُ
الْأَشْعَثِ أَيَّ بَلَدٍ شَاءَ
يَكُونُ عَلَيْهِ أَمِيرًا مَا
عَاشَ وَعِشْتُ، وَتَكُونُ

إِمْـــرَةُ الْعِـــرَاقِ لِمُحَمَّـــدِ
بْـــنِ مَـــرْوَانَ، فَاجْتَمَـــعَ
جَمِيـــعُ الْأُمَـــرَاءِ إِلَى ابْـــنِ
الْأَشْـــعَثِ، فَقَـــامَ فِيهِـــمْ
خَطِيبًـــا، وَنَدَبَهُـــمْ إِلَى قَبُولِ
مَـــا عَـــرَضَ عَلَيْهِـــمْ، فَنَفَـــرَ
النَّـــاسُ، وَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا

نَقْبَلُ ذَلِكَ، نَحْنُ أَكْثَرُ عَدَدًا وَعُدَدًا، وَاللهِ لَا نُجِيبُ إِلَى ذَلِكَ أَبَدًا.

وَدَارَ القِتَالُ بَيْنَ ابْنِ الأَشْعَثِ وَالحَجَّاجِ زَمَنًا طَوِيلًا، انْتَهَى بِفِرَارِ ابْنِ الأَشْعَثِ

وَهَزِيمَةِ جَيْشِهِ، وَتَتَبَّعَ
الحَجَّاجُ رُؤُوسَهُمْ،
وَأَمَّنَ بَعْضَهُمْ، وَقَتَلَ
الكَثِيرَ مِنْهُمْ، فِيهِمْ
عُلَمَاءُ وَفُضَلَاءُ، فَكَانَ
مِمَّنْ أَعْطَاهُ الأَمَانَ:
الشَّعْبِيُّ، وَمِمَّنْ قَتَلَهُمْ:

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ - رَحِمَهُمَا اللهُ -، وَهَلَكَ ابْنُ الأَشْعَثِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ أَوْ بَعْدَهَا.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ:

«وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ
مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
بَايَعُوهُ بِالْإِمَارَةِ وَلَيْسَ
مِنْ قُرَيْشٍ، وَإِنَّمَا هُوَ
كِنْدِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ،
وَقَدِ اجْتَمَعَ الصَّحَابَةُ
يَوْمَ السَّقِيفَةِ عَلَى أَنَّ

الْإِمَـــارَةَ لَا تَكُـــونُ إِلَّا فِي
قُرَيْـشٍ. فَكَيْـفَ يَعْمِـدُونَ
إِلَى خَلِيفَـــةٍ قَـــدْ بُوِيـــعَ لَـــهُ
بِالْإِمَـــارَةِ عَـــلَى الْمُسْـــلِمِينَ
مِـــنْ سِـــنِينَ فَيَعْزِلُونَـــهُ،
وَهُـــوَ مِـــنْ صُلْبِيَّـــةِ قُرَيْشٍ،
وَيُبَايِعُـــونَ لِرَجُـــلٍ كِنْـــدِيٍّ

بَيْعَةً لَمْ يَتَّفِقْ عَلَيْهَا أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ؟! وَهَذَا لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ زَلَّةً وَفَلْتَةً نَشَأَ بِسَبَبِهَا شَرٌّ كَبِيرٌ، هَلَكَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!». وَاللهُ أَعْلَمُ.

٥٦- تَسَلُّطُ الحَجَّاجِ وإِسرافُهُ في القَتلِ

عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى

مِـــنَ الحَجَّـــاجِ، فَقَـــالَ:
«اصْـــبِرُوا، فَإِنَّـــهُ لَا يَـــأْتِي
زَمَانٌ إِلَّا وَالَّـــذِي بَعْدَهُ شَرٌّ
مِنْـــهُ حَتَّـــى تَلْقَـــوْا رَبَّكُـــمْ؛
سَـــمِعْتُهُ مِـــنْ نَبِيِّكُـــمْ
صَـــلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّمَ
-». رَوَاهُ البُخَـــارِيُّ.

وَلَمْ يَحْتَمِلْ طَائِفَةٌ مِنَ
العُلَمَاءِ وَالفُضَلَاءِ
وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ظُلْمَ
الحَجَّاجِ، وَجَوْرَهُ،
وَعُدْوَانَهُ، وَتَضْيِيعَهُ
لِلصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا.
لَقَدْ رَوَى خَلِيفَةُ بْنُ

خَيَّاطٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: «خَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ خَمْسُمِائَةٍ مِنَ الْقُرَّاءِ، كُلُّهُمْ يَرَوْنَ الْقِتَالَ». وَلَمَّا فَشِلَتْ حَرَكَةُ ابْنِ الأَشْعَثِ: اجْتَهَدَ

الحَجَّاجُ عَلَى جَعْلِ
أَعِزَّةِ أَهْلِهَا أَذِلَّةً،
فَتَسَلَّطَ، وَبَطَشَ،
وَأَسْرَفَ فِي القَتْلِ.
لَقَدْ أَدْرَكَ الكَثِيرُ أَضْرَارَ
الفِتَنِ وَمَفَاسِدَهَا،
فَعَنْ أَبِي الحَارِثِ، قَالَ:

«سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي أَمْرٍ كَانَ حَدَثَ بِبَغْدَادَ، وَهَمَّ قَوْمٌ بِالْخُرُوجِ، فَقُلْتُ: «يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا تَقُولُ فِي الْخُرُوجِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ

عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ يَقُولُ:
سُبْحَانَ اللهِ، الدِّمَاءَ،
الدِّمَاءَ، لَا أَرَى ذَلِكَ، وَلَا
آمُرُ بِهِ، الصَّبْرُ عَلَى مَا
نَحْنُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْفِتْنَةِ
يُسْفَكُ فِيهَا الدِّمَاءُ،
وَيُسْتَبَاحُ فِيهَا الْأَمْوَالُ،

وَيُنْتَهَكُ فِيهَا الْمَحَارِمُ،
أَمَا عَلِمْتَ مَا كَانَ
النَّاسُ فِيهِ؟ يَعْنِي أَيَّامَ
الْفِتْنَةِ، قُلْتُ: وَالنَّاسُ
الْيَوْمَ، أَلَيْسَ هُمْ فِي
فِتْنَةٍ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟
قَالَ: وَإِنْ كَانَ، فَإِنَّمَا هِيَ

فِتْنَةٌ خَاصَّةٌ، فَإِذَا وَقَعَ السَّيْفُ عَمَّتِ الْفِتْنَةُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، الصَّبْرُ عَلَى هَذَا، وَيَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ خَيْرٌ لَكَ».

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: «فَالصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ

الْإِمَامِ الْجَائِرِ أَولَى مِنَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ فِي مُنَازَعَتِهِ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِ اسْتِبْدَالَ الْأَمْنِ بِالْخَوْفِ، وَإِرَاقَةَ الدِّمَاءِ، وَانْطِلَاقَ أَيْدِي الدَّهْمَاءِ، وَتَبْيِيتَ الْغَارَاتِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ،

وَالْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ،
وَهَذَا أَعْظَمُ مِنَ الصَّبْرِ
عَلَى جَوْرِ الجَائِرِ».
وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ
- رَحِمَهُ اللهُ -: «قَلَّ
مَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ
ذِي سُلْطَانٍ، إِلَّا كَانَ مَا

تَوَلَّدَ عَلَى فِعْلِهِ مِنَ الشَّرِّ أَعْظَمَ مِمَّا تَوَلَّدَ مِنَ الْخَيْرِ». وَاللهُ أَعْلَمُ.

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ

النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ

الْقَبْرِ، قَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللهَّ
مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَ، قَالُوا: نَعُوذُ
بِاللهَّ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ
مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ:
تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنْ فِتْنَةِ
الدَّجَّالِ، قَالُوا: نَعُوذُ

بِـاللهِ مِـنْ فِتْنَـةِ الدَّجَّـالِ).

٥٧- كِتَـاب عَبـدِ الله بـنِ عُمَـر إلى عَبـدِ المَلِـك أَمِـيرِ المؤمنـين لَمَّـا بُوِيـعَ لِعَبْـدِ المُلِـكِ بْـنِ مَـرْوَانَ بْـنِ الحَكَـمِ

بْنِ أَبِي الْعَاصِ الْأُمَوِيِّ
بِالْخِلَافَةِ، كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ
الْمُلْكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ!

سَـلَامٌ عَلَيْـكَ، فَـإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْـكَ اللهَ الَّـذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ، أَمَّا بَعْـدُ: فَإِنَّـكَ رَاعٍ وَكُلُّ رَاعٍ مَسْـئُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِـهِ، (اللهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ لَيَجْمَعَنَّكُـمْ إِلَى يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ لَا رَيْـبَ فِيـهِ وَمَنْ

أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا)،
لَا أَحَدَ، وَالسَّلَامُ».
وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ
قَبْلَ الْخِلَافَةِ مِنَ الْعُبَّادِ
الزُّهَّادِ، والْفُقَهَاءِ
الْمُلَازِمِينَ لِلْمَسْجِدِ،
التَّالِينَ لِلْقُرْآنِ، وَكَانَ

يُجَالِسُ الْفُقَهَاءَ وَالْعُلَمَاءَ وَالْعُبَّادَ وَالصُّلَحَاءَ.

وَقَدْ قَالَ نَافِعٌ: لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ، وَمَا فِيهَا شَابٌّ أَشَدَّ تَشْمِيرًا، وَلَا أَفْقَهَ وَلَا أَقْرَأَ لِكِتَابِ اللهِ، مِنْ

عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ: كَانَ فُقَهَاءُ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَةً: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعُرْوَةُ، وَقَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ،

قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِمَارَةِ.

وَقَالَ ثَعْلَبٌ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: لَمَّا سُلِّمَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْخِلَافَةِ، كَانَ فِي حِجْرِهِ مُصْحَفٌ، فَأَطْبَقَهُ، وَقَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي

وَبَيْنَكَ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا وَضَعَ الْمُصْحَفَ مِنْ حِجْرِهِ قَالَ: هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْكَ. وَبُوِيعَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِالْخِلَافَةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ فِي

حَيَـــاةِ أَبِيـــهِ، فِي خِلَافَـــةِ
ابْـــنِ الزُّبَـــيْرِ، وَبَقِـــيَ عَـــلَى
الشَّـــامِ وَمِـــصْرَ مُـــدَّةَ سَـــبْعِ
سِـــنِينَ، وَابْـــنُ الزُّبَـــيْرِ عَـــلَى
بَاقِـــي الْبِـــلَادِ، ثُـــمَّ اسْـــتَقَلَّ
بِالْخِلَافَـــةِ عَـــلَى سَـــائِرِ
الْبِـــلَادِ وَالْأَقَالِيـــمِ بَعْـــدَ

مَقْتَلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَكَانَ وَلِيَّ عَهْدِ أَبِيهِ مَرْوَانَ مِنْ بَعْدِ أَخِيهِ

عَبْـدِ الْمَلِـكِ، وَوَلَّاهُ أَبُـوهُ

إِمْـرَةَ الدِّيَـارِ الْمِصْرِيَّـةِ

فِي سَـنَةِ خَمْـسٍ وَسِـتِّينَ،

فَـكَانَ وَالِيًـا عَلَيْهَـا إِلَى أَنْ

تُـوُفِّيَ سَـنَةَ خَمْـسٍ وَثَمَانِينَ،

وَقَـدَّرَ اللهُ سُـبْحَانَهُ مَـوْتَ

عَبْـدِ الْعَزِيـزِ قَبْـلَ مَـوْتِ

عَبْدِ الْمَلِكِ بِعَامٍ وَاحِدٍ،
فَتَمَكَّنَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ
بَيْعَةِ وَلَدِهِ الْوَلِيدِ، ثُمَّ
مِنْ بَعْدِهِ لِأَخِيهِ سُلَيْمَانَ
بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِدِمَشْقَ،
ثُمَّ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ.
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ

وَثَمَانِينَ، وَفِيهَا فِي شَوَّالِهَا
تُوَفِّيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ
وَالِدُ الْخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ،
وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ
إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً.
وَيُحْكَى أَنَّهُ لَمَّا احْتُضِرَ،

سَمِعَ غَسَّالًا يَغْسِلُ الثِّيَابَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: غَسَّالٌ، فَقَالَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ غَسَّالًا أَكْسِبُ مَا أَعِيشُ بِهِ يَوْمًا بِيَوْمٍ، وَلَمْ أَلِ الْخِلَافَةَ، ثُمَّ

تَمَثَّلَ أَبْيَاتًا، مِنْهَا:

فَيَا لَيْتَنِي لَمْ أُعْنَ بِالْمُلْكِ

لَيْلَةً ... وَلَمْ أَسْعَ فِي

لَذَّاتِ عَيْشٍ نَوَاضِرِ

وَقِيلَ: قَدْ أَنْشَدَ

هَذِهِ الْأَبْيَاتَ مُعَاوِيَةُ

بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ

اللهُ عَنْـــهُ عِنْـــدَ مَوْتِـــهِ.

وَقَـــالَ أَبُـــو مُسْـــهِرٍ: قِيـــلَ لِعَبْـــدِ الْمُلِـــكِ فِي مَـــرَضِ مَوْتِـــهِ: كَيْـــفَ تَجِـــدُكَ؟ فَقَـــالَ: أَجِدُنِي كَـــمَا قَالَ اللهُ تَعَـــالَى: (وَلَقَـــدْ جِئْتُمُونَـــا فُرَادى كَـــما خَلَقْناكُـــمْ أَوَّلَ

مَـرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مـا خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُـمْ).

وَقَـالَ سَـعِيدُ بْـنُ عَبْـدِ الْعَزِيـزِ: لَمَّـا حَـضَرَهُ الْمَـوْتُ جَعَـلَ يَنْـدَمُ وَيَـضْرِبُ بِيَـدِهِ عَـلَى رَأْسِـهِ وَيَقُـولُ: وَدِدْتُ

أَنِّي اكْتَسَبْتُ قُوتِي يَوْمًا بِيَوْمٍ، وَاشْتَغَلْتُ بِعِبَادَةِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَطَاعَتِهِ.

فَلَمَّا بَلَغَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ قَوْلُهُ، قَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ يَفِرُّونَ

إِلَيْنَا وَلَا نَفِرُّ إِلَيْهِمْ.

وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ:

ارْفَعُونِي، فَرَفَعُوهُ حَتَّى

شَمَّ الْهَوَاءَ، وَقَالَ: يَا

دُنْيَا مَا أَطْيَبَكِ! إِنَّ

طَوِيلَكِ لَقَصِيرٌ، وَإِنَّ

كَثِيرَكِ لَحَقِيرٌ، وَإِنَّا

كُنَّا بِكِ لَفِي غُرُورٍ.
قَالُوا: وَكَانَتْ وَفَاتُهُ
بِدِمَشْقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،
فِي النِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ،
سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ،
وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ
الْوَلِيدُ وَلِيُّ عَهْدِهِ مِنْ

بَعْـــدِهِ، وَكَانَ عُمْـــرُهُ يَـــوْمَ مَـــاتَ سِـــتِّينَ سَـــنَةً، وَكَانَ جُمْلَـــةُ أَوْلَادِهِ تِسْـــعَةَ عَـــشَرَ ذُكُـــورًا وَإِنَاثًـــا.

٥٨- خِلَافَـــةُ الْوَلِيـــدِ بْـــنِ عَبْـــدِ الْمَلِـــكِ

وَلَمَّا بَايَعَهُ النَّاسُ بَعْدَ
مَوْتِ أَبِيهِ عَبْدِ المَلِكِ
بْنِ مَرْوَانَ فِي شَوَّالٍ
سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ، وَكَانَ
يُقَالُ: إِنَّهُ لَا تُعْرَفُ
لَهُ صَبْوَةٌ، وَهُوَ بَانِي
جَامِعِ دِمَشْقَ الفَرِيدِ فِي

بِنَائِـهِ، وَقَـدْ شَرَعَ فِي بِنَائِـهِ
وَتَحْسِـيـنِهِ مُـدَّةَ خِلَافَتِـهِ
وَهِـيَ عَـشْرُ سِـنِينَ.
ثُـمَّ دَخَلَـتْ سَـنَةُ سَـبْعٍ
وَثَمَانِـينَ، وَفِيهَـا عَـزَلَ
الْوَلِيـدُ بْـنُ عَبْـدِ الْمَلِـكِ
هِشَـامَ بْـنَ إِسْـمَاعِيلَ عَـنْ

إِمْـرَةِ الْمَدِينَـةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَـا
ابْـنَ عَمِّـهِ وَزَوْجَ أُخْتِـهِ
فَاطِمَـةَ بِنْـتِ عَبْـدِ الْمَلِـكِ
عُمَـرَ بْـنَ عَبْـدِ الْعَزِيـزِ،
فَدَعَـا عَـشَرَةً مِـنْ فُقَهَـاءِ
الْمَدِينَـةِ؛ مِنْهُـمْ: عُـرْوَةُ بْنُ
الزُّبَـيْرِ، فَدَخَلُـوا عَلَيْـهِ،

فَجَلَسُوا، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنَّمَا دَعَوْتُكُمْ لِأَمْرٍ تُؤْجَرُونَ عَلَيْهِ، وَتَكُونُونَ فِيهِ أَعْوَانًا عَلَى الْحَقِّ، إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَ أَمْرًا إِلَّا بِرَأْيِكُمْ

أَوْ بِرَأْيِ مَنْ حَضَرَ
مِنْكُمْ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَحَدًا
يَتَعَدَّى أَوْ بَلَغَكُمْ عَنْ
عَامِلٍ لِي ظُلَامَةٌ، فَأُحَرِّجُ
عَلَى مَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ إِلَّا
أَبْلَغَنِي، فَخَرَجُوا مِنْ
عِنْدِهِ يَجْزُونَهُ خَيْرًا.

ثُـــمَّ دَخَلَـــتْ سَـــنَةُ ثَـــمَانٍ
وَثَمَانِـــينَ، وَفِيهَـــا وَمَـــا
بَعْدَهَـــا حَقَّـــقَ الْمُسْـــلِمُونَ
انْتِصَـــارَاتٍ كَثِـــيرَةً فِي
بِـــلَادِ الـــرُّومِ وَالـــتُّرْكِ
وَالفِرْنِـــجِ وَالمَغْـــرِبِ
وَالهِنْـــدِ، وَغَـــزَا طَـــارِقُ

بْـنُ زِيَـادٍ بِـلَادَ الْأَنْدَلُسِ،
وَتَمَلَّكَهَـا بِكَمَالِهَـا.
وَقَـدِمَ كِتَـابُ الْوَلِيـدِ عَلَى
عُمَـرَ بْـنِ عَبْـدِ العَزِيـزِ
يَأْمُـرُهُ بِهَـدْمِ الْمَسْـجِدِ
النَّبَـوِيِّ، وَإِضَافَـةِ حُجَـرِ
أَزْوَاجِ رَسُـولِ اللهِ - صَـلَّى

اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّمَ -، وَأَنَّ
يُوَسِّـــعَهُ مِـــنْ قِبْلَتِهِ وَسَـــائِرِ
نَوَاحِيـــهِ، حَتَّـــى يَكُـــونَ
مِائَتَـــيْ ذِرَاعٍ فِي مِائَتَـــيْ
ذِرَاعٍ، وَكَانَ يُحِـــبُّ عِـــمَارَةَ
الْمَسَـــاجِدِ - عَمَّـــرَ الْمَسْـــجِدَ
الْحَـــرَامَ وَمَسْـــجِدَ دِمَشْـــقَ

وَغَيْرَهُمَا - فَجَمَعَ
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
وُجُوهَ النَّاسِ وَالْفُقَهَاءَ
الْعَشَرَةَ وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ،
وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدِ، فَشَقَّ
عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَقَالُوا:

هَـــذِهِ حُجَـــرٌ قَصِـــيرَةُ
السُّـــقُوفِ، وَسُـــقُوفُهَا مِـــنْ
جَرِيـــدِ النَّخْـــلِ، وَحِيطَانُهَا
مِـــنَ اللَّبِـــنِ، وَعَـــلَى
أَبْوَابِهَـــا الْمُسُـــوحُ، وَتَرْكُهَـــا
عَـــلَى حَالِهَـــا أَوْلَى؛ لِيَنْظُـــرَ
إِلَيْهَـــا الْحُجَّـــاجُ وَالـــزُّوَّارُ

وَالْمُسَافِرُونَ، وَإِلَى بُيُوتِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَعْتَبِرُوا، وَيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا.

فَعِنْدَ ذَلِكَ كَتَبَ عُمَرُ

بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْوَلِيدِ
بِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ
الْعَشَرَةُ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُمْ،
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِبِنَاءِ
الْمَسْجِدِ عَلَى مَا ذَكَرَ،
وَأَنْ يُعَلِّيَ سُقُوفَهُ، فَلَمْ
يَجِدْ عُمَرُ بُدًّا مِنْ

هَدْمِهَا، وَلَمَّا شَرَعُوا فِي
الْهَدْمِ أَدْخَلَ فِيهِ الْحُجْرَةَ
النَّبَوِيَّةَ - حُجْرَةَ عَائِشَةَ -
فَدَخَلَ الْقَبْرُ فِي الْمَسْجِدِ،
وَكَانَتْ حَدُّهُ مِنَ
الشَّرْقِ، وَسَائِرُ حُجَرِ
أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا

أَمَـرَ الْوَلِيـدُ، وَيُحْكَـى أَنَّ سَـعِيدَ بْـنَ الْمُسَـيِّبِ أَنْكَـرَ إِدْخَـالَ حُجْـرَةِ عَائِشَـةَ فِي الْمَسْـجِدِ، كَأَنَّـهُ خَـشِيَ أَنْ يُتَّخَـذَ الْقَـبْرُ مَسْـجِدًا. فَإِدْخَـالُ القَـبْرِ كَانَ اجْتِهَـادًا مِـنَ الوَلِيـدِ –

عَفَا اللهُ عَنْهُ - لَمْ يُوَافِقْهُ عَلَيْهِ أَهْلُ العِلْمِ، فَلَيْسَ فِي فِعْلِهِ مُتَعَلَّقٌ لِلْقُبُورِيِّينَ، وَقَدْ بُنِيَ عَلَى القَبْرِ حِيطَانٌ مُرْتَفِعَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ حَوْلَهُ؛ لِئَلَّا يَظْهَرَ فِي المَسْجِدِ،

ثُـــمَّ بَنَـــوْا جِدَارَيْـــنِ مِـــنْ
رُكْنَـــيِ القَـــبْرِ الشَّـــمَالِيَّيْنِ
وَحَرَّفُوهُمَـــا حَتَّـــى الْتَقَيَـــا،
حَتَّـــى لَا يَتَمَكَّـــنَ أَحَـــدٌ
مِـــنَ اسْـــتِقْبَالِ القَـــبْرِ.
كُلُّ ذَلِـــكَ بَعْـــدَ مَـــوْتِ
عَامَّـــةِ الصَّحَابَـــةِ رَضِيَ اللهُ

عَنْهُمْ إِلَّا نَزْرٌ قَدْ عُمِّرُوا

وَهَرِمُوا، كَأَنَسِ بْنِ

مَالِكٍ، تُوُفِّيَ فِي حُدُودِ

سَنَةِ تِسْعِينَ بِالبَصْرَةِ،

وَعُمْرُهُ تَقْرِيبًا مِائَةُ

سَنَةٍ، وَمِنْ صِغَارِهِمْ

مِثْلُ أَبِي الطُّفَيْلِ اللَّيْثِيِّ،

وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ فِي المَدِينَةِ
مِنَ الصَّحَابَةِ أَحَدٌ،
فَآخِرُهُمْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ
اللهِ، وَقَدْ مَاتَ قَبْلَ هَدْمِ
المَسْجِدِ وَإِدْخَالِ الحُجْرَةِ
بِعَشْرِ سِنِينَ، ثُمَّ سَهْلُ
بْنُ سَعْدٍ سَنَةَ ثَمَانٍ

وَثَمَانِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

٥٩- بَنُو أُمَيَّةَ عَلَى أَعْتَابِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ وَالصِّينِ

قَالَ تَعَالَى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ

وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ)

أَخْرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ

نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛

أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ، فَقَالَ:

يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَا

تَسْمَعُ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي

كِتَابِهِ: (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) الآية.

فَمَا يَمْنَعُكَ أَلَّا تُقَاتِلَ كَمَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أُعَيَّرُ بِهَذِهِ الآيَةِ وَلَا أُقَاتِلُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعَيَّرَ بِالآيَةِ الَّتِي يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ -:

(وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا
فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا
فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا
عَظِيمًا)، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى يَقُولُ: (وَقَاتِلُوهُمْ
حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ)،

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «قَدْ فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ كَانَ الإِسْلَامُ قَلِيلًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ: إِمَّا أَنْ يَقْتُلُوهُ، وَإِمَّا أَنْ يُوثِقُوهُ،

حَتَّى كَثُرَ الإِسْلَامُ فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ».

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: خَرَجَ إِلَيْنَا ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ رَجُلٌ: كَيْفَ تَرَى فِي قِتَالِ الفِتْنَةِ؟ فَقَالَ:

«وَهَلْ تَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ كَانَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُقَاتِلُ المُشْرِكِينَ، وَكَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً، وَلَيْسَ بِقِتَالِكُمْ عَلَى المُلْكِ».

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «كَانَتْ

سُــوقُ الجِهَــادِ قَائِمَــةً فِي
بَنِــي أُمَيَّــةَ، لَيْــسَ لَهُــمْ
شُــغْلٌ إِلَّا ذَلِكَ، قَــدْ عَلَتْ
كَلِمَةُ الإِسْــلَامِ فِي مَشَارِقِ
الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَــا، وَبَرِّهَا
وَبَحْرِهَــا، وَقَــدْ أَذَلُّــوا
الكُفْــرَ وَأَهْلَــهُ، وَامْتَــلَأَتْ

قُلُــوبُ الْمُشْرِكِــينَ مِــنَ
الْمُسْــلِمِينَ رُعْبًــا، لَا يَتَوَجَّهُ
الْمُسْــلِمُونَ إِلَى قُطْــرٍ مِــنَ
الأَقْطَــارِ إِلَّا أَخَذُوهُ، وَكَانَ
فِي عَسَــاكِرِهِمْ وَجُيُوشِــهِمْ
فِي الغَــزْوِ الصَّالِحُــونَ
وَالأَوْلِيَــاءُ وَالعُلَــمَاءُ مِــنْ

كِبَـــارِ التَّابِعِـــينَ، فِي كُلِّ
جَيْـــشٍ مِنْهُـــمْ شِرْذِمَـــةٌ
عَظِيمَـــةٌ يَنْـــصُرُ اللهُ بِهِـــمْ
دِينَـــهُ، فَقُتَيْبَـــةُ بْـــنُ مُسْـــلِمٍ
يَفْتَـــحُ فِي بِـــلَادِ الـــتُّرْكِ،
يَقْتُـــلُ وَيَسْـــبِي وَيَغْنَـــمُ،
حَتَّـــى وَصَـــلَ إِلَى تُخُـــومِ

الصِّينِ، وَأَرْسَلَ إِلَى
مَلِكِهِ يَدْعُوهُ، فَخَافَ
مِنْهُ، وَأَرْسَلَ لَهُ هَدَايَا
وَتُحَفًا وَأَمْوَالًا كَثِيرَةً
هَدِيَّةً، وَبَعَثَ يَسْتَعْطِفُهُ
مَعَ قُوَّتِهِ وَكَثْرَةِ جُنْدِهِ،
بِحَيْثُ إِنَّ مُلُوكَ تِلْكَ

النَّوَاحِي كُلِّهَا تُؤَدِّي
إِلَيْهِ الخَرَاجَ خَوْفًا مِنْهُ،
وَلَوْ عَاشَ الحَجَّاجُ
لَمَا أَقْلَعَ عَنْ بِلَادِ
الصِّينِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا
أَنْ يَلْتَقِيَ مَعَ مَلِكِهَا،
فَلَمَّا مَاتَ الحَجَّاجُ

رَجَعَ الجَيْشُ. ثُمَّ إِنَّ قُتَيْبَةَ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ، قَتَلَهُ بَعْضُ المُسْلِمِينَ.

وَمَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَابْنُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ الوَلِيدُ، وَأَخُوهُ

الآخَـــرُ: يَفْتَحُـــونَ فِي
بِـــلَادِ الـــرُّومِ وَيُجَاهِـــدُونَ
بِعَسَـــاكِرِ الشَّـــامِ حَتَّـــى
وَصَلُـوا إِلَى القُسْـطَنْطِينِيَّةِ،
وَبَنَـــى بِهَـــا مَسْـــلَمَةُ
جَامِعًـــا يُعْبَـــدُ اللهُ فِيـــهِ،
وَامْتَـلَأَتْ قُلُـوبُ الفِرِنْـجِ

مِنْهُمْ رُعْبًا، وَمُحَمَّدُ
بْنُ القَاسِمِ ابْنُ أَخِي
الحَجَّاجِ يُجَاهِدُ فِي بِلَادِ
الهِنْدِ، وَيَفْتَحُ مُدُنَهَا فِي
طَائِفَةٍ مِنْ جَيْشِ العِرَاقِ
وَغَيْرِهِمْ، وَمُوسَى بْنُ
نُصَيْرٍ يُجَاهِدُ فِي بِلَادِ

الْمَغْـــرِبِ، وَيَفْتَـــحُ مُدُنَهَـــا
وَأَقَالِيمَهَـــا فِي جُيُـــوشِ
الدِّيَـــارِ الْمِصْرِيَّـــةِ وَغَيْرِهِمْ.
وَكُلُّ هَـــذِهِ النَّوَاحِـــي إِنَّـــمَا
دَخَـــلَ أَهْلُهَـــا فِي الإِسْـــلَامِ
وَتَرَكُـــوا عِبَـــادَةَ الأَوْثَـــانِ،
وَقَبْـــلَ ذَلِـــكَ قَـــدْ كَانَ

الصَّحَابَةُ فِي زَمَنِ عُمَرَ
وَعُثْمَانَ، فَتَحُوا غَالِبَ
هَذِهِ النَّوَاحِي وَدَخَلُوا
فِي مَبَانِيهَا، بَعْدَ هَذِهِ
الأَقَالِيمِ الكِبَارِ، مِثْلَ
الشَّامِ وَمِصْرَ وَالعِرَاقِ
وَاليَمَنِ وَأَوَائِلِ بِلَادِ

الـــتُّرْكِ، وَدَخَلُـــوا إِلَى مَـــا
وَرَاءَ النَّهْـــرِ وَأَوَائِـــلِ بِـــلَادِ
المَغْـــرِبِ، وَأَوَائِـــلِ بِـــلَادِ
الهِنْـــدِ، فَـــكَانَ سُـــوقُ
الجِهَـــادِ قَائِـــمًا فِي القَـــرْنِ
الأَوَّلِ مِـــنْ بَعْـــدِ الهِجْـــرَةِ
إِلَى انْقِضَـــاءِ دَوْلَـــةِ بَنِـــي

أُمَيَّـــةَ، وَفِي أَثْنَـــاءِ خِلَافَـــةِ
بَنِـــي العَبَّـــاسِ، مِثْـــلَ
أَيَّـــامِ المَنْصُـــورِ وَأَوْلَادِهِ،
وَالرَّشِـــيدِ وَأَوْلَادِهِ، فِي
بِـــلَادِ الـــرُّومِ وَالـــتُّرْكِ
وَالهِنْـــدِ، وَقَـــدْ فَتَـــحَ
مَحْمُـــودْ سُـــبُكْتِكِينْ وَوَلَـــدُهُ

فِي أَيَّامِ مُلْكِهِمْ بِلَادًا كَثِيرَةً مِنْ بِلَادِ الهِنْدِ، وَلَمَّا دَخَلَ طَائِفَةٌ مِمَّنْ هَرَبَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَى بِلَادِ المَغْرِبِ وَتَمَلَّكُوهَا، أَقَامُوا سُوقَ الجِهَادِ فِي الفِرْنِجِ بِهَا، ثُمَّ لَمَّا بَطَلَ

الجِهَادُ مِنْ هَذِهِ المَوَاضِعِ

رَجَعَ العَدُوُّ إِلَيْهَا،

فَأَخَذَ مِنْهَا بِلَادًا كَثِيرَةً،

وَضَعُفَ الإِسْلَامُ فِيهَا،

ثُمَّ لَمَّا اسْتَوْلَتْ دَوْلَةُ

الفَاطِمِيِّينَ عَلَى الدِّيَارِ

المِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ،

وَضَعُفَ الإِسْلَامُ وَقَلَّ نَاصِرُوهُ، وَجَاءَ الفِرِنْجُ فَأَخَذُوا غَالِبَ بِلَادِ الشَّامِ، حَتَّى أَخَذُوا بَيْتَ المَقْدِسِ وَغَيْرَهُ مِنَ البِلَادِ الشَّامِيَّةِ، فَأَقَامَ اللهُ سُبْحَانَهُ بَنِي أَيُّوبَ مَعَ

نُــورِ الدِّيــنِ، فَاسْــتَلَبُوهَا مِــنْ أَيْدِيهِــمْ وَطَرَدُوهُــمْ عَنْهُ، فَلِلَّــهِ الحَمْــدُ وَالمِنَّةُ».

٦٠ العَــالِمُ الَّــذِي أَصَابَ بِدَعْوَتِــهِ الحَجَّــاجَ فَهَلَــكَ عَــنْ أَبِي هُرَيْــرَةَ رَضِيَ

اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ).

رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

فَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمَا

أَدْرَاكَ مَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ؟ الإِمَامُ العَالِمُ العَامِلُ، مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَكَانَ يُكْثِرُ مِنَ الذِّكْرِ

وَخَتْمِ القُرْآنِ. وَهُوَ فِي جُمْلَةِ مَنْ خَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ عَلَى الْحَجَّاجِ، ثُمَّ اخْتَفَى قَرِيبًا مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ

عَبْـدِ اللهِ بْنِ خَبَّـابٍ، قَالَ: جِـيءَ بِسَـعِيدِ بْـنِ جُبَـيْرٍ إِلَى الْحَجَّـاجِ، فَقَـالَ: وَاللهِ لَأَقْتُلَنَّـكَ! قَـالَ: إِنِّي إِذًا لَسَـعِيدٌ كَـمَا سَـمَّتْنِي أُمِّي. قَـالَ فَقَتَلَـهُ، فَلَـمْ يَلْبَـثِ الْحَجَّـاجُ بَعْـدَهُ إِلَّا أَرْبَعِينَ

يَوْمًا، وَكَانَ إِذَا نَامَ يَرَاهُ
فِي الْمَنَامِ يَأْخُذُ بِمَجَامِعِ
ثَوْبِهِ، وَيَقُولُ: يَا عَدُوَّ
اللَّهِ، فِيمَ قَتَلْتَنِي؟ فَيَقُولُ
الْحَجَّاجُ: مَا لِي وَلِسَعِيدِ
بْنِ جُبَيْرٍ؟ مَا لِي وَلِسَعِيدِ
بْنِ جُبَيْرٍ؟ وَقِيلَ: إِنَّهُ

قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُسَلِّطْهُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي! فَلَمْ يُسَلَّطْ بَعْدَهُ عَلَى أَحَدٍ.

وَفِي رُدُودِهِ عَلَى الحَجَّاجِ قَبْلَ قَتْلِهِ العَجَبُ، لَوْلَا مَا فِي أَسَانِيدِهَا مِنْ مَقَالٍ.

وَحُكِيَ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ، وَعَنْ مَيْمُونٍ، قَالَا: «قُتِلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى عِلْمِهِ».

وكَانَ قَتْلُهُ - رَحِمَهُ اللهُ

- سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَكَانَ يُقَالُ لِهَذِهِ السَّنَةِ: سَنَةَ الْفُقَهَاءِ؛ لِأَنَّهُ مَاتَ فِيهَا عَامَّةُ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ.

وَحُكِيَ أَنَّ الحَسَنَ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ الحَجَّاجِ

لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: اللَّهُمَّ يَا قَاصِمَ الجَبَابِرَةِ، اقْصِمِ الحَجَّاجَ! فَوَقَعَ فِي جَوْفِهِ دُودٌ، فَأَنْتَنَ مِنْهُ فَمَاتَ.

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنَّ طَاوُوسَ أُخْبِرَ بِمَوْتِ

الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

وَرَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ: أَنَّ الْحَسَنَ لَمَّا بُشِّرَ بِمَوْتِ الْحَجَّاجِ سَجَدَ شُكْرًا للهِ تَعَالَى، وَكَانَ مُخْتَفِيًا فَظَهَرَ،

وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَمَتَّهُ، فَأَذْهِبْ عَنَّا سُنَّتَهُ!.

وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ: لَمَّا أَخْبَرْتُ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيَّ بِمَوْتِ الْحَجَّاجِ بَكَى مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ:

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ هُنَا كَلَامًا كَثِيرًا فِي مَقْتَلِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَحْسَنُهُ هَذَا، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ رُوِيَتْ آثَارٌ غَرِيبَةٌ فِي صِفَةِ مَقْتَلِهِ، أَكْثَرُهَا لَا يَصِحُّ، وَقَدْ عُوقِبَ

الْحَجَّاجُ بَعْدَهُ وَعُوجِلَ بِالْعُقُوبَةِ، فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهُ إِلَّا قَلِيلًا، ثُمَّ أَخَذَهُ اللهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

٦١- الخَلِيفَةُ البَنَّاءُ

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:

حَدَّثَنِي عُمَرُ، حَدَّثَنَا عَلِيٌّ - يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ المَدَائِنِيَّ - قَالَ: كَانَ الوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ أَفْضَلَ خَلَائِفِهِمْ؛ بَنَى المَسَاجِدَ بِدِمَشْقَ، وَوَضَعَ المَنَائِرَ،

وَأَعْطَى النَّاسَ، وَأَعْطَى
المَجْذُومِينَ، وَقَالَ لَهُمْ: لَا
تَسْأَلُوا النَّاسَ، وَأَعْطَى
كُلَّ مُقْعَدٍ خَادِمًا، وَكُلَّ
ضَرِيرٍ قَائِدًا، وَفَتَحَ فِي
وِلَايَتِهِ فُتُوحَاتٍ كَثِيرَةً
عِظَامًا، وَكَانَ يُرْسِلُ

بَنِيــهِ فِي كُلِّ غَــزْوَةٍ إِلَى
بِــلَادِ الــرُّومِ، فَفَتَــحَ الهِنْــدَ
وَالسِّــنْدَ وَالأَنْدَلُــسَ
وَأَقَالِيــمَ بِــلَادِ العَجَــمِ،
حَتَّــى دَخَلَــتْ جُيُوشُــهُ
إِلَى الصِّــينِ وَغَــيْرِ ذَلِــكَ،
قَــالَ: وَكَانَ مَــعَ هَــذَا

يَمُرُّ بِالبَقَّالِ، فَيَأْخُذُ حُزْمَةَ البَقْلِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: بِكَمْ تَبِيعُ هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِفَلْسٍ، فَيَقُولُ: زِدْ فِيهَا فَإِنَّكَ تَرْبَحُ.

وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ يَبَرُّ حَمَلَةَ القُرْآنِ، وَيُكْرِمُهُمْ،

وَيَقْضِي عَنْهُمْ دُيُونَهُمْ،
وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي
عَبْلَةَ: قَالَ لِيَ الوَلِيدُ
بْنُ عَبْدِ المَلِكِ يَوْمًا:
فِي كَمْ تَخْتِمُ القُرْآنَ؟
قُلْتُ: فِي كَذَا وَكَذَا،
فَقَالَ: أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ

عَـــلَى شُـــغْلِهِ يَخْتِمُـــهُ فِي كُلِّ ثَـــلَاثٍ، وَقِيـــلَ: فِي كُلِّ سَـــبْعٍ، قَـــالَ: وَكَانَ يَقْـــرَأُ فِي شَـــهْرِ رَمَضَـــانَ سَـــبْعَ عَـــشْرَةَ خَتْمَـــةً.

قَـــالَ إِبْرَاهِيـــمُ - رَحِمَـــهُ اللهُ -: الوَلِيـــدُ، وَأَيْـــنَ مِثْلُـــهُ؟

بَنَى مَسْجِدَ دِمَشْقَ، وَكَانَ يُعْطِينِي قِطَعَ الفِضَّةِ، فَأَقْسِمُهَا عَلَى قُرَّاءِ بَيْتِ المَقْدِسِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: قَالُوا: وَكَانَتْ هِمَّةُ الوَلِيدِ فِي البِنَاءِ، وَكَانَ النَّاسُ

كَذَلِكَ، يَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَيَقُولُ: مَاذَا بَنَيْتَ؟ مَاذَا عَمَّرْتَ؟ وَكَانَتْ هِمَّةُ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ فِي النِّسَاءِ، وَكَانَ النَّاسُ كَذَلِكَ، يَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَيَقُولُ:

كَـــمْ تَزَوَّجْـــتَ؟ مَـــاذَا
عِنْـــدَكَ مِـــنَ الـــسَّرَارِي؟
وَكَانَـــتْ هِمَّـــةُ عُمَـــرَ بْـــنِ
عَبْـــدِ العَزِيـــزِ فِي قِـــرَاءَةِ
القُـــرْآنِ، وَفِي الصَّـــلَاةِ
وَالعِبَـــادَةِ، وَكَانَ النَّـــاسُ
كَذَلِـــكَ، يَلْقَـــى الرَّجُـــلُ

الرَّجُلَ فَيَقُولُ: كَمْ وِرْدُكَ؟ كَمْ تَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ؟ مَاذَا صَلَّيْتَ البَارِحَةَ؟.

وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: النَّاسُ عَلَى دِينِ مَلِيكِهِمْ، إِنْ كَانَ خَمَّارًا كَثِيرَ الخَمْرِ، وَإِنْ كَانَ لُوطِيًّا فَكَذَلِكَ،

وَإِنْ كَانَ شَحِيحًا حَرِيصًا

كَانَ النَّاسُ كَذَلِكَ، وَإِنْ

كَانَ جَوَادًا كَرِيمًا شُجَاعًا

كَانَ النَّاسُ كَذَلِكَ، وَإِنْ

كَانَ طَمَّاعًا ظَلُومًا غَشُومًا

فَكَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ ذَا دِينٍ

وَتَقْوَى وَبِرٍّ وَإِحْسَانٍ

كَانَ النَّاسُ كَذَلِكَ. وَهَذَا يُوجَدُ فِي بَعْضِ الأَزْمَانِ وَبَعْضِ الأَشْخَاصِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. انتهى.

وَقَالَ الوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ: لَوْلَا أَنَّ اللهَ ذَكَرَ قَوْمَ لُوطٍ فِي القُرْآنِ؛

مَـــا ظَنَنْـــتُ أَنَّ ذَكَـــرًا يَفْعَـــلُ هَـــذَا بِذَكَـــرٍ.

قُلْـتُ - القَائِـلُ ابْـنُ كَثِـيرٍ -: فَنَفَـى عَـنْ نَفْسِـهِ هَذِهِ الخَصْلَةَ القَبِيحَةَ الشَّـنِيعَةَ، وَالفَاحِشَـةَ المَذْمُومَةَ، الَّتِي عَـذَّبَ اللهُ أَهْلَهَـا بِأَنْـوَاعِ

الْعُقُوبَـاتِ، وَأَحَـلَّ بِهِـمْ
أَنْوَاعًـا مِـنَ الْمَثُـلَاتِ،
الَّتِـي لَمْ يُعَاقِـبْ بِهَـا أَحَـدًا
مِـنَ الأُمَـمِ السَّـالِفَاتِ،
فَعَـلَى الرَّجُـلِ حِفْـظُ وَلَدِهِ
فِي حَـالِ صِغَـرِهِ وَبَعْـدَ
بُلُوغِـهِ، وَأَنْ يُجَنِّبَـهُ مُخَالَطَةَ

هَـؤُلَاءِ المَلَاعِـينِ، الَّذِيـنَ لَعَنَهُـمْ رَسُـولُ اللهِ - صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -.

وَالمَقْصُـودُ: أَنَّ مَفْسَـدَةَ اللِّـوَاطِ مِـنْ أَعْظَـمِ المَفَاسِـدِ، وَكَانَـتْ لَا تُعْـرَفُ بَـيْنَ العَـرَبِ

قَدِيمًا، كَمَا قَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ

لُــوطٍ، فَاقْتُلُــوا الفَاعِــلَ وَالمَفْعُــولَ بِــهِ». رَوَاهُ أَهْــلُ السُّــنَنِ، وَصَحَّحَــهُ ابْــنُ حِبَّــانَ، وَغَــيْرُهُ. وَقَــدْ لَعَــنَ النَّبِــيُّ - صَــلَّى اللهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ - مَــنْ عَمِــلَ عَمَــلَ قَــوْمِ

لُـوطٍ ثَـلَاثَ مَـرَّاتٍ، وَلَمْ يَلْعَـنْ عَـلَى ذَنْـبٍ ثَـلَاثَ مَـرَّاتٍ إِلَّا عَلَيْـهِ. انتهى.

٦٢- وَفَـاةُ الوَلِيـدِ بْـنِ عَبْـدِ المَلِـكِ وَمُبَايَعَـةُ أَخِيـهِ سُـلَيْمَانَ بِالخِلَافَـةِ

قال تعالى: (أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ).

كَانَتْ وَفَاةُ الْوَلِيدِ بْنِ

عَبْـدِ الْمُلِـكِ - رَحِمَـهُ اللهُ -
فِي يَـوْمِ السَّـبْتِ، لِلنِّصْفِ
مِـنْ جُمَـادَى الْآخِـرَةِ،
سَـنَةَ سِـتٍّ وَتِسْـعِينَ،
عَـنْ نَحْـوِ سِـتٍّ وَأَرْبَعِينَ
سَـنَةً، وَكَانَ الَّـذِي صَـلَّى
عَلَيْـهِ عُمَـرُ بْـنُ عَبْـدِ

الْعَزِيــزِ، وَهُــوَ الَّــذِي
أَنْزَلَــهُ إِلَى قَــبْرِهِ، وَقَــالَ
حِــينَ أَنْزَلَــهُ: لِنُنْزِلَنَّــهُ
غَــيْرَ مُوَسَّــدٍ وَلَا مُمَهَّــدٍ،
قَــدْ خَلَّفْــتَ الأَسْــلَابَ،
وَفَارَقْــتَ الْأَحْبَــابَ،
وَسَــكَنْتَ الــتُّرَابَ،

وَوَاجَهْتَ الْحِسَابَ،
فَقِيرًا إِلَى مَا قَدَّمْتَ،
غَنِيًّا عَمَّا أَخَّرْتَ.
وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ عَشْرَ
سِنِينَ تَقْرِيبًا. وَاللهُ أَعْلَمُ.
وَبُوِيعَ بِالْخِلَافَةِ لِسُلَيْمَانَ
بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يَوْمَ

مَـوْتِ أَخِيهِ الْوَلِيـدِ، وَكَانَ
سُـلَيْمَانُ وَلِيَّ الْعَهْـدِ مِـنْ
بَعْـدِ أَخِيـهِ عَـنْ وَصِيَّـةِ
أَبِيهِـمَا عَبْـدِ الْمُلِـكِ، وَقِيلَ:
كَانَ الْوَلِيـدُ قَـدْ عَـزَمَ قَبْلَ
مَوْتِـهِ عَـلَى خَلْـعِ أَخِيـهِ
سُـلَيْمَانَ، وَأَنْ يَجْعَـلَ وِلَايَةَ

الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ
عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ،
فَلَمْ يَنْتَظِمْ ذَلِكَ لَهُ
حَتَّى مَاتَ، وَانْعَقَدَتِ
الْبَيْعَةُ إِلَى سُلَيْمَانَ.
وَذَكَرُوا أَنَّ قُتَيْبَةَ بْنَ
مُسْلِمٍ عَزَمَ عَلَى خَلْعِ

سُلَيْمَانَ لِعَزْلِهِ إِيَّاهُ عَنْ خُرَاسَانَ، فَقُتِلَ عَلَى أَيْدِي أَضْدَادِهِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَدْ كَانَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيُّ، مِنْ سَادَاتِ الْأُمَرَاءِ وَخِيَارِهِمْ،

وَكَانَ مِنَ الْقَادَةِ النُّجَبَاءِ
الْكُبَرَاءِ، وَالشُّجْعَانِ،
وَذَوِي الْحُرُوبِ،
وَالْفُتُوحَاتِ السَّعِيدَةِ،
وَالْآرَاءِ الْحَمِيدَةِ، وَقَدْ
هَدَى اللهُ عَلَى يَدَيْهِ
خَلْقًا لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ،

فَأَسْلَمُوا وَدَانُوا للهِ – عَزَّ وَجَلَّ –، وَفَتَحَ مِنَ الْبِلَادِ وَالْأَقَالِيمِ الْكِبَارِ وَالْمُدُنِ الْعِظَامِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ لَا يُضِيعُ سَعْيَهُ، وَلَا يُخَيِّبُ تَعَبَهُ وَجِهَادَهُ، وَلَكِنْ

زَلَّ زَلَّـةً كَانَ فِيهَـا حَتْفُـهُ.

٦٣ ▯ افْتَتَـحَ خِلَافَتَـهُ بِخَـيْرٍ وَاخْتَتَمَهَـا بِخَـيْرٍ عَـنْ أَبِي سَـعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْـرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُـمَا - أَنَّ رَسُـولَ اللهِ - ﷺ -

قَالَ: (مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ، وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ،

فَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَى). رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وَكَانَ الخَلِيفَةُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ المُلِكِ عَلَى دِينٍ، وَلَهُ بِطَانَةُ خَيْرٍ مِثْلَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ، العَالِمِ العَابِدِ الزَّاهِدِ، وَمُوسَى

بْـنِ نُصَـيْرٍ الْمُجَاهِـدِ الَّذِي
افْتَتَـحَ بِـلَادَ الْمَغْـرِبِ،
وَأَسْـلَمَ أَهْلُهَـا عَـلَى يَدَيْهِ،
وافْتَتَـحَ بِـلَادَ الْأَنْدَلُـسِ،
وَقَـدْ كَانَ يَفْتَـحُ فِي بِـلَادِ
الْمُغْـرِبِ، وَقُتَيْبَـةُ يَفْتَـحُ فِي
بِـلَادِ الْمُـشْرِقِ، فَكِلَاهُمَـا

فَتَحَ مِنَ الْأَقَالِيمِ وَالْبُلْدَانِ شَيْئًا كَثِيرًا، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَلَمْ يُسْمَعْ فِي الْإِسْلَامِ بِمِثْلِ سَبَايَا مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ».

وَلِأَثَرِ هَذِهِ البِطَانَةِ المُجَاهِدَةِ: جَهَّزَ سُلَيْمَانُ

بْـنُ عَبْـدِ الْمَلِـكِ الْجُيُـوشَ
إِلَى مَدِينَـةِ الـرُّومِ
الْقُسْـطَنْطِينِيَّةِ، وَآلَى عَـلَى
نَفْسِـهِ حِـينَ خَـرَجَ مِـنْ
دِمَشْـقَ إِلَى مَـرْجِ دَابِـقٍ،
أَنْ لَا يَرْجِـعَ حَتَّـى
تُفْتَـحَ الْقُسْـطَنْطِينِيَّةُ أَوْ

يَمُـوتَ، فَـمَاتَ هُنَالِـكَ.

قَـالَ ابْـنُ كَثِـيرٍ: «فَحَصَلَ لَـهُ بِهَـذِهِ النِّيَّـةِ أَجْـرُ الرِّبَـاطِ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ، فَهُوَ إِنْ شَـاءَ اللَّهُ مِمَّـنْ يُجْـرَى لَهُ ثَوَابُـهُ إِلَى يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ».

وَاتَّخَـذَ سُـلَيْمَانُ بْـنُ عَبْـدِ

الْمُلِـــكِ ابْـــنَ عَمِّـــهِ عُمَـــرَ
بْـــنَ عَبْـــدِ الْعَزِيزِ مُسْتَشَـــارًا
وَوَزِيـــرًا، فـــكَانَ مِـــنْ أَثَـــرِهِ
الطَّيِّـــبِ: عَـــزْلُ نُـــوَّابِ
الْحَجَّـــاجِ، وَإِخْـــرَاجُ أَهْـــلِ
السُّـــجُونِ مِنْهَـــا، وَإِطْلَاقُ
الأُسَرَاءِ، وَرَدُّ الصَّـــلَاةِ

إِلَى مِيقَاتِهَا الْأَوَّلِ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يُؤَخِّرُونَهَا إِلَى آخِرِ وَقْتِهَا.

وَأَخَذَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْعَهْدَ لِوَلَدِهِ أَيُّوبَ أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ مِنْ

بَعْـدِهِ، وَذَلِـكَ بَعْـدَ مَوْتِ
أَخِيـهِ مَـرْوَانَ بْـنِ عَبْـدِ
المَلِـكِ، فَـمَاتَ أَيُّـوبُ فِي
حَيَـاةِ أَبِيـهِ، فاسْتَشَـارَ
سُـلَيْمَانُ بْـنُ عَبْـدِ المَلِـكِ
– وَهُـوَ مَرِيـضٌ –
وَزِيـرَهُ رَجَـاءَ بْـنَ حَيْـوَةَ،

فَقَالَ لَهُ: إِنَّ مِمَّا يَحْفَظُ الْخَلِيفَةَ فِي قَبْرِهِ أَنْ يُوَلِّيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ، فَكَتَبَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ اللهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ،
إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُهُ الخِلَافَةَ
مِنْ بَعْدِي، وَمِنْ بَعْدِهِ
يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ المُلْكِ،
فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا،
وَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تَخْتَلِفُوا،
فَيَطْمَعَ فِيكُمْ عَدُوُّكُمْ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ
الْجُمُعَةِ، لِعَشْرِ لَيَالٍ
خَلَتْ مِنْ صَفَرٍ،
سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ،
وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ
سَنَتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ.
وعَنْ أَبِي مُسْلِمٍ

الْفَـــزَارِيِّ، قَـــالَ: كَانَ
مُحَمَّـــدُ بْـــنُ سِـــيرِينَ يَتَرَحَّمُ
عَـــلَى سُـــلَيْمَانَ بْـــنِ عَبْـــدِ
المَلِـــكِ، وَيَقُـــولُ: افْتَتَـــحَ
خِلَافَتَـــهُ بِخَـــيْرٍ وَخَتَمَهَـــا
بِخَـــيْرٍ، افْتَتَحَهَـــا بِإِجَابَـــةِ
الصَّـــلَاةِ لِمَوَاقِيتِهَـــا،

وَخَتَمَهَا بِاسْتِخْلَافِهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ.

٦٤ - عَدْلُهُ كَفَّ الذِّئَابَ عَنِ الشِّيَاهِ صَحَّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ السَّخَاوِيُّ.

وَقَدْ جَدَّدَ الخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ، وَالعَالِمُ الزَّاهِدُ، عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ - رَحِمَهُ اللهُ - لِلنَّاسِ دِينَهُمْ، فَإِنَّهُ تَوَلَّى سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ، فَكَانَ

عَهْـــدُهُ زَاخِـــرًا بِالعِلْـــمِ،
وَالدِّيَانَـــةِ، وَالـــوَرَعِ،
وَالزُّهْـــدِ، وَالعِبَـــادَةِ،
وَالأَمْـــنِ، حَتَّـــى كَثُـــرَتْ
فِي خِلَافَتِـــهِ الخَـــيْرَاتُ،
وَحَلَّتِ الـبَرَكَاتُ، وَسَـارَ
بِسِـــيرَةِ جَـــدِّهِ لِأُمِّـــهِ أُمِّ

عَاصِمٍ، ابْنَةِ صَاحِبَةِ
القِصَّةِ المَشْهُورَةِ فِي زَمَنِ
عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ
اللهُ عَنْهُ، فَهِيَ القَائِلَةُ: «إِنْ
كَانَ عُمَرُ لَا يَعْلَمُ، فَإِلَهُ
عُمَرَ يَعْلَمُ»، فَسَمِعَهَا
عُمَرُ، فَأَشَارَ عَلَى ابْنِهِ

عَاصِمٍ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، وَقَالَ لَهُ: فَمَا أَحْرَاهَا أَنْ تَأْتِيَ بِفَارِسٍ يَسُودُ العَرَبَ! فَكَانَ حَفِيدُهَا الخَلِيفَةَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ، العَالِمَ العَامِلَ.

وَعَنْ نُعَيْمِ بْنِ دَجَاجَةَ،

قَالَ: دَخَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: أَنْتَ الْقَائِلُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِائَةُ عَامٍ وَعَلَى الْأَرْضِ

نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ»؟ إِنَّمَا
قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِائَةُ
عَامٍ وَعَلَى الْأَرْضِ
نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ مِمَّنْ
هُوَ حَيٌّ، وَإِنَّ رَخَاءَ

هَـذِهِ الْأُمَّـةِ بَعْـدَ الْمِائَـةِ».

رَوَاهُ أَحْمَـدُ، وَأَبُـو يَعْـلَى،

وَإِسْـنَادُهُ لَا بَـأْسَ بِـهِ.

لَقَـدْ سَـادَ فِي عَهْـدِ

الخَلِيفَـةِ الرَّاشِـدِ عُمَـرَ

بْـنِ عَبْـدِ العَزِيـزِ العَـدْلُ،

وَاسْـتَتَبَّ الأَمْـنُ، وَفَاضَ

المَالُ، حَتَّى لَمْ يَجِدُوا
مَنْ يَقْبَلُ الزَّكَاةَ.
وَذَكَرَ السُّيُوطِيُّ، عَنْ
حَسَنٍ القَصَّابِ، قَالَ:
رَأَيْتُ الذِّئَابَ تَرْعَى
مَعَ الغَنَمِ فِي البَادِيَةِ فِي
خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ

العَزِيــزِ – رَحِمَــهُ اللهُ –،
فَقُلْتُ: سُــبْحَانَ الله! ذِئْبٌ
فِي غَنَــمٍ لَا يَضُرُّهَــا! فَقَــالَ
الرَّاعِــي: إِذَا صَلَحَ الرَّأْسُ
فَلَيْــسَ عَــلَى الجَسَــدِ بَأْسٌ.
وَقَــالَ مَالِــكُ بْــنُ دِينَــارٍ:
لَمَّــا وَلِيَ عُمَــرُ بْــنُ عَبْــدِ

العَزِيــزِ – رَحِمَــهُ اللهُ –
قَالَــتْ رِعَــاءُ الشَّــاءِ: مَــنْ
هَــذَا الصَّالِــحُ الَّــذِي قَــامَ
عَــلَى النَّــاسِ خَلِيفَــةً؟
عَدْلُــهُ كَــفَّ الذِّئَــابَ عَــنْ
شَــائِنَا. رَوَاهَــا أَبُــو نُعَيْــمٍ.

٦٥- خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ

الخَـيْرِ، وكُنْـتُ أَسْـأَلُهُ عَنِ
الـشَّرِّ مَخَافَـةَ أَنْ يُدْرِكَنِـي،
فَقُلْـتُ: يَـا رَسُـولَ اللهِ،
إِنَّـا كُنَّـا فِي جَاهِلِيَّـةٍ وشَرٍّ،
فَجَاءَنَـا اللهُ بِهَـذَا الخَـيْرِ،
فَهَـلْ بَعْـدَ هَـذَا الخَـيْرِ مِنْ
شَرٍّ؟ قَـالَ: نَعَـمْ. قُلْـتُ:

وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذلكَ الخَيْرِ

مِـــن شَرٍّ؟ قـــالَ: نَعَـــمْ، دُعَـــاةٌ إِلَى أَبْـــوَابِ جَهَنَّـــمَ، مَـــنْ أَجَابَهُـــمْ إِلَيْهَـــا قَذَفُـــوهُ فِيهَـــا». مُتَّفَـــقٌ عَلَيْـــهِ.

فَحَمَـــلَ البَيْهَقِـــيُّ وَغَـــيْرُهُ هَـــذَا الخَـــيْرَ الثَّـــانِيَ عَـــلَى أَيَّـــامِ الخَلِيفَـــةِ الرَّاشِـــدِ

عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرفَعُهَا إِذَا

شَـــاءَ أَنْ يَرفَعَهَـــا، ثُـــمَّ
تَكُـــونُ خِلَافَـــةٌ عَـــلَى
مِنْهَـــاجِ النُّبُـــوَّةِ، فَتَكُـــونُ
مَـــا شَـــاءَ اللهُ أَنْ تَكُـــونَ،
ثُـــمَّ يَرفَعُهَا إِذَا شَـــاءَ اللهُ أَنْ
يَرفَعَهَـــا، ثُـــمَّ تَكُـــونُ مُلـــكًا
عَاضًّـــا، فَيَكُـــونُ مَـــا شَـــاءَ

اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرفَعُهَا
إِذَا شَاءَ أَنْ يَرفَعَهَا، ثُمَّ
تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً،
فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ
تَكُونَ، ثُمَّ يَرفَعُهَا إِذَا
شَاءَ أَنْ يَرفَعَهَا، ثُمَّ
تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ

نُبُوَّةٍ، ثُمَّ سَكَتَ). قَالَ حَبِيبٌ: فَلَمَّا قَامَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ، وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ فِي صَحَابَتِهِ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ بِهَذَا الحَدِيثِ أُذَكِّرُهُ إِيَّاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَرْجُو أَنْ

يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي عُمَرَ، بَعْدَ الْمُلْكِ الْعَاضِّ وَالْجَبْرِيَّةِ، فَأُدْخِلَ كِتَابِي عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَسُرَّ بِهِ وَأَعْجَبَهُ. رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّيَالِسِيُّ.

٦٦ ▯ الخَلِيفَةُ الَّذِي رَحِمَ نَفْسَهُ فَبَكَى

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -،

فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: (إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْقَضِي حَتَّى يَمْضِيَ فِيهِمُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً. قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ خَفِيَ عَلَيَّ. قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ قَالَ: كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ).

رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَفِي لَفْظٍ لَهُ أَيْضًا: (لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزًا مَنِيعًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً).

وَلِأَبِي دَاوُدَ: (كُلُّهُمْ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الأُمَّةُ)،

وَلِلطَّبَرَانِيِّ: (لَا تَضُرُّهُمْ عَدَاوَةُ مَنْ عَادَاهُمْ).

إِذَا تَقَرَّرَ هَذَا: فَقَدْ قَالَ عَبَّادٌ السَّمَّاكُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: الْخُلَفَاءُ خَمْسَةٌ، أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ،

وَعَلِيٌّ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ
الْعَزِيزِ. وَهَكَذَا رُوِيَ
عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ،
وَالشَّافِعِيِّ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ.
فَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ
أَحَدُ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ،
وَأَحَدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ

وَالْأَئِمَّـــةِ الْمُهْدِيِّـــينَ، وَكَانَ يَكْتُـــبُ إِلَى عُمَّالِـــهِ بِالمَوْعِظَةِ فِي مُعَامَلَـــةِ النَّـــاسِ، وَيَحُثُّهُـــمْ عَـــلَى النُّصْـــحِ لَهُـــمْ، وَأَنْ لَا يُوَلُّـــوا عَلَيْهِمْ فِي أُمُورِهِـــمْ إِلَّا المَعْـــرُوفَ بِالنَّصِيحَـــةِ وَالْمُرَاقَبَـــةِ.

وَقَدِ اجْتَهَدَ فِي رَدِّ
الْمُظَالِمِ، وَإِعْطَاءِ كُلِّ
ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَكَانَ
مُنَادِيهِ يُنَادِي فِي كُلِّ
يَوْمٍ: أَيْنَ الْغَارِمُونَ؟
أَيْنَ النَّاكِحُونَ؟
أَيْنَ الْمَسَاكِينُ؟ أَيْنَ

الْيَتَامَـــى؟ حَتَّـــى أَغْنَـــى
كُلًّا مِـــنْ هَـــؤُلَاءِ.
وَقَالَـــتْ زَوْجَتُـــهُ فَاطِمَـــةُ
بِنْـــتُ أَمِـــيرِ الْمُؤْمِنِـــينَ عَبْـــدِ
الْمَلِـــكِ بْـــنِ مَـــرْوَانَ الَّتِـــي
يَقُـــولُ الشَّـــاعِرُ فِيهَـــا:
بِنْـــتُ الْخَلِيفَـــةِ

وَالْخَلِيفَةُ جَدُّهَا ...

أُخْتُ الْخَلَائِفِ

وَالْخَلِيفَةُ زَوْجُهَا

تَقُولُ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى

عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ،

وَهُوَ جَالِسٌ فِي مُصَلَّاهُ،

وَاضِعًا خَدَّهُ عَلَى يَدِهِ،

وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى خَدَّيْهِ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: وَيْحَكِ يَا فَاطِمَةُ، قَدْ وُلِّيتُ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا وُلِّيتُ، فَتَفَكَّرْتُ فِي الْفَقِيرِ الْجَائِعِ،

وَالْمَرِيضِ الضَّائِعِ،

وَالْعَارِي الْمَجْهُودِ،

وَالْيَتِيمِ الْمَكْسُورِ،

وَالْأَرْمَلَةِ الْوَحِيدَةِ،

وَالْمَظْلُومِ الْمَقْهُورِ،

وَالْغَرِيبِ، وَالْأَسِيرِ،

وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ، وَذِي

الْعِيَالِ الْكَثِيرِ، وَالْمَالِ الْقَلِيلِ، وَأَشْبَاهِهِمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَأَطْرَافِ الْبِلَادِ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّ رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ - سَيَسْأَلُنِي عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ خَصْمِي دُونَهُمْ مُحَمَّدٌ

- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَخَشِيتُ أَنْ لَا يَثْبُتَ لِي حُجَّةٌ عِنْدَ خُصُومَتِهِ، فَرَحِمْتُ نَفْسِي فَبَكَيْتُ.

٦٧ - أَشَجُّ بَنِي

أُمَيَّةَ السَّعِيدُ

قَالَ البُخَارِيُّ: «وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ: إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُنَنًا، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا

اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ،
وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ
يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ
أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ
حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا،
وَإِنْ أَمُتْ فَمَا أَنَا عَلَى
صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ».

فَقَدْ كَانَ الخَلِيفَةُ المَهْدِيُّ الرَّاشِدُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ - رَحِمَهُ اللهُ - عَالِمًا بِاللهِ وَبِأَمْرِهِ. قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: كَانَتِ الْعُلَمَاءُ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ تَلَامِذَةً،

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ مَيْمُونٌ:
كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ
الْعَزِيزِ مُعَلِّمَ الْعُلَمَاءِ.
وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: ثَبَتَ
مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنْ أَنَسِ
بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
قَالَ: مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ

إِمَامٍ أَشْبَهَ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَنْ هَذَا الْفَتَى - يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ - حِينَ كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ. قَالُوا: وَكَانَ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، وَيُخَفِّفُ

الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ، وَفِي رِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ: «أَنَّهُ كَانَ يُسَبِّحُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ عَشْرًا عَشْرًا».

قَالَ: وَقَدْ كَانَ مُنْتَظَرًا فِيمَا يُؤْثَرُ مِنَ الأَخْبَارِ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمَاجِشُونُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: يَا عَجَبًا!! يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّ الدُّنْيَا لَا تَنْقَضِي حَتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ آلِ عُمَرَ، يَعْمَلُ بِمِثْلِ

عَمَلِ عُمَرَ. وَإِذَا هُوَ
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.
وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: أَنْبَأَنَا
الْحَاكِمُ - وَذَكَرَ سَنَدَهُ
إِلَى نَافِعٍ - قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ
عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ:
إِنَّ مِنْ وَلَدِي رَجُلًا

بِوَجْهِهِ شَجَّانِ، يَلِي
فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا.
قَالَ نَافِعٌ: وَلَا أَحْسِبُهُ
إِلَّا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ.
وَعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ
عُمَرَ يَقُولُ: لَيْتَ شِعْرِي
مَنْ هَذَا الَّذِي مِنْ وَلَدِ

عُمَرَ فِي وَجْهِهِ عَلَامَةٌ يَمْلَأُ الأَرْضَ عَدْلًا؟.

وَقَالَ آدَمُ بْنُ إِيَاسٍ: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ ثَرْوَانُ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: دَخَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ

إِلَى إِصْطَبْلِ أَبِيهِ، فَضَرَبَهُ فَرَسٌ فَشَجَّهُ، فَجَعَلَ أَبُوهُ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: إِنْ كُنْتَ أَشَجَّ بَنِي أُمَيَّةَ إِنَّكَ إِذًا لَسَعِيدٌ. رَوَاهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ. انتهى.

٦٨- أَتَتْهُ الدُّنْيَا فَتَرَكَهَا

ثَبَتَ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: فِي
البَابِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ.
هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.
وَكَانَتْ خِلَافَةُ عُمَرَ
بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَتَيْنِ
وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ، اسْتَطَاعَ
أَنْ يُعِيدَ فِيهَا وَفِي أَيَّامِ

وِلَايَتِهِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ سِيرَةَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَسِيرَةَ جَدِّهِ لِأُمِّهِ لَيْلَى بِنْتِ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَكْتُبَ

عَنْ زُهْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
العَزِيزِ، وَوَرَعِهِ، وَخَوْفِهِ
مِنَ اللهِ، وَمُرَاقَبَتِهِ لَهُ:
لَطَالَ المَقَامُ، فَحَدِّثْ
عَنِ المُؤَرِّخِينَ وَأَصْحَابِ
السِّيَرِ الثِّقَاتِ مِمَّا تَجِدُهُ
فِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ عَنْ زُهْدِهِ

وَوَرَعِـــهِ وَلَا حَـــرَجَ إِنْ شَـــاءَ اللّٰهُ. فَقَـــدْ كَانَ مَـــضْرِبَ مَثَـــلٍ، وَلَـــوْ ذَهَبْنَـــا نَتَتَبَّـــعُ ذَلِـــكَ لَطَـــالَ الْمَقَـــامُ، وَكَلَّـــتِ الأَقْـــلَامُ. فَحَسْـــبُكَ أَنَّـــهُ زَهِـــدَ فِي مَرَاكِـــبِ الْخِلَافَـــةِ

وَقُصُورِهَا وَمَتَاعِهَا.

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: النَّاسُ يَقُولُونَ عَنِّي: زَاهِدٌ، وَإِنَّمَا الزَّاهِدُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ، الَّذِي أَتَتْهُ الدُّنْيَا فَتَرَكَهَا.

وَقَالُوا: كَانَ لَهُ سِرَاجٌ

يَكْتُبُ عَلَيْهِ حَوَائِجَهُ،
وَسِرَاجُ لِبَيْتِ الْمَالِ
يَكْتُبُ عَلَيْهِ مَصَالِحَ
الْمُسْلِمِينَ، لَا يَكْتُبُ عَلَى
ضَوْئِهِ لِنَفْسِهِ حَرْفًا.
وَقَالَ مَكْحُولٌ: «لَوْ
حَلَفْتُ لَصَدَقْتُ:

مَـــا رَأَيْـــتُ أَزْهَـــدَ وَلَا أَخْـــوَفَ للهِ مِـــنْ عُمَـــرَ بْـــنِ عَبْـــدِ العَزِيـــزِ».

وَمَـــعَ أَنَّ عُمَـــرَ بْـــنَ عَبْـــدِ العَزِيـــزِ كَانَ أُمَّـــةً فِي العِبَادَةِ وَالزُّهْـــدِ وَالـــوَرَعِ، وَمَثَـــلًا أَعْـــلَى فِي ذَلِـــكَ، إِلَّا أَنَّ ابْنَهُ

عَبْـدَ الْمَلِـكِ الَّـذِي تُـوُفِّيَ قَبْلَـهُ، قَالُـوا: كَانَ يَفْضُـلُ وَالِـدَهِ فِي الْعِبَـادَةِ، وَكَانَتْ لَـهُ مَوَاعِـظُ مَـعَ أَبِيـهِ.

لَقَـدْ مَـرِضَ عُمَـرُ بْـنُ عَبْـدِ العَزِيـزِ وَمَـاتَ

- رَحِمَهُ اللهُ - لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ، سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ.

وَمِنْ كَرَامَاتِهِ: مَا قَالَهُ مُوسَى بْنُ أَيْمَنَ - إِنْ صَحَّ - وَكَانَ يَرْعَى الغَنَمَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عُيَيْنَةَ: كَانَتِ

الأُسْـدُ وَالغَنَـمُ وَالْوَحْشُ
تَرْعَـى فِي خِلَافَـةِ عُمَرَ بْنِ
عَبْـدِ العَزِيـزِ فِي مَوْضِـعٍ
وَاحِـدٍ، فَعَـرَضَ ذَاتَ
يَـوْمٍ لِشَـاةٍ مِنْهَـا ذِئْـبٌ،
فَقُلْـتُ: إِنَّـا للهِ! مَـا أَرَى
الرَّجُـلَ الصَّالِـحَ إِلَّا قَـدْ

هَلَـــكَ. قَـــالَ: فَحَسَـــبْنَاهُ فَوَجَدْنَـــاهُ قَـــدْ هَلَـــكَ فِي تِلْـــكَ اللَّيْلَـــةِ. وَاللهُ أَعْلَـــمُ.

٦٩ - وَمَـــنْ لَـــكَ بِـــأَنْ تَعِيـــشَ إِلَى الظُّهْـــرِ؟!

عَـــنْ عَائِشَـــةَ رَضِيَ اللهُ

عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم -: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيرَ ذَلِكَ

جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ». قَالَ النَّوَوِيُّ: رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

وَلَمَّا بُويِعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ بِالخِلَافَةِ ذَهَبَ

يَتَبَوَّأُ مَقِيلًا، فَأَتَاهُ ابْنُهُ عَبْدُ المَلِكَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ، أَقِيلُ، قَالَ: تَقِيلُ وَلَا تَرُدُّ المَظَالِمَ إِلَى أَهْلِهَا؟ فَقَالَ: إِنِّي سَهِرْتُ البَارِحَةَ فِي

أَمْرِ سُـلَيْمَانَ، فَـإِذَا صَلَّيْتُ الظُّهْـرَ رَدَدْتُ المَظَـالِمَ، فَقَـالَ لَـهُ ابْنُـهُ: وَمَـنْ لَـكَ بِـأَنْ تَعِيـشَ إِلَى الظُّهْـرِ؟! قَـالَ: ادْنُ مِنِّـي أَيْ بُنَـيَّ، فَدَنَـا مِنْـهُ، فَقَبَّـلَ بَـيْنَ عَيْنَيْـهِ، وَقَـالَ: الحَمْـدُ للهِ

الَّـذِي أَخْـرَجَ مِـنْ صُلْبِي

مَـنْ يُعِينُنِـي عَـلَى دِينِـي.

ثُـمَّ قَـامَ وَخَـرَجَ وَتَـرَكَ

القَائِلَـةَ، وَأَمَـرَ مُنَادِيَـهُ

فَنَـادَى: أَلَا مَـنْ كَانَـتْ لَهُ

مَظْلَمَـةٌ فَلْيَرْفَعْهَـا، فَتَتَابَـعَ

النَّـاسُ فِي رَفْـعِ المَظَـالِمِ

إِلَيْــهِ، فَــمَا رُفِعَــتْ إِلَيْــهِ
مَظْلَمَــةٌ إِلَّا رَدَّهَــا، سَــوَاءٌ
كَانَــتْ فِي يَــدِهِ أَوْ فِي يَــدِ
غَــيْرِهِ، حَتَّــى أَخَــذَ أَمْــوَالَ
بَنِــي مَــرْوَانَ وَغَيْرِهِــمْ،
مِمَّــا كَانَ فِي أَيْدِيهِــمْ
بِغَــيْرِ اسْــتِحْقَاقٍ، فَــرَدَّ

الْمَظَالِمَ، وَأَعْطَ الْحُقُوقَ، وَانْخَلَعَ مِنْ أَمْوَالِهِ.

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: «خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ إِلَى الْقُبُورِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا أَيُّوبَ! هَذِهِ قُبُورُ آبَائِي بَنِي أُمَيَّةَ، كَأَنَّهُمْ

لَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا
فِي لَذَّتِهِمْ وَعَيْشِهِمْ».
وَقَالَتِ امْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ:
مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ
صَلَاةً وَصِيَامًا مِنْهُ،
وَلَا أَحَدًا أَشَدَّ فَرَقًا
مِنْ رَبِّهِ مِنْهُ، وَلَقَدْ كَانَ

يَكُونُ مَعِي فِي الْفِرَاشِ
فَيَذْكُرُ الشَّيْءَ مِنْ أَمْرِ
الْآخِرَةِ، فَيَنْتَفِضُ كَمَا
يَنْتَفِضُ الْعُصْفُورُ فِي الْمَاءِ،
وَيَجْلِسُ يَبْكِي، فَأَطْرَحُ
عَلَيْهِ اللِّحَافَ رَحْمَةً لَهُ،
وَأَنَا أَقُولُ: يَا لَيْتَ كَانَ

بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخِلَافَةِ بُعْدُ الْمُشْرِقَيْنِ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْنَا سُرُورًا مُنْذُ دَخَلْنَا فِيهَا.

٧٠- وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قَالَ تَعَالَى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا

لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ).

فَهَذِهِ الآيَةُ هِيَ آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ فِي حَالِ احْتِضَارِهِ، وَكَانَ

يُعِدُّ لِهَذِهِ اللَّحْظَةِ وَمَا
بَعْدَهَا العُدَّةَ، فَمَنْ
أَرَادَ أَنْ يَعْصِرَ عَيْنَيْهِ
فَلْيُقَلِّبْ سِيرَتَهُ يَوْمَ
كَانَ خَلِيفَةً، بَيْتُ المَالِ
فِي قَبْضَتِهِ، وَالأَنْظِمَةُ
وَالقَوَانِينُ فِي رَأْسِ قَلَمِهِ.

إِنَّــهُ عَبْــدٌ عَــرَفَ
فَلَــزِمَ، وَنَــوَّرَ اللهُ قَلْبَــهُ
بِالإِيــمَانِ فَأَعْــرَضَ عَــنِ
الدُّنْيَــا، وَزَهِــدَ فِي نَعِيــمِ
مُلْكِهَــا لِنَعِيــمِ وَمُلْــكِ
الآخِــرَةِ، قَــالَ تَعَــالَى:
(وَإِذَا رَأَيْــتَ ثَــمَّ رَأَيْــتَ

نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا).

وَذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، عَنْ خَيْثَمَةَ قَالَ، قِيلَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إِنْ شِئْتَ أَنْ نُعْطِيَكَ خَزَائِنَ الأَرْضِ وَمَفَاتِيحَهَا مَا

لَمْ يُعْطَ نَبِيٌّ قَبْلَكَ، وَلَا يُعْطَى أَحَدٌ مِنْ بَعْدِكَ، وَلَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِمَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ، فَقَالَ: اجْمَعُوهَا لِي فِي الآخِرَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي ذَلِكَ: (تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ

خَـيْرًا مِّـن ذٰلِـكَ جَنَّـاتٍ
تَجْـرِي مِـن تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ
وَيَجْعَـل لَّـكَ قُصُـورًا).
وَقَـدْ أَنْكَـرَ أَبُـو حَـازِمٍ
عَـلَى عُمَـرَ بْـنِ عَبْـدِ
العَزِيـزِ، حِـينَ رَآهُ خَلِيفَـةً
قَـدْ شَـحَبَ وَجْهُـهُ مِـنَ

التَّقَشُّفِ، وَتَغَيَّرَ حَالُهُ،
فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بِنَحْوِ مَا
ثَبَتَ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ،
عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَتْ:
«قُلْتُ لَهُ: مَا لَكَ لَا
تَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ فُلَانٌ
وَفُلَانٌ؟ قَالَ: «إِنِّي

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (إِنَّ وَرَاءَكُمْ عَقَبَةً كَؤُودًا، لَا يَجُوزُهَا الْمُثْقَلُونَ)، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَتَخَفَّفَ لِتِلْكَ العَقَبَةِ».

رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالبَزَّارُ،

وَصَحَّحَ الْمُنْذِرِيُّ وَالبَزَّارُ إِسْنَادَهُ. وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: «كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَزْهَدَ مِنْ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ؛ لِأَنَّ عُمَرَ مَلَكَ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا وَزَهِدَ فِيهَا».

وَمِنْ وَرَعِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ: أَنَّهُ عُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّةً مِسْكٌ مِنْ بَيْتِ المَالِ فَسَدَّ أَنْفَهُ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: وَهَلْ يُنْتَفَعُ مِنَ المِسْكِ إِلَّا بِرِيحِهِ؟!.

وَلَمَّا تَزَايَدَ المَرَضُ بِهِ،
قِيلَ لَهُ: هَؤُلَاءِ بَنُوكَ -
وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ - أَلَا
تُوصِي لَهُمْ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُمْ
فُقَرَاءُ؟ فَقَالَ: (إِنَّ وَلِيِّيَ
اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ
وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)،

قَالُوا: لَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَ أَوْلَادِهِ يَحْمِلُ عَلَى ثَمَانِينَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَمَاتَ الخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ، وَمَا خَلَّفَ سِوَى قَمِيصٍ مَرْقُوعٍ، وَمَا لَا يَكَادُ أَنْ يُذْكَرَ.

٧١- وَلِيَ الخِلَافَةَ،
فَمَا تَرَكَهُ قُرَنَاءُ
السُّوءِ، وَمَاتَ بِالسُّلِّ
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ
- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- قَالَ: (مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ، يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ). رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وَقَدْ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ

الْعَزِيزِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمُلِكِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَرَانِي إِلَّا مُلَمًّا بِي، وَمَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا سَيُفْضِي إِلَيْكَ، فَاللَّهَ اللَّهَ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ فَإِنَّكَ عَمَّا قَلِيلٍ مَيِّتٌ،

فَتَدَعُ الدُّنْيَا إِلَى مَنْ
لَا يَعْذِرُكَ، وَالسَّلَامُ.

لَقَدْ بُويِعَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِعَهْدٍ
مِنْ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ، أَنْ يَكُونَ
الْخَلِيفَةَ بَعْدَ عُمَرَ بْنِ

عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ،
فَلَمَّا تُوُفِّيَ عُمَرُ فِي رَجَبٍ
سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ، بَايَعَهُ
النَّاسُ الْبَيْعَةَ الْعَامَّةَ،
وَحَصَلَ فِي أَيَّامِهِ القَضَاءُ
عَلَى الخَوَارِجِ، وَعَلَى
فِتْنَةِ يَزِيدَ بْنِ المُهَلَّبِ،

الَّـــذِي خَلَـــعَ يَزِيـــدَ
وَخَـــرَجَ عَلَيْـــهِ، وَحَصَـــلَ
غَـــزْوٌ لِبِـــلَادِ الـــتُّرْكِ وَبِـــلَادِ
الـــلَّانِ وَبِـــلَادِ الـــرُّومِ.
قَـــالَ الذَّهَبِـــيُّ: «وَقَـــالَ
ابْـــنُ المَاجِشُـــونِ وَآخَـــرُ:
إِنَّ يَزِيـــدَ قَـــالَ: وَاللهِ مَـــا

عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ

بِأَحْوَجَ إِلَى اللهِ مِنِّي،

فَأَقَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَسِيرُ

بِسِيرَتِهِ - ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهُ

مَعَ حُبَابَةَ - ثُمَّ قَالَ:

لَامَهُ أَخُوهُ مَسْلَمَةُ مِنْ

شَغَفِهِ بِهَا، وَتَرْكِهِ مَصَالِحَ

الْمُسْلِمِينَ، فَمَا أَفَادَ، وَكَانَ لَا يَصْلُحُ لِلْإِمَامَةِ ... وَعَهِدَ بِالْخِلَافَةِ إِلَى أَخِيهِ هِشَامٍ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ، ذَاكَ الْفُوَيْسِقِ».

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَقَدْ

كَانَ يَزِيدُ هَذَا يُكْثِرُ مِنْ
مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ قَبْلَ أَنْ
يَلِيَ الخِلَافَةَ، فَلَمَّا وَلِيَ
عَزَمَ عَلَى أَنْ يَتَأَسَّى
بِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ،
فَمَا تَرَكَهُ قُرَنَاءُ السُّوءِ،
وَحَسَّنُوا لَهُ الظُّلْمَ، قَالَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: لَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، قَالَ: سِيرُوا بِسِيرَةِ عُمَرَ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَأُتِيَ بِأَرْبَعِينَ شَيْخًا فَشَهِدُوا لَهُ أَنَّهُ مَا عَلَى الْخُلَفَاءِ

مِنْ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، وَقَدِ اتَّهَمَهُ بَعْضُهُمْ فِي الدِّينِ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، إِنَّمَا ذَاكَ وَلَدُهُ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ، أَمَّا هَذَا فَمَا كَانَ بِهِ بَأْسٌ». انتهى

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِخَمْسٍ

بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ، سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَةٍ، تُوَفِّيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالسُّلِّ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ. وَكَانَ قَدْ عَهِدَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ لِأَخِيهِ هِشَامٍ، وَمِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ

الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ، فَبَايَعَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ هِشَامًا.

٧٢- جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالدُّنْيَا، وَجُدْتُمْ عَلَيْهِ بِالْبُكَاءِ!

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي

سَعِيدٍ، وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أَنَّهُ قَالَ: (الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ).

وَقَدْ بُوِيعَ هِشَامُ بْنُ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ أَخِيهِ يَزِيدَ
بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِعَهْدٍ مِنْهُ
إِلَيْهِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،
لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ
سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَةٍ، قَالَ

الْوَاقِدِيُّ: «فَقَامَ بِأَمْرِ الْخِلَافَةِ أَتَمَّ الْقِيَامِ».

وَقَدْ حَصَلَ فِي أَيَّامِهِ غَزْوُ بِلَادِ التُّرْكِ وَالرُّومِ وَالصَّائِفَةِ وَبَعْضُ الوَقَائِعِ.

وَفِي رَبِيعٍ الْآخِرِ، سَنَةَ

خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ،
تُوُفِّيَ هِشَامٌ، وَقَدْ كَانَ
وَالِدُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ رَأَى فِي
الْمَنَامِ كَأَنَّهُ بَالَ فِي الْمِحْرَابِ
أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَدَسَّ إِلَى
سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ مَنْ
سَأَلَهُ عَنْهَا، فَفَسَّرَهَا لَهُ

بِأَنَّـــهُ يَـــلِي الْخِلَافَـــةَ مِـــنْ
وَلَـــدِهِ أَرْبَعَةٌ، فَوَقَـــعَ ذَلِكَ،
فَـــكَانَ هِشَـــامٌ آخِرَهُـــمْ.
وَذُكِـــرَ أَنَّ هِشَـــامًا وَهُـــوَ
مُحْتَـــضِرٌ بِسَـــبَبِ الذِّبْحَـــةِ،
نَظَـــرَ إِلَى أَوْلَادِهِ مِـــنْ بَنِـــينَ
وَبَنَـــاتٍ، وَهُـــمْ يَبْكُـــونَ

حَوْلَـهُ، فَقَـالَ: جَـادَ
لَكُـمْ هِشَـامٌ بِالدُّنْيَـا
وَجُدْتُـمْ عَلَيْـهِ بِالبُـكَاءِ،
وَتَـرَكَ لَكُـمْ مَـا جَمَـعَ،
وَتَرَكْتُـمْ لَـهُ مَـا كَسَـبَ،
مَـا أَسْـوَأَ مُنْقَلَـبَ هِشَـامٍ
إِنْ لَمْ يَغْفِـرِ اللهُ لَـهُ!

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ
الْأَرْبِعَاءِ، لِسِتٍّ بَقِينَ
مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ، سَنَةَ
خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ،
وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ عِشْرِينَ
سَنَةً تَقْرِيبًا، وَوَلِيَ الْخِلَافَةَ
بَعْدَهُ وَلِيُّ العَهْدِ: الْوَلِيدُ

بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

٧٣- الخَلِيفَةُ المُفَسَّقُ

رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: وُلِدَ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ

النَّبِـــيِّ – صَـــلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّمَ غُـــلَامٌ، فَسَـــمَّوْهُ الْوَلِيـــدَ، فَقَـــالَ النَّبِـــيُّ – صَـــلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّمَ –: «سَـــمَّيْتُمُوهُ بِاسْـــمِ فَرَاعِينِكُـــمْ، لَيَكُونَـــنَّ فِي هَـــذِهِ الْأُمَّـــةِ رَجُـــلٌ يُقَـــالُ

لَـــهُ الْوَلِيـــدُ، لَهُـــوَ أَشَـــدُّ فَسَـــادًا لِهَـــذِهِ الْأُمَّـــةِ مِـــنْ فِرْعَـــوْنَ لِقَوْمِـــهِ». رَوَاهُ أَحْمَـــدُ، وَهُـــوَ ضَعِيـــفٌ، وَضَعَّفَـــهُ ابْـــنُ الجَـــوْزِيِّ وَغَـــيْرُهُ، ثُـــمَّ سَـــاقَ ابْـــنُ عَسَـــاكِرَ طُرُقَـــهُ وَأَلْفَاظَـــهُ؛

وَمِنْهَا: «سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِرْعَوْنٌ، يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ». وَحَكَى عَنِ الْبَيْهَقِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: هُوَ مُرْسَلٌ حَسَنٌ.

لَقَدْ بُويِعَ الْوَلِيدُ الْمُفَسَّقُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

بْـــنِ مَـــرْوَانَ بِالْخِلَافَـــةِ،
يَـــوْمَ مَـــاتَ عَمُّـــهُ هِشَـــامُ
بْـــنُ عَبْـــدِ الْمَلِـــكِ، لِسِـــتٍّ
خَلَـــوْنَ مِـــنْ رَبِيـــعٍ الْآخِرِ،
سَـــنَةَ خَمْـــسٍ وَعِشْرِيـــنَ
وَمِائَـــةٍ، وذلـــك أَنَّ أَبَـــاهُ
يَزِيـــدَ بْـــنَ عَبْـــدِ الْمَلِـــكِ قَـــدْ

جَعَلَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ لِأَخِيهِ هِشَامٍ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ الْوَلِيدِ، قَالُوا: فَلَمَّا أَسْرَفَ الْوَلِيدُ فِي الْمُنْكَرَاتِ، قَالَ لَهُ هِشَامٌ يَوْمًا: وَيْحَكَ! وَاللَّهِ مَا أَدْرِي: أَعَلَى الْإِسْلَامِ

أَنْـــتَ أَمْ لَا؟، فَإِنَّـــكَ لَمْ
تَـدَعْ شَـيْئًا مِـنَ الْمُنْكَـرَاتِ
إِلَّا أَتَيْتَـــهُ غَـــيْرَ مُتَحَـــاشٍ
وَلَا مُسْـــتَتِرٍ، فَعَـــزَمَ عَـــلَى
خَلْعِـهِ مِـنْ وِلَايَـةِ الْعَهْدِ،
وَتَوْلِيَـــةِ وَلَـــدِهِ مَسْـــلَمَةَ،
وَأَجَابَـهُ إِلَى ذَلِـكَ جَمَاعَـةٌ،

وَلَكِنَّ المَنِيَّةَ اخْتَرَمَتْهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَانْتَظَمَ الأَمْرُ لِلْوَلِيدِ، وَبُويِعَ بِالخِلَافَةِ. ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ فِي النَّاسِ سِيرَةً حَسَنَةً بَادِيَ الرَّأْيِ، وَكَانَ رَجُلًا مِعْطَاءً كَرِيمًا شَاعِرًا،

وَعَقَدَ الْوَلِيدُ لِابْنِهِ الْحَكَمِ ثُمَّ عُثْمَانَ، عَلَى أَنْ يَكُونَا وَلِيَّيِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ، وَأُخِذَتِ الْبَيْعَةُ لَهُمَا فِي الْآفَاقِ.

وَكَرِهَ النَّاسُ الوَلِيدَ لِارْتِكَابِهِ المُنْكَرَاتِ؛ بَلِ

اتُّهِمَ بِالزَّنْدَقَةِ، فَقَامَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَانَ رَجُلًا مَرْضِيَّ السِّيرَةِ، وَمَعَهُ أَعْوَانٌ وَشَانِئُونَ لِفِسْقِ الْوَلِيدِ، فَانْتَهَى

الأَمْرُ بِقَتْلِ الْوَلِيدِ يَوْمَ الْخَمِيسَ، لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَمُدَّةُ وِلَايَتِهِ سَنَةٌ وَسِتَّةُ أَشْهُرٍ، وَبُوِيعَ يَزِيدُ – وَهُوَ الْمُلَقَّبُ بِالنَّاقِصِ –

بِالْخِلَافَةِ فِي اليَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْوَلِيدُ، وَكَانَ فِيهِ صَلَاحٌ وَوَرَعٌ قَبْلَ ذَلِكَ.

٧٤ - الْأَشَجُّ وَالنَّاقِصُ أَعْدَلَا بَنِي مَرْوَانَ قَالَ تَعَالَى: (وَمَن يُهِنِ

اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ
إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ).
فَمَنْ أَطَاعَ اللهَ –
عَزَّ وَجَلَّ – أَعَزَّهُ،
وَمَنْ عَصَاهُ إِذَا
شَاءَ أَذَلَّهُ وَأَهَانَهُ.
وَلَقَدْ بُوِيعَ يَزِيدُ بْنُ

الوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ - وَكَانَ رَجُلًا عَاقِلًا صَالِحًا - بِالخِلَافَةِ يَوْمَ الْخَمِيسِ، لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، حِينَ قُتِلَ ابْنُ عَمِّهِ

الوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ، المَوْصُوفُ بِالفِسْقِ لِارْتِكَابِهِ المُنْكَرَاتِ عَلَانِيَةً.

وَكَانَ يَزِيدُ عَادِلًا دَيِّنًا، وَيُقَالُ فِي المَثَلِ: الأَشَجُّ وَالنَّاقِصُ أَعْدَلَا بَنِي

مَـرْوَانَ، وَالْمُـرَادُ عُمَـرُ بْنُ
عَبْـدِ الْعَزِيزِ، وَيَزِيـدُ هَذَا.
وَلَمْ تَطُـلْ أَيَّـامُ يَزِيـدَ،
حَيْـثُ مَـرِضَ فِي شَـهْرِ
ذِي الْحِجَّـةِ، سَـنَةَ سِـتٍّ
وَعِشْرِيـنَ وَمِائَـةٍ،
وَأَخَـذَ الْبَيْعَـةَ بِوِلَايَـةِ

الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لِأَخِيهِ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْوَلِيدِ
بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ
مِنْ بَعْدِ إِبْرَاهِيمَ لِابْنِ
عَمِّهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
الْحَجَّاجِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.
وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ لِسَبْعٍ

مَضَـيْنَ مِـنْ ذِي الحِجَّـةِ،
سَـنَةَ سِـتٍّ وَعِشْرِيـنَ
وَمِائَـةٍ، تُـوُفِّيَ الخَلِيفَـةُ
يَزِيـدُ مِـنْ طَاعُـونٍ
أَصَابَـهُ، وَكَانَـتْ مُـدَّةُ
وِلَايَتِـهِ سِـتَّةَ أَشْـهُرٍ،
وَبُوِيـعَ بِالخِلَافَـةِ لِأَخِيـهِ

إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْوَلِيدِ.

٧٥- أَأَيْقَاظٌ أُمَيَّةُ أَمْ نِيَامُ؟!

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ - قَالَ: (أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

لَقَدِ اسْتَهَلَّتْ سَنَةُ

سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ،
وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ
بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الأُمَوِيُّ
هُوَ الْخَلِيفَةُ بِوَصِيَّةِ
أَخِيهِ يَزِيدَ إِلَيْهِ.
ثُمَّ إِنَّ مَرْوَانَ الْمُلَقَّبَ
بِالْحِمَارِ لِصَبْرِهِ فِي

الحُـرُوبِ، وَكَانَ شُـجَاعًا
هُـوَ وَأَبُـوهُ مُحَمَّـدُ بْـنُ
مَـرْوَانَ بْـنِ الحَكَـمِ، قَـدْ
خَـرَجَ عَـلَى إِبْرَاهِيـمَ –
قَـالَ السُّـيُوطِيُّ: وَهُـوَ
أَخُـوهُ لِأُمِّـهِ – فَخَلَعَـهُ فِي
نِصْـفِ صَفَـرٍ، سَـنَةَ سَـبْعٍ

وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَأَقْبَلَ بِجُنْدِ الجَزِيرَةِ وَغَيْرِهِمْ، فَدَخَلُوا دِمَشْقَ، فَهَرَبَ إِبْرَاهِيمُ، وَبُوِيعَ مَرْوَانُ بِالْخِلَافَةِ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ، سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ. وَبَايَعَ بِوِلَايَةِ

العَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لِابْنِهِ عَبْدِ اللهِ، ثُمَّ عُبَيْدِ اللهِ. وَقَدْ ضَعُفَتِ الدَّوْلَةُ الأُمَوِيَّةُ لِكَثْرَةِ الخَارِجِينَ عَلَى مَرْوَانَ، وَبَدَأَتْ تَظْهَرُ حَرَكَةُ الدَّعْوَةِ العَبَّاسِيَّةِ السِّرِّيَّةِ السَّاعِيَةِ

فِي إِقْنَاعِ النَّاسِ بِأَحَقِّيَّةِ
بَنِي العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ
المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ
بِالحُكْمِ؛ لِقُرْبِهِمْ مِنْ
رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَكَتَبَ
نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ أَمِيرُ

خُرَاسَانَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ
مُحَمَّدٍ يُعْلِمُهُ بِالحَالِ،
وَمِمَّا جَاءَ فِي كِتَابِهِ:
أَرَى تَحْتَ الرَّمَادِ وَمِيضَ
نَارٍ ** وَيُوشِكُ
أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فَإِنْ لَمْ يُطْفِهَا عُقَلَاءُ

قَــوْمٍ ** يَكُــونُ

وَقُودُهَــا جُثَــثٌ وَهَــامُ

فَقُلْــتُ مِــنَ التَّعَجُّــبِ:

لَيْــتَ شِــعْرِي **

أَأَيْقَــاظٌ أُمَيَّــةُ أَمْ نِيَــامُ؟!

٧٦- انْهِيَــارُ الدَّوْلَــةِ

الأُمَوِيَّـــةِ، وَقِيَـــامُ
الدَّوْلَـــةِ العَبَّاسِـــيَّةِ
عَـــنْ أَبِي هُرَيْـــرَةَ رَضِيَ اللهُ
عَنْـــهُ، عَـــنِ النَّبِـــيِّ - صَـــلَّى
اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّمَ - قَـــالَ:
(إِنَّكُـــمْ سَـــتَحْرِصُونَ
عَـــلَى الإِمَـــارَةِ، وَسَـــتَكُونُ

نَدَامَـــةً يَـــوْمَ الْقِيَامَـــةِ،
فَنِعْـــمَ الْمُرْضِعَـــةُ،
وَبِئْسَـــتِ الفَاطِمَـــةُ).
رَوَاهُ البُخَـــارِيُّ.
ظَهَـــرَتْ حَرَكَـــةُ بَنِـــي
العَبَّـــاسِ الَّتِـــي أَسَّسَـــهَا
مُحَمَّـــدُ بْـــنُ عَـــلِيِّ بْـــنِ عَبْـــدِ

اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَمِنْ
بَعْدِهِ أَبْنَاؤُهُ إِبْرَاهِيمُ،
ثُمَّ عَبْدُ اللهِ السَّفَّاحُ،
وَقَدْ نَشِطَ أَبُو مُسْلِمٍ
الْخُرَاسَانِيُّ وَغَيْرُهُ بِنَشْرِ
هَذِهِ الدَّعْوَةِ الحَرَكِيَّةِ؛
بِأَنَّ بَنِي العَبَّاسِ أَحَقُّ

بِالحُكْمِ؛ لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ
رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَتَجَاوَبَ
مَعَهَا الكَثِيرُ لِحُبِّهِمْ لِآلِ
بَيْتِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَلِتَرَنُّحِ
دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِسَبَبِ

الثَّـــوْرَاتِ الدَّاخِلِيَّـــةِ.

لَقَـــدْ بُوِيـــعَ أَبُـــو العَبَّـــاسِ السَّـــفَّاحُ عَبْـــدُ اللهِ بْـــنُ مُحَمَّـــدٍ بِالخِلَافَـــةِ، فَقَاتَـــلَ مَـــرْوَانَ بْـــنَ مُحَمَّـــدٍ آخِـــرَ خُلَفَـــاءِ بَنِـــي أُمَيَّـــةَ قِتَـــالًا شَـــدِيدًا، وَفِي مَعْرَكَـــةِ

«الـــزَّابِ» الفَاصِلَـــةِ،

انْهَـــزَمَ مَـــرْوَانُ وَفَـــرَّ،

فَطَـــارَدَهُ جُنْـــدُ السَّـــفَّاحِ

إِلَى أَنْ قَتَلُـــوهُ بِمِـــصْرَ، فِي

شَـــهْرِ ذِي الْحِجَّـــةِ، سَـــنَةَ

ثِنْتَـــيْنِ وَثَلَاثِـــينَ وَمِائَـــةٍ،

لِتَنْتَهِـــيَ الدَّوْلَـــةُ الأُمَوِيَّـــةُ،

وَتَقُومَ عَلَى أَنْقَاضِهَا الدَّوْلَةُ العَبَّاسِيَّةُ.

وَكَانَتْ خِلَافَةُ مَرْوَانَ خَمْسَ سِنِينَ وَعَشَرَةَ أَشْهُرٍ، وَبَقِيَ بَعْدَ أَنْ بُوِيعَ السَّفَّاحُ بِالخِلَافَةِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ.

وَمِنْ مَنَاقِبِ مَرْوَانَ:
أَنَّهُ فَتَحَ بِلَادًا
كَثِيرَةً، وَلَمْ يُفَارِقِ
الغَزْوَ فِي سَبِيلِ اللهِ.
قَالَ المَنْصُورُ لِلوَزِيرِ
أَبِي عُبَيْدِ اللهِ: أَتَدْرِي
مَا الخَلِيفَةُ؟ بِهِ تُقَامُ

الصَّـــلَاةُ، وَالحَـــجُّ،
وَالجِهَـادُ، وَيُجَاهِـدُ العَدُوَّ،
قَـالَ: فَعَـدَّدَ مِـنْ مَنَاقِـبِ
الخَلِيفَـــةِ مَـــا لَمْ أَسْـــمَعْ
أَحَـدًا ذَكَـرَ مِثْلَـهُ، وَقَـالَ:
وَاللهِ لَـوْ عَرَفْـتُ مِـنْ حَقِّ
الخِلَافَـــةِ فِي دَهْـــرِ بَنِـــي

أُمَيَّـــةَ مَـــا أَعْـــرِفُ اليَـــوْمَ؛
لَأَتَيْـــتُ الرَّجُـــلَ مِنْهُـــمْ
فَبَايَعْتُـــهُ، فَقَـــالَ ابْنُـــهُ:
أَفَـــكَانَ الوَلِيـــدُ مِنْهُـــمْ؟
فَقَـــالَ: قَبَّـــحَ اللهُ الوَلِيـــدَ
وَمَـــنْ أَقْعَـــدَهُ خَلِيفَـــةً!
قَـــالَ: أَفَـــكَانَ مَـــرْوَانُ

مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: لله دَرُّهُ!
مَا كَانَ أَحْزَمَهُ وَأَسْوَسَهُ
وَأَعَفَّهُ عَنِ الفَيْءِ!
قَالَ: فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُ؟!
قَالَ: لِلْأَمْرِ الَّذِي
سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَى.

٧٧ – للهِ فِي خَلْقِـهِ شُـؤُونٌ

قـــال تعـــالى: ﴿وَإِذْ قَـــالَ

رَبُّـكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ

فِي الْأَرْضِ خَلِيفَـةً ۖ قَالُـوا

أَتَجْعَـلُ فِيهَـا مَـن يُفْسِـدُ

فِيهَـا وَيَسْـفِكُ الدِّمَـاءَ

وَنَحْـنُ نُسَـبِّحُ بِحَمْـدِكَ

وَنُقَدِّسُ لَكَ ﷻ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

فَلِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فِي خَلْقِهِ شُؤُونٌ، وَلَهُ فِيهِمْ حِكَمٌ بَالِغَةٌ، تَتَجَلَّى فِيهَا مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَأُلُوهِيَّتِهِ،

وَأَسْـــمَائِهِ، وَصِفَاتِـــهِ.

وَيَظْهَـــرُ ذَلِـــكَ وَاضِحًـــا

لَـــوْ تَأَمَّلْنَـــا - عَـــلَى سَـــبِيلِ

المِثَـــالِ - الدَّوْلَـــةَ الأُمَوِيَّـــةَ،

وَمَـــا حَـــدَثَ فِيهَـــا

مِـــنَ الحَـــقِّ وَالبَاطِـــلِ،

وَالخَـــيْرِ وَالـــشَّرِّ، وَالعَـــدْلِ

وَالظُّلْمِ، وَمَا وَقَعَ فِيهَا
مِنْ حَوَادِثَ تَشِيبُ
لَهَا مَفَارِقُ الوِلْدَانِ:
خَارِجٌ وَمَخْرُوجٌ عَلَيْهِ،
خَالِعٌ وَمَخْلُوعٌ، قَاتِلٌ
وَمَقْتُولٌ، وَذَلِكَ رَغْمَ
عُمُرِهَا القَصِيرِ، وَهُوَ

إِحْـــدَى وَتِسْـــعِينَ سَـــنَةً.

لَقَـــدْ تَأَسَّسَـــتِ الدَّوْلَـــةُ

الأُمَوِيَّـــةُ عَـــامَ وَاحِـــدٍ

وَأَرْبَعِـــينَ، وَانْقَضَـــتْ

عَـــامَ اثْنَـــانِ وَثَلَاثِـــينَ

وَمِائَـــةٍ لِلْهِجْـــرَةِ،

وَتَعَاقَـــبَ عَلَيْهَـــا أَرْبَعَـــةَ

عَشَرَ خَلِيفَةً، وَهُمْ:

- مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مُؤَسِّسُ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّةِ الأُولَى، حَكَمَ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ إِلَى سَنَةِ سِتِّينَ.

- يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ،

حَكَمَ مِنْ سِتِّينَ
إِلَى أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ.
- مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ،
حَكَمَ مِنْ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ،
وَمَاتَ فِي السَّنَةِ نَفْسِهَا.
- مَرْوَانُ بْنُ الحَكَمِ،
مُؤَسِّسُ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّةِ

الثَّانِيَةِ، حَكَمَ مِنْ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ إِلَى خَمْسٍ وَسِتِّينَ.

- عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، حَكَمَ مِنْ خَمْسٍ وَسِتِّينَ إِلَى سِتٍّ وَثَمَانِينَ.

- الوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ، حَكَمَ مِنْ سِتٍّ وَثَمَانِينَ

إِلَى سِتٍّ وَتِسْعِينَ.

- سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ،

حَكَمَ مِنْ سِتٍّ وَتِسْعِينَ

إِلَى تِسْعٍ وَتِسْعِينَ.

- عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ،

حَكَمَ مِنْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ،

إِلَى إِحْدَى وَمِائَةٍ.

- يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، حَكَمَ مِنْ إِحْدَى وَمِائَةٍ إِلَى خَمْسٍ وَمِائَةٍ.

- هِشَامُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ، حَكَمَ مِنْ خَمْسٍ وَمِائَةٍ إِلَى خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ.

- الوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ، حَكَمَ مِنْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ إِلَى سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ.

- يَزِيدُ بْنُ الوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ، حَكَمَ مِنْ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ،

وَمَـاتَ فِي السَّـنَةِ نَفْسِـهَا.

- إِبْرَاهِيـمُ بْـنُ الوَلِيـدِ بْنِ عَبْـدِ المَلِـكِ، حَكَـمَ مِـنْ سِـتٍّ وَعِشْرِينَ وَمِائَـةٍ إِلَى سَـبْعٍ وَعِشْرِيـنَ وَمِائَـةٍ.

- مَـرْوَانُ بْـنُ مُحَمَّـدِ بْـنِ مَـرْوَانَ، حَكَـمَ مِـنْ

سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ إِلَى اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، وَهُوَ آخِرُ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّةِ القَائِمَةِ فِي دِمَشْقَ.

٧٨- قِيَامُ الدَّوْلَةِ

الأُمَوِيَّـــةِ بِالأَنْدَلُـــسِ

قـــال تعـــالى: (يَـــا دَاوُودُ

إِنَّـــا جَعَلْنَـــاكَ خَلِيفَـــةً فِي

الْأَرْضِ فَاحْكُـــم بَـــيْنَ

النَّـــاسِ بِالْحَـــقِّ وَلَا تَتَّبِـــعِ

الْهَـــوَىٰ فَيُضِلَّـــكَ عَـــن

سَـــبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِيـــنَ

يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ).

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي زُرْعَةَ، أَنَّ الوَلِيدَ قَالَ لَهُ: أَيُحَاسَبُ الخَلِيفَةُ؟

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ أَمْ دَاوُدُ؟ إِنَّ اللهَ جَمَعَ لَهُ النُّبُوَّةَ وَالخِلَافَةَ، ثُمَّ تَوَعَّدَهُ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: (يَا دَاوُودُ ...) الآيَةَ.

وَمَعَ جَوْرِ الوَلِيدِ،

إِلَّا أَنَّ لَـهُ حَسَـنَةً تُذْكَـرُ فَتُشْـكَرُ، قَـالَ الذَّهَبِـيُّ: «أَقَـامَ الجِهَـادَ فِي أَيَّامِـهِ، وَفُتِحَـتْ فِيهَـا الفُتُوحَاتُ العَظِيمَـةُ، كَأَيَّـامِ عُمَـرَ بْـنِ الخَطَّـابِ». وَقَـالَ ابْـنُ أَبِي عَبْلَـةَ:

«رَحِمَ اللهُ الوَلِيدَ، وَأَيْنَ مِثْلُ الوَلِيدِ؟! افْتَتَحَ الهِنْدَ وَالأَنْدَلُسَ».

فَالفَتْحُ الإِسْلَامِيُّ لِلأَنْدَلُسِ كَانَ عَلَى يَدِ القَائِدَيْنِ: طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ، وَمُوسَى

بْـــنِ نُصَـــيْرٍ ضِـــدَّ مَمْلَكَـــةِ
القُـــوطِ النَّصْرَانِيَّـــةِ، وَتَـــمَّ
الاسْـــتِيلَاءُ عَـــلَى مَنَاطِـــقَ
وَاسِـــعَةٍ مِـــنْ إِسْـــبَانيَا،
وَالبُرْتُغَـــالِ، وَجَنُـــوبِ
فَرَنْسَـــا المُعَـــاصِرَةِ.
وَقَـــدْ ذَهَـــبَ ابْـــنُ حَـــزْمٍ إِلَى

أَنَّــهُ الغَــزْوُ الثَّــانِي المَعْنِــيُّ
فِي حَدِيــثِ أَنَــسٍ، المَذْكُورُ
فِي صَحِيــحِ البُخَــارِيِّ.
وَبَعْــدَ سُــقُوطِ الدَّوْلَــةِ
الأُمَوِيَّــةِ الشَّــامِيَّةِ عَــامَ
اثْنَــيْنِ وَثَلاَثِــينَ وَمِائَــةٍ
لِلْهِجْــرَةِ عَــلَى يَــدِ

الْعَبَّاسِيِّينَ؛ قَامَتْ

بِالأَنْدَلُسِ دَوْلَةٌ أُمَوِيَّةٌ

عَامَ ثَمَانِيَةٍ وَثَلاَثِينَ وَمِائَةٍ

لِلْهِجْرَةِ، عَلَى يَدِ عَبْدِ

الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ، وَهُوَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ

بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ

بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ بْنِ أَبِي العَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ.

كَانَ قَدْ دَخَلَ إِلَى بِلَادِ المَغْرِبِ فِرَارًا مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَاجْتَازَ

بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ
بِقَوْمٍ يَقْتَتِلُونَ، فَاسْتَمَالَهُمْ
إِلَيْهِ فَبَايَعُوهُ، وَدَخَلَ
بِهِمْ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ،
وَانْتَزَعَهَا مِنْ نَائِبِهَا
يُوسُفَ الْفِهْرِيِّ.
وَسَكَنَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ

قُرْطُبَـــةَ، وَاسْـــتَمَرَّ فِي
خِلَافَتِـــهِ إِلَى سَـــنَةِ ثِنْتَـــيْنِ
وَسَـــبْعِينَ وَمِائَـــةٍ، فَتُـــوُفِّيَ
فِيهَـــا وَلَـــهُ فِي المُلْـــكِ أَرْبَـــعٌ
وَثَلَاثُـــونَ سَـــنَةً، وَبَقِـــيَ
المُلْـــكُ فِي عَقِبِـــهِ إِلَى سَـــنَةِ
ثَـــمَانٍ وَعِشْرِيـــنَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

٧٩- صَقْرُ قُرَيْشٍ فِي الأَنْدَلُسِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ: «يَا غُلَامُ، أَلَا

أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟ «فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ

فَاسْـأَلِ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ
فَاسْـتَعِنْ بِـاللهَّ، قَـدْ جَـفَّ
الْقَلَـمُ بِـمَا هُـوَ كَائِـنٌ، فَلَوْ
أَنَّ الْخَلْـقَ كُلَّهُـمْ جَمِيعًـا
أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُـوكَ بِـشَيْءٍ
لَمْ يَقْضِـهِ اللهَّ، لَمْ يَقْـدِرُوا
عَلَيْـهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ

يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ
اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا
عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ
عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا
كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ
الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ
الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ

يُـــسْرًا». خَرَّجَـــهُ الْإِمَـــامُ أَحْمَـــدُ، وَاللَّفْـــظُ لَـــهُ، وَرَوَاهُ التِّرْمِـــذِيُّ وَصَحَّحَـــهُ، وَحَسَّـــنَهُ ابْـــنُ رَجَـــبٍ.

وَإِنَّ مِـــنْ عَجَائِـــبِ الْأَحْـــدَاثِ: مَـــا مَـــنَّ اللهُ بِـــهِ عَـــلَى عَبْـــدِ الرَّحْمَـــنِ

الدَّاخِلِ إِلَى الأَنْدَلُسِ
غَرِيبًا - وَيُقَالُ الفَاتِحُ،
وَيُلَقَّبُ صَقْرَ قُرَيْشٍ -،
وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ
عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
بْنِ الحَكَمِ بْنِ أَبِي العَاصِ

بنِ أُمَيَّـــةَ، مُؤَسِّـــسُ الدَّوْلَةِ
الأُمَوِيَّـــةِ بِالأَنْدَلُـــسِ، سَـــنَةَ
ثَـــمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، وَكَانَ
رَجُـــلًا مِـــنْ أَهْـــلِ العِلْـــمِ
وَالعَـــدْلِ وَالصَّـــلَاحِ.
قَـــالَ أَبُـــو القَاسِـــمِ بْـــنُ
بَشْـــكُوَال: فَـــرَّ مِـــنَ

المَشْرِقِ عِنْدَ انْقِرَاضِ
مُلْكِهِمْ، هُوَ وَأَخَوَانِ
أَصْغَرُ مِنْهُ، وَغُلَامٌ لَهُم،
وَالجَعَائِلُ قَدْ جُعِلَتْ
عَلَيْهِمْ، وَالمَرَاصِدُ،
فَسَلَكُوا حَتَّى وَصَلُوا
وَادِيَ بِجَايَةَ، فَرَأَى عَبْدُ

الرَّحْمَنِ الفُرْسَانَ، فَتَهَيَّأَ لِلسِّبَاحَةِ، فَنجَا هُوَ، وَقَصَّرَا، فَذَبَحُوْهُمَا، وَأَخُوْهُمَا يَنْظُرُ، ثُمَّ آوَاهُ شَيْخٌ وَقَالَ: لأَسْتُرَنَّكَ جَهدِي. فَوَقَعَ عَلَيْهِ التَّفْتِيشُ وَسَتَرَهُ اللهُ مُدَّةً،

ثُـــمَّ دَخَـــلَ الأَنْدَلُـــسَ فِي قَـــارِبِ سَـــمَّاكٍ. وَكَانَ قُـــوَّادُ الأَنْدَلُـــسِ وَجُنْدُهَـــا مَـــوَالِيَ بَنِـــي أُمَيَّـــةَ، فَبَعَـــثَ إِلَى قَائِـــدٍ، فَأَعْلَمَـــهُ بِشَـــأْنِهِ، فَجَعَلَـــهُ عِنْـــدَهُ، ثُـــمَّ قَـــالَ: جَـــاءَ الَّـــذِي كُنَّـــا

نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ إِذَا انْقَرَضَ
مُلْكُ بَنِي أُمَيَّةَ بِالمَشْرِقِ،
نَبَغَ مِنْهُم عَبْدُ الرَّحْمَنِ
بِالمَغْرِبِ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى
المَوَالِي، وَأَصْفَقُوا عَلَى
بَيْعَتِهِ، وَاسْتَوْثَقُوا مِنْ
أُمَرَاءِ العَرَبِ، وَشُيُوْخِ

البَرْبَـــرِ، فَأَظْهَـــرُوا بَيْعَتَـــه
فِي رَبِيْـــعٍ الآخِـــرِ، سَـــنَةَ
ثَـــمَانٍ وَثَلاَثِـــيْنَ وَمائَـــةٍ،
فَقَصَـــدَ قُرْطُبَـــةَ، وَمُتَـــوَلِّي
الأَنْدَلُـــسِ يَوْمَئِذٍ: يُوْسُـــفُ
الفِهْـــرِيُّ، فَالْتَقَـــوْا، فَانْهَزَمَ
يُوْسُـــفُ، وَدَخَـــلَ عَبْـــدُ

الرَّحْمَنِ قَصْرَ قُرْطُبَةَ يَوْمَ الأَضْحَى مِنَ العَامِ.

٨٠- دَوْلَةُ الدَّاخِلِ بِالأَنْدَلُسِ

عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ، قَالَ: «كَانَ مَرْوَانُ

عَـلَى الحِجَـازِ، اسْـتَعْمَلَهُ
مُعَاوِيَـةُ، فَخَطَـبَ،
فَجَعَـلَ يَذْكُـرُ يَزِيـدَ بْـنَ
مُعَاوِيَـةَ لِكَـيْ يُبَايَـعَ لَـهُ
بَعْـدَ أَبِيـهِ، فَقَـالَ لَـهُ عَبْـدُ
الرَّحْمَـنِ بْـنُ أَبِي بَكْـرٍ
شَـيْئًا، فَقَـالَ: خُـذُوهُ،

فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وَلِأَبِي يَعْلَى وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، فَقَالَ ﷺ أَيْ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ ﷺ: هِرَقْلِيَّةُ! إِنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ وَاللهِ - مَا جَعَلَهَا فِي أَحَدٍ مِنْ وَلَدِهِ وَلَا فِي

أَهْـلِ بَيْتِـهِ، وَمَـا جَعَلَهَـا
مُعَاوِيَـةُ إِلَّا كَرَامَـةً لِوَلَدِهِ.

وَلِابْـنِ الْمُنْـذِرِ:
أَجِئْتُـمْ بِهَـا هِرَقْلِيَّـةً
تُبَايِعُـونَ لِأَبْنَائِكُـمْ؟
لَقَـدْ حَكَـمَ عَبْـدُ الرَّحْمَـنِ
الدَّاخِـلُ الأَنْدَلُـسَ أَرْبَعًـا

وَثَلَاثِينَ سَنَةً، بِدَايَةً

مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ

وَمِائَةٍ، إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ

اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ

هِجْرِيَّةً، وَخَلَفَهُ أَبْنَاؤُهُ

وَأَحْفَادُهُ مِنْ بَعْدِهِ، نِظَامًا

مَلَكِيًّا وِرَاثِيًّا كَنِظَامِ

الدَّوْلَـةِ الأُمَوِيَّـةِ بِدِمَشْـقَ.

قَـالَ الذَّهَبِـيُّ: وَبَقِـيَ المُلْـكُ فِي عَقِبِـهِ إِلَى سَـنَةِ أَرْبَعِمِائَـةٍ. قَـالَ: «وَأَمَّـا الإِسْـلَامُ، فَـكَانَ عَزِيْـزًا مَنِيْعًـا بِالأَنْدَلُـسِ، فِي دَوْلَـةِ الدَّاخِـلِ».

٨١- مَلَـــكَ الأَرْضَ

ابْنَـــا بَرْبَرِيَّتَـــيْنِ!

قَـــالَ تَعَـــالَى مُخْـــبِرًا عَـــنْ

قَـــوْلِ عِيسَـــى - عَلَيْـــهِ

السَّـــلَامُ -: (وَلَمْ يَجْعَلْنِـــي

جَبَّـــارًا شَـــقِيًّا). قَـــالَ

عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «طُوبَى لِمَنْ تَلَا كَلَامَ اللهِ، فَاتَّبَعَ مَا فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا شَقِيًّا».

وَقَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ فِي «أَخْبَارِ بَنِي أُمَيَّةَ»: كَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: مَلَكَ الأَرْضَ

ابْنَا بَرْبَرِيَّتَيْنِ - يَعْنِي: عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَالمَنْصُوْرَ. وَكَانَ المَنْصُوْرُ يَقُوْلُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ: ذَاكَ صَقْرُ قُرَيْشٍ، دَخَلَ المَغْرِبَ وَقَدْ قُتِلَ قَوْمُهُ، فَلَمْ

يَـزَلْ يَـضرِبُ العَدْنَانِيَّـةَ بِالقَحْطَانِيَّـةِ حَتَّـى مَلَـكَ. وَلَمَّا مَـاتَ الأَمِـيرُ الصَّالِحُ عَبْـدُ الرَّحْمَـنِ الدَّاخِـلُ خَلَفَـهُ ابْنُـهُ الصَّالِـحُ هِشَـامٌ، فبُوْيِـعَ بِالمُلْـكِ سَـنَةَ اثْنَتَـيْنِ وَسَـبْعِيْنَ

وَمائَـةٍ، وَكَانَ دَيِّنًـا، وَرِعًا،
يَعْـدِلُ فِي الرَّعِيَّـةِ، وَيُكْثِـرُ
الصَّدَقَـاتِ، وَيَتَعَاهَـدُ
المَسَـاكِيْنَ، وَلَمَّـا احْتُـضِرَ
عَهِـدَ بِالأَمْـرِ إِلَى وَلَـدِهِ
الحَكَـمِ، وَمَـاتَ فِي صَفَـرٍ،
سَـنَةَ ثَمَانِـيْنَ وَمِائَـةٍ،

فَبُوْيِعَ الحَكَمُ بِالمُلْكِ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ: وَكَانَ مِنْ جَبَابِرَةِ المُلُوْكِ، وَفُسَّاقِهِمْ، وَمُتَمَرِّدِيْهِمْ، وَكَانَ فَارِسًا، شُجَاعًا، فَاتِكًا، ذَا دَهَاءٍ، وَحَزْمٍ، وَعُتُوٍّ، وَظُلْمٍ، تَمَلَّكَ

سَبْعًا وَعِشْرِيْنَ سَنَةً.

وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ عَلَى سِيْرَةٍ حَمِيْدَةٍ، تَلَا فِيْهَا أَبَاهُ، ثُمَّ تَغَيَّرَ، وَتَجَاهَرَ بِالمَعَاصِي. قَالَ أَبُو مُحَمَّدِ بنُ حَزْمٍ: كَانَ مِنَ المُجَاهِرِيْنَ بِالمَعَاصِي،

سَفَّاكًا لِلدِّمَاءِ. قَالَ الْيَسَعُ بْنُ حَزْمٍ: هَمَّتِ الرُّوْمُ بِمَا لَمْ يَنَالُوا مِنْ طَلَبِ الثُّغُورِ، فَنَكَثُوا العَهْدَ، فَتَجَهَّزَ الحَكَمُ إِلَيْهِم حَتَّى جَازَ جَبَلَ السَّارَةِ - شَمَالِيَّ طُلَيْطِلَةَ -

فَفَرَّتِ الـرُّوْمُ أَمَامَـهُ حَتَّى تَجَمَّعُـوا بِسَـمُّوْرَةَ، فَلَـمَّا الْتَقَـى الجَمْعَـانِ، نَـزَلَ النَّـصْرُ، وَانْهَـزَمَ الكُفْـرُ.

قَـالَ الذَّهَبِـيُّ: وَكَثُـرَتِ العُلَـمَاءُ بِالأَنْدَلُـسِ فِي دَوْلَتِـهِ، فَلَـمَّا أَرَادَ

اللهُ فَنَاءَهُمْ، عَزَّ عَلَيْهِمُ انْتِهَاكُ الحَكَمِ لِلْحُرُمَاتِ، وَائْتَمَرُوا لِيَخْلَعُوْهُ، ثُمَّ جَيَّشُوا لِقِتَالِهِ، وَجَرَتْ بِالأَنْدَلُسِ فِتْنَةٌ عَظِيْمَةٌ عَلَى الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ،

فَـــلَا قُـــوَّةَ إِلَّا بِـــاللهِ.

مَـاتَ الحَكَـمُ سَـنَةَ سِـتٍّ

وَمَائَتَـــيْنِ، فِي آخِرِهَـــا،

وَوَلِيَ الأَنْدَلُـــسَ بَعْـــدَهُ:

ابْنُـــهُ عَبْـــدُ الرَّحْمَـــنِ.

٨٢- وَنَكْتُـــبُ مَـــا

قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ

قَالَ تَعَالَى: (وَنَكْتُبُ

مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ).

بُوْيِعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ

الحَكَمِ بنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ

الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ، وَوَلِيَ

الأَنْدَلُسَ بَعْدَ وَالِدِهِ، فِي

آخِرِ سَنَةِ سِتٍّ وَمَائَتَيْنِ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيْرَةِ، لَيِّنَ الجَانِبِ، قَلِيْلَ الغَزْوِ. وَلَمَّا مَلَكَ المَجُوْسُ إِشْبِيْلِيَّةَ بَعْدَ القَتْلِ الذَّرِيْعِ فِي أَهْلِهَا، اسْتَنْفَرَ الخَلِيْفَةُ عَبْدُ

الرَّحْمَنِ جَيْشَهُ، وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُوْنَ، وَاسْتَحَرَّ القَتْلُ بِالكَفَرَةِ. وَمَاتَ فِي رَبِيْعٍ الآخِرِ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِيْنَ وَمِائَتَيْنِ، وَقَدْ حَكَمَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً.

وَبُوْيِعَ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ، وَكَانَ مُحِبًّا لِلْعِلْمِ، مُؤْثِرًا لأَصْحَابِ الحَدِيْثِ، مُكْرِمًا لَهُمْ، حَسَنَ السِّيْرَةِ. قَالَ بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ الحَافِظُ: مَا كَلَّمتُ أَحَدًا مِنَ المُلُوْكِ أَكْمَلَ

عَقْـــلًا، وَلَا أَبلَـــغَ لَفْظًـــا
مِـــنَ الأَمِـــيْرِ مُحَمَّـــدٍ.
قَـــالَ الذَّهَبِـــيُّ: وَكَانَ ذَا
رَأْيٍ، وَحَـــزْمٍ، وَشَـــجَاعَةٍ،
وَإِقـــدَامٍ. مَـــاتَ سَـــنَةَ
ثَـــلَاثٍ وَسَـــبْعِينَ
وَمِائَتَـــيْنِ، وَقَـــدْ حَكَـــمَ

سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً.
وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ يَتَوَغَّلُ
فِي بِلَادِ الرُّوْمِ، وَيَبْقَى
فِي الغَزْوِ السَّنَةَ وَأَكْثَرَ.
قَالَ أَبُو المُظَفَّرِ بْنُ
الجَوْزِيِّ: هُوَ صَاحِبُ
وَقْعَةِ سَلِيْطٍ. وَهِيَ

مَلْحَمَةٌ مَشْهُورَةٌ لَمْ يُعْهَدْ قَبْلَهَا بِالأَنْدَلُسِ مِثْلُهَا. يُقَالُ: قُتِلَ فِيْهَا ثَلَاثُ مِائَةِ أَلْفِ كَافِرٍ. وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِهِ. وَلِلشُّعَرَاءِ فِيْهِ مَدَائِحُ كَثِيْرَةٌ.

مَـــاتَ فِي آخِـــرِ صَفَـــرٍ، سَـــنَةَ ثَـــلَاثٍ وَسَـــبْعِيْنَ وَمَائَتَـــيْنِ. وَبُوْيِـــعَ ابْنُـــهُ الْمُنْـــذِرُ، فَكَانَـــتْ دَوْلَتُـــهُ سَـــنَتَيْنِ، مَـــاتَ فِي نِصْـــفِ صَفَـــرٍ، سَـــنَةَ خَمْـــسٍ وَسَـــبْعِيْنَ وَمَائَتَـــيْنِ.

٨٣- الأَمِيرُ الَّذِي حَكَمَ الأَنْدَلُسَ خَمْسِينَ سَنَةً قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ

﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ
لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن
يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ
إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾.
فَالقُوَّةُ فِي العِلْمِ وَالبَيَانِ،
وَالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ.

قَـــالَ أَبُـــو تَمَّـــام:

فَـــمَا هُـــوَ إِلَّا الْوَحْـــيُ أَوْ

حَـــدُّ مُرْهَـــفٍ ... تُمِيـــلُ

ظُبَـــاهُ أَخْدَعَـــيْ كُلِّ مَائِـــلِ

فَهَـــذَا دَوَاءُ الـــدَّاءِ مِـــنْ

كُلِّ عَـــالِمٍ ... وهَـــذَا دَوَاءُ

الـــدَّاءِ مِـــنْ كُلِّ جَاهِـــلِ

لَقَدْ بُوِيعَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ الحَكَمِ بَعْدَ أَخِيهِ المُنْذِرِ، وَكَانَ أَصْلَحَ أُمَرَاءِ الأَنْدَلُسِ عِلْمًا وَدِينًا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ:

«كَانَ عَبْدُ اللهِ الأَمِيرُ

مِـنَ الصَّالِحِـيْنَ، المُتَّقِـيْنَ، العَالِمِـيْنَ، رَوَى العِلْـمَ كَثِـيْرًا، وَطَالَـعَ الـرَّأْيَ، وَأَبـصَرَ الحَدِيْـثَ، وَحَفِظَ القُـرْآنَ، وَتَفَقَّـهَ، وَأَكْثَـرَ الصَّـوْمَ، وَكَانَ يَلْتَـزِمُ الصَّلَـوَاتِ فِي الجَامِـعِ».

مَـاتَ فِي أَوَّلِ رَبِيْعٍ الأَوَّلِ،
سَـنَةَ ثَلَاثِمِائَـةٍ، وَقَـدْ حَكَمَ
خَمْسًـا وَعِشْرِيـنَ سَـنَةً.
وَقَـامَ بَعْـدَهُ حَفِيـدُهُ عَبْـدُ
الرَّحْمَـنِ بـنُ مُحَمَّـدِ بْـنِ
عَبْـدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّـدٍ، المُلَقَّبُ
بِالنَّـاصِرِ لِدِيْـنِ اللهِ.

كَانَ أَبُوْهُ مُحَمَّدٌ وَلِيَّ عَهْدِ وَالِدِهِ، فَقَتَلَهُ أَخُوْهُ أَبُو القَاسِمِ، فَقَتَلَهُ أَبُوْهُمَا بِهِ.

وَلِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الخِلَافَةَ بَعْدَ جَدِّهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَسَمَّى بِالخِلَافَةِ، وَبِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ،

وَكَانَ الَّذِينَ قَبْلَهُ إِنَّمَا يَتَسَمَّوْنَ بِالأَمِيرِ فَقَطْ.

اسْتُضعِفَتْ دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، حَتَّى وَلِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَتَرَاجَعَ الأَمْرُ حَتَّى صَارَتِ

المَمْلَكَـــةُ وَأَقْطَارُهَـــا

وَأَكْثَـــرُ بِـــلَادِ العُـــدْوَةِ فِي

طَاعَتِـــهِ، وَأَخَـــافَ مُلُـــوْكَ

الطَّوَائِـــفِ حَوْلَـــهُ، وَغَـــزَا

بِنَفْسِـــهِ بِـــلَادَ الـــرُّوْمِ اثْنَتَـــيْ

عَـــشْرَةَ غَـــزْوَةً، وَدَوَّخَهُمْ،

وَوَضَـــعَ عَلَيْهِـــمُ الخَـــرَاجَ،

وَدَانَتْ لَهُ مُلُوْكُهَا،
وَاتَّسَعَتْ مَمْلَكَةُ النَّاصِرِ،
وَكَانَتْ أَيَّامُهُ كُلُّهَا
حُرُوْبًا، حَتَّى افْتَتَحَ
سَبْعِيْنَ حِصْنًا - رَحِمَهُ
اللهُ -. تُوُفِّيَ فِي رَمَضَانَ،
سَنَةَ خَمْسِيْنَ وَثَلَاثِمِائَةٍ،

وَقَدْ حَكَمَ خَمْسِينَ سَنَةً.

٨٤- الأَمِيرُ الَّذِي ضَاقَتْ خَزَائِنُهُ بِالكُتُبِ ثَبَتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ:

(البَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ).

رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ، وَالذَّهَبِيُّ، وَابْنُ دَقِيقِ العِيدِ، وَغَيْرُهُمْ.

فَمِنْ أَسْبَابِ التَّمْكِينِ،

وَزِيَادَةِ الخَيْرَاتِ، وَكَثْرَةِ البَرَكَاتِ: أَنْ يَتَوَلَّى مَقَالِيدَ الحُكْمِ الكِبَارُ فِي العِلْمِ، وَالمَعْرِفَةِ، وَالصَّلَاحِ، وَالتَّجْرِبَةِ. وَقَدْ بُوْيِعَ الحَكَمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ

الأُمَـــوِيُّ عَـــلَى بِـــلَادِ
الأَنْدَلُـــسِ بَعْـــدَ أَبِيْـــهِ عَبْـــدِ
الرَّحْمَـــنِ، المُلَقَّـــبِ بِالنَّاصِرِ
لِدِيْـــنِ اللهِ، فِي رَمَضَـــانَ،
سَـــنَةَ خَمْسِـــيْنَ وَثَلَاثِمِائَـــةٍ،
وَكَانَ ذَا نَهْمَـــةٍ مُفْرِطَـــةٍ
فِي العِلْـــمِ وَالفَضَائِـــلِ،

عَاكِفًا عَلَى الْمُطَالَعَةِ.

جَمَعَ مِنَ الكُتُبِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ أَحَدٌ مِنَ المُلُوْكِ

- قَالَ الذَّهَبِيُّ: لَا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ -، وَاشْتُرِيَتْ لَهُ مِنَ البِلَادِ البَعِيْدَةِ، وَقَرَّبَ العُلَمَاءَ، وَكَتَبَ

عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ، وَلَقَدْ
ضَاقَتْ خَزَائِنُهُ بِالكُتُبِ،
وَآثَرَهَا عَلَى لَذَّاتِ
المُلُوْكِ، فَغَزُرَ عِلْمُهُ،
وَاتَّسَعَتْ مَعْرِفَتُهُ فِي
الرِّجَالِ، وَالأَنْسَابِ،
وَالأَخْبَارِ. وَمِن مَحَاسِنِهِ:

أَنَّــهُ شَــدَّدَ فِي مَمْلَكَتِــهِ عَــلَى إِبْطَــالِ الخُمُــوْرِ.

قَــالَ الْيَسَــعُ بْــنُ حَــزْمٍ: كَانَ الحَكَــمُ عَالِمًــا، رَاوِيَــةً لِلْحَدِيْــثِ، فَطِنًــا، وَرِعًــا.

وَفِي دَوْلَــةِ الحَكَــمِ: هَمَّــتِ الــرُّوْمُ بِأَخْــذِ مَوَاضِــعَ

مِـــنَ الثُّغُـــورِ، فَقَوَّاهَـــا
بِالمَـــالِ وَالجُيُـــوْشِ، وَغَـــزَا
بِنَفْسِـــهِ، وَزَادَ فِي القَطِيْعَـــةِ
عَـــلَى الـــرُّوْمِ، وَأَذَلَّهُـــمْ.
وَكَانَ مَوْتُـــهُ بِالفَالِـــجِ
فِي صَفَـــرٍ، سَـــنَةَ سِـــتٍّ
وَسِـــتِّيْنَ وَثَلَاثِمِائَـــةٍ، وَبُوْيِعَ

لِابْنِـــهِ هِشَـــامٍ المُؤَيَّـــدِ،
وَلَـــهُ اثْنَـــا عَـــشَرَ عَامًـــا،
بِإِشَـــارَةِ الدَّوْلَـــةِ، وَقَـــامَ
بِتَدبِـــيْرِ الخِلَافَـــةِ المَنْصُـــوْرُ
مُحَمَّـــدُ بـــنُ أَبِي عَامِـــرٍ،
وَاسْـــتَبَدَّ بِالأُمُـــوْرِ، وَكَانَ
هِشَـــامٌ ضَعِيْـــفَ الـــرَّأْيِ،

أَخْـــرَقَ، مَحْجُـــورًا عَلَيْـــهِ،
فَـــكَانَ صُـــوْرَةً، وَكَانَ
المَنْصُـــوْرُ هُـــوَ الـــكُلَّ،
فَسَـــاسَ المَمْلَكَـــةَ أَتَـــمَّ
سِيَاسَـــةٍ، وَغَـــزَا عِـــدَّةَ
غَـــزَوَاتٍ ضِخَـــامٍ.
تُـــوُفِّيَ هِشَـــامٌ سَـــنَةَ ثَـــلَاثٍ

وَأَرْبَعِمِائَـــةٍ هِجْرِيًّـــا.

٨٥- وَلَا تَنَازَعُـــوا فَتَفْشَلُوا!

قَـــالَ تَعَـــالَى: (وَأَطِيعُـــوا اللهَّ وَرَسُـــولَهُ وَلَا تَنَازَعُـــوا فَتَفْشَـــلُوا

وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ).

إِنَّ مَعْصِيَةَ اللهِ وَمَعْصِيَةَ رَسُولِهِ، وَالنِّزَاعَ وَالتَّفَرُّقَ وَالاخْتِلَافَ:

مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الضَّعْفِ وَالانْهِيَارِ وَسُقُوطِ الدَّوْلَةِ،

وَهَـذَا مَـا حَصَـلَ
مُؤَخَّـرًا لِلدَّوْلَـةِ الأُمَوِيَّـةِ
الشَّرْقِيَّـةِ بِدِمَشْـقَ، ثُـمَّ
الدَّوْلَـةِ الأُمَوِيَّـةِ الغَرْبِيَّـةِ
بِالأَنْدَلُـسِ، وَزَادَتْ هَـذِهِ
الأَخِـيرَةُ أَنِ اسْـتَعَانَتْ
بِمَـنْ لَا يَرْقُـبُ فِي

مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً.

فَبَعْدَ أَنْ شَيَّدَ الدَّوْلَةَ

الحَاجِبُ المَنْصُورُ مُحَمَّدُ

بْنُ أَبِي عَامِرٍ فِي عَهْدِ

الطِّفْلِ هِشَامٍ المُؤَيَّدِ،

الأَمِيرِ صُورَةً بِلَا

مَعْنًى، وَقَامَ بِتَدْبِيرِهَا

وَإِدَارَتِهَا أَتَمَّ قِيَامٍ، وَكَانَ
فَاضِلًا شُجَاعًا، غَزَا
نَيِّفًا وَخَمْسِينَ غَزْوَةً، فَلَمَّا
مَاتَ خَلَفَهُ ابْنُهُ الْمُظَفَّرُ
عَبْدُ الْمَلِكِ، فَحَذَى
حَذْوَهُ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ
اضْطَرَبَتِ الأُمُورُ، فَقَدْ

قَامَ بَعْدَهُ أَخُوهُ شَنْشُولُ المَقْتُولُ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنَ الفِرِنْجِ، فَطَغَى وَبَغَى.

ثُمَّ إِنَّ هِشَامًا المُؤَيَّدَ: مَرَّةً يُخْلَعُ وَمَرَّةً يُعَادُ، وَكَانَ ضَعِيفًا ابْتُلِيَتْ بِهِ الدَّوْلَةُ، وَمَاتَ

أَوْ قُتِلَ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَثَلَاثٍ هِجْرِيَّةً.

ثُمَّ تَوَلَّى ابْنُ عَمِّهِ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الجَبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَلَقَبُهُ المَهْدِيُّ، سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ قُتِلَ؛ خَرَجَ

عَلَيْهِ ابْنُ أَخِيهِ هِشَامُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ النَّاصِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَبُوِيعَ فَحَارَبَهُ عَمُّهُ وَقَتَلَهُ، وَاتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى خَلْعِ عَمِّهِ فَاخْتَفَى، ثُمَّ قُتِلَ. وَبَايَعُوا ابْنَ أَخِي هِشَامٍ

المَقْتُولِ، وَهُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ الحَكَمِ المُسْتَنْصِرِ، ثُمَّ قَاتَلُوهُ وَأُسِرَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

وَقَامَ بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ النَّاصِرِ، وَقُتِلَ فِي آخِرِ

العَـامِ، ثُـمَّ وَهَـتِ الدَّوْلَـةُ الأُمَوِيَّـةُ، وَعَثَـى فِيهَـا البَرْبَـرُ قَتْـلًا وَفَسَـادًا. وَقَامَـتِ الدَّوْلَـةُ العَلَوِيَّـةُ سَـنَةَ سَـبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَـةٍ.

٨٦- قِيَـامُ الدَّوْلَـةِ

العَلَوِيَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ

قَالَ تَعَالَى: (كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ).

لَمَّا دَانَتِ الأَنْدَلُسُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ لِسُلَيْمَانَ

الْمُسْتَعِينِ بِاللهِ ابْنِ الْحَكَمِ الأُمَوِيِّ، جَالَ بِجُنْدِهِ الْبَرْبَرِ فَطَغَى وَبَغَى، قَالَ الذَّهَبِيُّ: «عَمِلُوا مَا يَصْنَعُهُ كُفَّارُ التُّرْكِ وَأَبْلَغَ».

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ أُمَرَائِهِ:

القَاسِمُ وَعَلِيُّ ابْنَا حَمُّودِ
بْنِ مَيْمُونٍ العَلَوِيِّ
الإِدْرِيسِيِّ، ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا
طَمِعَ فِي الخِلَافَةِ، فَبَايَعَهُ
خَلْقٌ، فَجَهَّزَ المُسْتَعِينُ
لِحَرْبِهِ جَيْشًا فَانْهَزَمَ،
وَهَجَمَ عَلِيُّ بْنُ حَمُّودٍ

عَـــلَى قُرْطُبَـــةَ وَظَفَـــرَ بِالْمُسْـــتَعِينِ، فَذَبَحَـــهُ وَذَبَـــحَ أَبَـــاهُ الْحَكَـــمَ فِي الْمُحَـــرَّمِ، سَـــنَةَ سَـــبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَـــةٍ، وَانْقَضَـــتِ الدَّوْلَـــةُ الأُمَوِيَّـــةُ فِي جَمِيـــعِ الأَنْدَلُـــسِ.

وَقَامَتِ الدَّوْلَةُ العَلَوِيَّةُ الحَسَنِيَّةُ: فَوَلِيَ عَلِيُّ بْنُ حَمُّودٍ فِي المُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، ثُمَّ قُتِلَ فِي ذِي القَعْدَةِ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وَقَامَ أَخُوهُ القَاسِمُ،

وَخُلِعَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ؛ خَرَجَ عَلَيْهِ ابْنُ أَخِيهِ يَحْيَى بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ، وَقُتِلَ بَعْدَ سَنَةٍ وَسَبْعَةِ أَشْهُرٍ. ثُمَّ عَادَتِ الدَّوْلَةُ الأُمَوِيَّةُ، فَوَلِيَ عَبْدُ

الرَّحْمَنِ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الجَبَّارِ، ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ خَمْسِينَ يَوْمًا.

فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ النَّاصِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَخُلِعَ بَعْدَ سَنَةٍ وَأَرْبَعَةِ

أَشْـــهُرٍ، فَقَـــامَ هِشَـــامُ بْـــنُ
مُحَمَّـــدِ بْـــنِ عَبْـــدِ المَلِـــكِ بْنِ
النَّـــاصِرِ عَبْـــدِ الرَّحْمَـــنِ،
فَأَقَـــامَ مُـــدَّةً، ثُـــمَّ خُلِـــعَ
وَسُـــجِنَ إِلَى أَنْ مَـــاتَ فِي
صَفَرٍ سَـــنَةَ ثَـــمَانٍ وَعِشْرِينَ
وَأَرْبَعِمِائَـــةٍ، وَمَاتَـــتْ

بِمَوْتِـــهِ الدَّوْلَـــةُ الأُمَوِيَّـــةُ بِالأَنْدَلُـسِ مُطْلَقًـا، وَصَارَ فِي الأَنْدَلُـسِ عِـدَّةُ مُلُوكٍ.

٨٧- مَعْرَكَـــةُ الزَّلَّاقَـــةِ وَانْتِهَـــاءُ عَهْـــدِ مُلُـــوكِ الطَّوَائِـــفِ

قال تعالى: (وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ).

لَمَّا ضَعُفَتِ الدَّوْلَةُ

الأُمَوِيَّــةُ فِي الأَنْدَلُــسِ، ثُــمَّ سَــقَطَتْ فِي سَــنَةِ ثَــمَانٍ وَعِشْرِيــنَ وَأَرْبَعِمِائَــةٍ هِجْرِيَّــةً: بَدَأَ عَــصْرُ مُلُوكِ الطَّوَائِــفِ، حَيْــثُ تَمَزَّقَــتِ الأَنْدَلُــسُ إِلَى إِمَــارَاتٍ صَغِــيرَةٍ مُتَنَاحِــرَةٍ، بَلَغَــتْ

أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ إِمَارَةً.

وَلِأَجْلِ هَذَا التَّمَزُّقِ

وَالتَّنَاحُرِ، وَالاسْتِعَانَةِ

بِالنَّصَارَى القَشْتَالِيِّينَ:

طَمِعَ المَلِكُ أَلْفُونسُو

النَّصْرَانِيُّ فِيهِمْ،

وَزَحَفَ إِلَيْهِمْ.

وَحِينَ أَدْرَكَ الأُمَرَاءُ

وَالعُلَمَاءُ خَطَرَ

النَّصَارَى، تَشَاوَرُوا فِي

الأَمْرِ، فَأَشَارَ العُلَمَاءُ

بِالجِهَادِ، وَالاسْتِعَانَةِ

بِالمُرَابِطِينَ فِي المَغْرِبِ

الأَقْصَى، فَتَخَوَّفَ

الأُمَـــرَاءُ لِتَوَقُّعِهِـــمْ أَنْ
يَسْـــتَوْلِيَ يُوسُـــفُ بْـــنُ
تَاشِـــفِينَ أَمِـــيرُ المُرَابِطِـــينَ
بَعْـــدَ ذَلِـــكَ عَـــلَى
الأَنْدَلُـــسِ، إِلَّا أَنَّ المُعْتَمِـــدَ
عَـــلَى اللهِ بْـــنَ عَبَّـــادٍ أَحَـــدَ
أَشْـــهَرِ مُلُـــوكِ الطَّوَائِـــفِ،

خَطَبَ خُطْبَتَهُ الَّتِي عَبَّرَ فِيهَا عَنْ مَشَاعِرِهِ الإِسْلَامِيَّةِ، بِأَنَّهُ لَنْ يَتْرُكَ الأَنْدَلُسَ لِلنَّصَارَى، فَتَقُومَ عَلَيْهِ اللَّائِمَةُ فِي مَنَابِرِ الإِسْلَامِ، وَقَالَ مَقُولَتَهُ الخَالِدَةَ: «وَاللهِ

لَأَنْ أَرْعَى الإِبِلَ فِي
أَرْضِ العَرَبِ، خَيْرٌ لِي
مِنْ أَنْ أَرْعَى الخَنَازِيرَ
فِي أَرْضِ الصَّلِيبِيِّينَ».
وَتَحَرَّكَ يُوسُفُ بْنُ
تَاشِفِينَ لِنَجْدَتِهِمْ،
وَحَقَّقَ انْتِصَارًا عَلَى

النَّصَارَى فِي مَعْرَكَةِ الزَّلَّاقَةِ، وَبِالفِعْلِ ضَمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الأَنْدَلُسَ؛ لِيَنْتَهِيَ عَهْدُ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ، الَّذِي امْتَدَّ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ، إِلَى

سَـــنَةِ تِسْـــعٍ وَسَـــبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَـــةٍ لِلْهِجْـــرَةِ.

٨٨- كَيْـــفَ قَامَـــتْ دَوْلَـــةُ الْمُرَابِطِـــينَ؟

قَـــال تعـــالى: (وَمَـــا كَانَ

الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ
مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا
فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا
قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا
إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ).
لَمَّا بَدَأَتْ دَعْوَةُ الفَقِيهِ

الدَّاعِيَةِ الْمُجَاهِدِ

عَبْدِ اللهِ بْنِ يَاسِينْ

الإِصْلَاحِيَّةُ، وَالَّتِي

بَدَأَتْ بِتَعْلِيمِ النَّاسِ

قَوَاعِدَ الإِسْلَامِ، وَدَعَا

إِلَى إِقَامَةِ الحُدُودِ، قَالَ

لِأَتْبَاعِهِ: انْصِبُوا رَايَةً

وَأَمِيرًا، فَوَقَعَ الاخْتِيَارُ
عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ عُمَرَ
البَرْبَرِيِّ رَأْسِ لَمْتُونَةَ،
فَبَايَعُوهُ، وَلَقَّبُوهُ أَمِيرَ
المُسْلِمِينَ، وَحَرَّضَهُمْ
عَبْدُ اللهِ بْنُ يَاسِينْ
عَلَى الجِهَادِ، وَسَمَّاهُمْ

لِذَلِـــكَ المُرَابِطِـــينَ،

فَدَانَـــتْ لَـــهُ الصَّحْـــرَاءُ،

وَظَهَـــرَ الإِسْـــلَامُ هُنَـــاكَ،

ثُـــمَّ سَـــارُوا إِلَى الأَنْدَلُـــسِ

لِلْغَـــزْوِ، فَأَتَـــوُا السُّـــوسَ

فَحَارَبَهُـــمْ أَهْلُهَـــا، فَقُتِـــلَ

عَبْـــدُ اللهِ بْـــنُ يَاسِـــينْ، ثُـــمَّ

إِنَّ أَبَا بَكْرٍ بَعْدَ أَنْ فَتَحَ سِجِلْمَاسَةَ وَالسُّوسَ مَاتَ، فَقَامَ بَعْدَهُ يُوسُفُ بْنُ تَاشِفِينَ ابْنُ عَمِّهِ، وَكَانَ شُجَاعًا، فَدَانَ لَهُ الْمَغْرِبُ العَرَبِيُّ - الْمَغْرِبُ، وَالْجَزَائِرُ،

وَتُونُسُ، وَلِيبْيَا –
وَالأَنْدَلُسُ بَعْدَ تَوْحِيدِهَا
وَتَخْلِيصِهَا مِنْ مُلُوكِ
الطَّوَائِفِ، فَتَمَلَّكُوا أَكْثَرَ
مِنْ ثَمَانِينَ سَنَةً، حَيْثُ
نَشَأَتْ دَوْلَتُهُمُ المَعْرُوفَةُ
بِدَوْلَةِ المُرَابِطِينَ، فِي

الفَـــتْرَةِ مَـــا بَـــيْنَ ثَـــمَانٍ
وَأَرْبَعِـــينَ وَأَرْبَعِمائَـــةٍ، إِلَى
وَاحِـــدٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِـــمائَةٍ
هِجْرِيَّـــةً، وَانْتَهَـــتْ بِقَتْـــلِ
إِسْـــحَاقَ بْـــنِ عَـــلِيٍّ،
آخِـــرِ أُمَـــرَاءِ المُرَابِطِـــينَ،
فَقَامَـــتْ دَوْلَـــةُ المُوَحِّدِيـــنَ.

٨٩- سُقُوطُ دَوْلَةِ الْمُرَابِطِينَ، وَقِيَامُ دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ

إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

لَقَدْ خَرَجَ عَلَى دَوْلَةِ الْمُرَابِطِينَ الفَقِيهُ الدَّاعِيَةُ الزَّاهِدُ مُحَمَّدُ بْنُ تُوْمَرْتَ البَرْبَرِيُّ، المُدَّعِي أَنَّهُ عَلَوِيٌّ حَسَنِيٌّ، وَأَنَّهُ الإِمَامُ المَعْصُومُ المَهْدِيُّ،

وَكَانَ أَمَّـــارًا بِالمَعْـــرُوفِ،
نَهَّـاءً عَـنِ المُنْكَـرِ، شَـغُوفًا
عَـلَى المُلْـكِ، وَكَانَ - وَفْقَ
رَأْيِ الأَشْـعَرِيِّ - خَـرَجَ
عَـلَى دَوْلَـةِ المُرَابِطِـينَ،
فَوَافَتْـهُ المَنِيَّـةُ قَبْـلَ تَحْقِيـقِ
طُمُوحِـهِ، وَقَـدْ عَقَـدَ

البَيْعَــةَ فِي حَــالِ مَرَضِــهِ

لِعَبْــدِ المُؤْمِــنِ بْــنِ عَــلِيٍّ،

وَلَقَبُــهُ أَمِــيرُ المُؤْمِنِــينَ،

فَأَسْــقَطَ دَوْلَــةَ المُرَابِطِــينَ

سَــنَةَ إِحْــدَى وَأَرْبَعِــينَ

وَخَمْسِــمِائَةٍ، وَحَكَــمَ

المَغْــرِبَ وَالأَنْدَلُــسَ،

وَانْتَهَتْ دَوْلَتُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ هِجْرِيًّا؛ فَبَعْدَ أَنْ تَلَقَّوْا هَزِيمَةً قَاسِيَةً عَلَى يَدِ النَّصَارَى القَشْتَالِيِّينَ وَحُلَفَائِهِمْ فِي مَعْرَكَةِ «العُقَابِ»، ظَهَرَ التَّرَنُّحُ إِلَى أَنْ قَضَى

عَلَى دَوْلَتِهِمْ قَبَائِلُ
المَرِينِيِّينَ، وَكَانَ إِدْرِيسُ
الوَاثِقُ المَقْتُولُ هُوَ
آخِرُ حُكَّامِ المُوَحِّدِينَ.
وَبَقِيَ فِي بِلَادِ الأَنْدَلُسِ
وِلَايَتَانِ: غَرْنَاطَةُ
وَإِشْبِيلِيَّةُ، وَظَلَّ الإِسْلَامُ

فِي بِـلَادِ الأَنْدَلُـسِ لِأَكْثَـرَ مِـنْ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِـينَ سَـنَةً بَعْـدَ دَوْلَـةِ الْمُوَحِّدِيـنَ.

٩٠- وَهُوَ الَّـذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِـفَ فِي الأَرْضِ قَـال تعـالى: ﴿وَهُـوَ

الَّـذِي جَعَلَكُـمْ خَلَائِـفَ الْأَرْضِ وَرَفَـعَ بَعْضَكُـمْ فَـوْقَ بَعْـضٍ دَرَجَـاتٍ لِّيَبْلُوَكُـمْ فِي مَـا آتَاكُـمْ ۗ إِنَّ رَبَّـكَ سَرِيـعُ الْعِقَـابِ وَإِنَّـهُ لَغَفُـورٌ رَّحِيـمٌ).

«الخَلَائِفُ»:

جَمْعُ «خَلِيفَة».

وَقَدْ حُكِمَ العَالَمُ الإِسْلَامِيُّ بَعْدَ عَصْرِ النُّبُوَّةِ المُتَمَثِّلِ فِي مَرْحَلَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: مَرْحَلَةُ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ إِلَى الإِسْلَامِ بِمَكَّةَ،

اسْتَغْرَقَتْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا تَهْيِئَةً لِلْمَرْحَلَةِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ مَرْحَلَةُ الدَّعْوَةِ بِالْمَدِينَةِ، وَتَأْسِيسِ أَوَّلِ دَوْلَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، اسْتَغْرَقَتْ عَشْرَةَ أَعْوَامٍ.

وَبَعْـــدَ وَفَاتِـــهِ – ﷺ – فِي يَـوْمِ الاثْنَـيْنِ، الثَّـانِيَ عَشَرَ مِـنْ رَبِيـعٍ الأَوَّلِ، فِي العَامِ الحَـادِيَ عَـشَرَ لِلْهِجْـرَةِ، خَلَفَـهُ فِي دَوْلَتِـهِ بِالمَدِينَـةِ، وَفِي أُمَّتِـهِ أُمَّـةِ الإِجَابَـةِ: خُلَفَـاءُ رَاشِـدُونَ، سَـارُوا

عَـــلَى مِنْهَاجِـــهِ، وَعُـــرِفَ ذَلِـــكَ العَهْـــدُ بِالخِلَافَـــةِ الرَّاشِـــدَةِ، وَكَانَ قَـــدْ بَـــدَأَ مِـــنْ سَـــنَةِ إِحْـــدَى عَـــشْرَةَ إِلَى سَـــنَةِ إِحْـــدَى وَأَرْبَعِـــينَ لِلْهِجْـــرَةِ. ثُـــمَّ خَلَـــفَ عَهْـــدَ الخِلَافَـــةِ

الرَّاشِدَةِ الخِلَافَةُ الأُمَوِيَّةُ بِدِمَشْقَ، فَحَكَمَتْ مِنْ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ إِلَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ.

ثُمَّ خَلَفَهَا الخِلَافَةُ العَبَّاسِيَّةُ بِبَغْدَادَ، سَنَةَ

اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ، وَلَمَّا بَدَأَ يَدِبُّ الضَّعْفُ فِيهَا سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ تَقْرِيبًا: اسْتَقَلَّتْ عِدَّةُ دُوَلٍ بِالْمَشْرِقِ العَرَبِيِّ، وَعِدَّةُ دُوَلٍ بِالْمَغْرِبِ

الْعَـــرَبِيِّ، إِلَى أَنْ سَـــقَطَتْ
سَـــنَةَ سِـــتٍّ وَخَمْسِـــينَ
وَسِـــتِّمِائَةٍ هِجْرِيَّـــةً، عَـــلَى
يَـــدِ الْمَغُـــولِ وَالتَّتَـــارِ،
فَانْتَقَلَـــتِ الْخِلَافَـــةُ
الْعَبَّاسِـــيَّةُ إِلَى الْقَاهِـــرَةِ،
إِلَّا أَنَّ الْحُكْـــمَ الْفِعْـــلِيَّ

وَالسُّـــلْطَةَ التَّنْفِيذِيَّـــةَ كَانَـــتْ لِلْمَمَالِيـــكِ.

وَظَهَـرَتِ الدَّوْلَـةُ العُثْمَانِيَّةُ سَـــنَةَ تِسْـــعٍ وَتِسْـــعِينَ وَسِـــتِّمِائَةٍ هِجْرِيَّـــةً، لَكِنَّهَـــا لَمْ تَتَسَـــلَّمِ الخِلَافَـــةَ إِلَّا سَـــنَةَ ثَـــلَاثٍ وَعِشْرِيـــنَ

وَتِسْعِمِائَةٍ هِجْرِيَّةً،
لَمَّا سَقَطَتِ الخِلَافَةُ
العَبَّاسِيَّةُ بِالكُلِّيَّةِ؛
لِتَخْلُفَهَا الخِلَافَةُ
العُثْمَانِيَّةُ، بَعْدَ أَنِ اجْتَاحَ
العُثْمَانِيُّونَ مِصْرَ وَالشَّامَ،
وَنَقَلُوا مَرْكَزَ الخِلَافَةِ إِلَى

الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفِي سَنَةِ
اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ
وَأَلْفٍ، سَقَطَتِ
الْخِلَافَةُ الْعُثْمَانِيَّةُ،
وَقُسِّمَتْ وِلَايَاتُهَا.

النُّبُــوَّةُ وَالمَمْلَكَــةُ!

عَــنْ أَبِي هُرَيْــرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْــهُ، قَــالَ: قَــالَ رَسُــولُ اللهِ - ﷺ - لِلْعَبَّــاسِ: (فِيكُــمُ النُّبُــوَّةُ وَالمَمْلَكَةُ).

رَوَاهُ البَــزَّارُ، وَأَبُــو نُعَيْــمٍ، وَابْــنُ عَــدِيٍّ، وَابْــنُ

عَسَاكِرَ، بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَأَعَلَّهُ ابْنُ كَثِيرٍ، وَالسُّيُوطِيُّ بِالعَامِرِيِّ.

وَعَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِلْعَبَّاسِ: (إِذَا كَانَ

غَـــدَاةَ الِاثْنَـــيْنِ، فَأْتِنِـــي
أَنْـــتَ وَوَلَـــدُكَ حَتَّـــى أَدْعُوَ
لَهُـــمْ بِدَعْـــوَةٍ يَنْفَعُـــكَ اللهُ
بِهَـــا وَوَلَـــدَكَ)، فَغَـــدَا
وَغَدَوْنَـــا مَعَـــهُ، وَأَلْبَسَـــنَا
كِسَـــاءً، ثُـــمَّ قَـــالَ: (اللَّهُـــمَّ
اغْفِـــرْ لِلْعَبَّـــاسِ وَوَلَـــدِهِ

مَغْفِـــرَةً ظَاهِـــرَةً وَبَاطِنَـــةً،
لَا تُغَـــادِرُ ذَنْبًـــا، اللَّهُـــمَّ
احْفَظْـــهُ فِي وَلَـــدِهِ).
أَخْرَجَـــهُ التِّرْمِـــذِيُّ،
وَزَادَ رَزِيـــنُ العَبْـــدَرِيُّ
فِي آخِـــرِهِ: (وَاجْعَـــلِ
الخِلَافَـــةَ بَاقِيَـــةً فِي عَقِبِـــهِ).

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ». انتهى.

وَالحَدِيثُ لَهُ عِلَّةٌ؛ قَالَ هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ: مَكْحُولٌ لَمْ

يَسْمَعْ مِنْ كُرَيْبٍ.

وَقَالَ السُّيُوطِيُّ: «هَذَا الحَدِيثُ وَالَّذِي قَبْلَهُ أَصْلَحُ مَا وَرَدَ فِي هَذَا البَابِ». انتهى.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ: كَانَ بَدْءُ أَمْرِ بَنِي العَبَّاسِ،

أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - أَعْلَمَ العَبَّاسَ عَمَّهُ: أَنَّ الخِلَافَةَ تَؤُولُ إِلَى وَلَدِهِ؛ فَلَمْ يَزَلْ وَلَدُهُ يَتَوَقَّعُونَ ذَلِكَ.

٩٢ السَّفَّاحُ

وَالرَّايَاتُ السُّودُ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

«يَخْرُجُ عِنْدَ انْقِطَاعٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَظُهُورٍ مِنَ الْفِتَنِ، رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ السَّفَّاحُ، يَكُونُ إِعْطَاؤُهُ

الْمَالَ حَثْيًا». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ: فِيهِ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَوَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ. وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى،

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (تَجِيءُ رَايَاتٌ سُودٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، تَخُوضُ الْخَيْلُ الدَّمَ إِلَى أَنْ يُظْهِرُوا

الْعَدْلَ، وَيَطْلُبُونَ الْعَدْلَ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيَظْهَرُونَ فَيُطْلَبُ مِنْهُمُ الْعَدْلُ فَلَا يُعْطُونَهُ).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ. وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، قَالَ فِيهِ:

يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ
أَهْلِ بَيْتِي يُقَالُ لَهُ
السَّفَّاحُ، فَذَكَرَهُ، وَهَذَا
الْإِسْنَادُ عَلَى شَرْطِ أَهْلِ
السُّنَنِ وَلَمْ يُخْرِجُوهُ.
وَقَالَ: فَهَذِهِ الْأَخْبَارُ فِي
خُرُوجِ الرَّايَاتِ السُّودِ

مِـــنْ خُرَاسَـــانَ، وَفِي
وِلَايَـةِ السَّـفَّاحِ وَهُـوَ أَبُـو
الْعَبَّـــاسِ، وَقَـــدْ وَقَعَـــتْ
وِلَايَتُـــهُ فِي حُـــدُودِ سَـــنَةِ
ثَلَاثِـــينَ وَمِائَـــةٍ، ثُـــمَّ ظَهَـــرَ
بِأَعْوَانِـــهِ وَمَعَهُـــمُ الرَّايَـــاتُ
السُّـــودُ، وَشِـــعَارُهُمُ

السَّوَادُ، ثُمَّ بَعَثَ عَمَّهُ عَبْدَ اللهِ لِقِتَالِ بَنِي أُمَيَّةَ، فَكَسَرَهُمْ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، وَهَرَبَ مِنَ الْمُعْرَكَةِ آخِرُ خُلَفَائِهِمْ، وَهُوَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدِ

بْـــنِ مَـــرْوَانَ، وَيُلَقَّـــبُ بِمَـــرْوَانَ الْحِـــمَارِ، وَدَخَـــلَ عَمُّـــهُ دِمَشْـــقَ، وَاسْـــتَحْوَذَ عَـــلَى مَـــا كَانَ لِبَنِـــي أُمَيَّـــةَ مِـــنَ الْمُلْـــكِ. انتهـــى.

وَفِي تَنْزِيـــلِ مَـــا وَرَدَ عَـــلَى السَّـــفَّاحِ هَـــذَا وَرَايَاتِـــهِ

السُّـــودِ القَادِمَـــةِ مِـــنْ خُرَاسَـــانَ نَظَـــرٌ، وَاللهُ أَعْلَـــمُ. وَقَـــدْ سَـــبَقَ إِلَى هَذَا ابْـــنُ كَثِـــيرٍ - رَحِمَـــهُ اللهُ -.

٩٣- فَتَـــحَ اللهُ بِأَوَّلِنَـــا، وَأَرْجُـــو أَنْ يَخْتِمَـــهُ بِنَـــا!

رَوَى أَبُو بَكْرِ بْنُ خَيْثَمَةَ: عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (كَمَا فَتَحَ اللهُ بِأَوَّلِنَا، فَأَرْجُو أَنْ يَخْتِمَهُ بِنَا). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: هَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ، وَهُوَ مَوْقُوفٌ.

قَـــالَ عُبَيْـــدُ اللهِ العَيْـــشِيُّ:
قَـــالَ أَبِي: «سَـــمِعْتُ
الأَشْـــيَاخَ يَقُولُـــونَ: وَاللهِ
لَقَـــدْ أَفْضَـــتْ الخِلَافَـــةُ إِلَى
بَنِـــي العَبَّـــاسِ، وَمَـــا فِي
الأَرْضِ أَحَـــدٌ أَكْثَـــرَ قَارِئًـــا
لِلْقُـــرْآنِ، وَلَا أَفْضَـــلَ

عَابِـدًا وَلَا نَاسِـكًا مِنْهُمْ».

وَلَمَّـا حَبَـسَ الخَلِيفَـةُ الأُمَـوِيُّ مَـرْوَانُ المُلَقَّـبُ بِالحِـمَارِ إِبْرَاهِيـمَ بْـنَ مُحَمَّـدٍ الإِمَـامَ الَّـذِي أَرْسَـلَ أَبَـا مُسْـلِمٍ إِلَى بِلَادِ خُرَاسَـانَ لِيَدْعُـوَ النَّـاسَ

إِلَى البَيْعَـةِ لَـهُ: أَوْصَى إِلَى أَهْلِـهِ أَنْ يَكُـونَ الْخَلِيفَـةَ مِـنْ بَعْـدِهِ: أَخُـوهُ أَبُـو الْعَبَّـاسِ السَّـفَّاحُ عَبْـدُ اللهِ بْـنُ مُحَمَّـدِ بْـنِ عَـلِيِّ بْـنِ عَبْـدِ اللهِ بْـنِ عَبَّـاسِ بْـنِ عَبْـدِ الْمُطَّلِـبِ بْنِ هَاشِـمٍ.

فَلَمَّا بَلَغَ أَهْلَ الْكُوفَةِ
مَقْتَلُ إِبْرَاهِيمَ بِالسِّجْنِ
أَحْضَرُوا أَبَا الْعَبَّاسِ
السَّفَّاحَ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ
بِالْخِلَافَةِ، فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ،
سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ
وَمِائَةٍ، وَسَيَّرَ السَّفَّاحُ

جَيْشًا يَحْمِلُ الرَّايَاتِ
السُّودَ، فَوَاجَهَا مَرْوَانُ
بِجَيْشٍ يَفُوقُ عَدَدًا، فَلَمْ
تُغْنِ كَثْرَتُهُمْ عَنْهُ شَيْئًا،
فَانْهَزَمَ فَطَارَدَتْهُ جُنُودُ
السَّفَّاحِ إِلَى أَنْ قُتِلَ بِمِصْرَ
فِي ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةَ ثِنْتَيْنِ

وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، فَانْتَهَتِ الْخِلَافَةُ الْأُمَوِيَّةُ، وَقَامَتِ الْخِلَافَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَأَمَّا السَّفَّاحُ، فَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَيَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ هُوَ

الَّـذِي بُوِيـعَ أَوَّلَ خُلَفَـاءِ
بَنِـي الْعَبَّـاسِ، فَقَـدْ يَكُونُ
خَلِيفَـةً آخَـرَ، وَهَـذَا
هُـوَ الظَّاهِـرُ، وَتَكُـونُ
الرَّايَـاتُ السُّـودُ الْمَذْكُورَةُ
فِي هَـذِهِ الْأَحَادِيـثِ - إِنْ
صَحَّـتْ - هِـيَ الَّتِـي

تَكُونُ مَعَ الْمُهْدِيِّ،
هَذَا كُلُّهُ تَفْرِيعٌ عَلَى
صِحَّةِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ،
وَإِلَّا فَلَا يَخْلُو سَنَدٌ
مِنْهَا عَنْ كَلَامٍ، وَاللهُ
أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

٩٤ ﴿ مِنَّا السَّفَّاحُ، وَمِنَّا
المَنْصُورُ، وَمِنَّا المَهْدِيُّ
أَخْرَجَ الخَطِيبُ وَابْنُ
عَسَاكِرَ وَغَيْرُهُمَا، مِنْ
طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ،
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:
(مِنَّا السَّفَّاحُ، وَمِنَّا

المَنْصُورُ، وَمِنَّا المَهْدِيُّ).

وَرَوَاهُ مَرْفُوعًا وَلَا يَصِحُّ. قَالَ الذَّهَبِيُّ عَنِ المَوْقُوفِ: إِسْنَادُهُ صَالِحٌ. وَقَالَ عَنِ المَرْفُوعِ: مُنْكَرٌ مُنْقَطِعٌ.

لَقَدِ اشْتُهِرَ السَّفَّاحُ

بِسَفْحِ المَالِ وَالدَّمِ، وَكَانَ
يُضْرَبُ بِجُودِهِ المَثَلُ،
فَكَانَ إِعْطَاؤُهُ المَالَ
حَثْيًا، وَلَمْ تَطُلْ أَيَّامُهُ،
فَقَدْ مَاتَ بِالجُدَرِيِّ فِي
ذِي الحِجَّةِ، سَنَةَ سِتٍّ
وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، وَأَقَامَ

بَعْدَهُ أَخَاهُ المَنْصُورَ أَبَا جَعْفَرٍ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُحَمَّدٍ، تَوَلَّى الخِلَافَةَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ.

فَأَوَّلُ مَا فَعَلَ أَنْ قَتَلَ

أَبَـــا مُسْـــلِمٍ الخُرَاسَـــانِيَّ

صَاحِـــبَ دَعْوَتِهِـــمْ،

وَمُمَهِّـــدَ مَمْلَكَتِهِـــمْ.

قَالُـــوا عَـــنِ المَنْصُـــورِ أَبَـــا

الخُلَفَـــاءِ، كَانَ خَلِيقًـــا

لِلْإِمَـــارَةِ، تَـــارِكًا اللَّهْـــوَ

وَاللَّعِـــبَ، كَامِـــلَ العَقْـــلِ،

جَيِّـدَ المُشَـارَكَةِ فِي العِلْـمِ
وَالأَدَبِ، قَتَـلَ خَلْقًا كَثِيرًا
حَتَّى اسْـتَقَامَ مُلْكُـهُ، وَهُوَ
الَّـذِي ضَرَبَ أَبَـا حَنِيفَةَ –
رَحِمَـهُ اللهُ – عَـلَى القَضَـاءِ،
ثُـمَّ سَـجَنَهُ، فَـمَاتَ بَعْـدَ
أَيَّـامٍ، وَقِيـلَ غَـيْرُ ذَلِـكَ،

وَكَانَ غَايَةً فِي البُخْلِ، فَلُقِّبَ: أَبَا الدَّوَانِيقِ.

وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، كَانَ اسْتِيلَاءُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الفَاتِحِ الأُمَوِيِّ عَلَى الأَنْدَلُسِ، وَبَقِيَتْ فِي يَدِ أَوْلَادِهِ،

إِلَى بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةٍ، قَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ: فَكَانُوا يَقُولُونَ: مَلَكَ الدُّنْيَا ابْنَا بَرْبَرِيَّتَيْنِ: الْمَنْصُورُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ.

٩٥- لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلَ!

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ: (إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ

وَاحِـدٌ). رَوَاهُ البُخَـارِيُّ.

وَفِي عَهْـدِ أَبِي جَعْفَـرٍ المَنْصُـورِ مَـا يَسْـتَدْعِي التَّأَمُّـلَ؛ لَقَـدْ قَـضَى عَـلَى الخَارِجِـينَ عَلَيْـهِ، فَقَـدْ قَتَـلَ الرَّاوِنْدِيَّـةَ القَائِلِـينَ بِالتَّنَاسُـخِ، وَحَبَـسَ عَمَّـهُ

عَبْدَ اللهِ بْنَ عَلِيٍّ - قَائِدَ جَيْشِ السَّفَّاحِ، الكَاسِرَ لِمَرْوَانَ آخِرِ خُلَفَاءِ الأُمَوِيِّينَ وَغَازِي الرُّومِ - سَجَنَهُ حَتَّى مَاتَ.

وَقَتَلَ أَبَا مُسْلِمٍ الخُرَاسَانِيَّ لِلْمُمَاطَلَةِ، مَعَ

بَلَائِـهِ لِدَوْلَـةِ العَبَّاسِـيِّينَ

وَقَضَائِـهِ عَـلَى حَرَكَـةِ

عَبْـدِ اللهِ عَـمِّ المَنْصُـورِ،

وَصَـدَقَ ابْـنُ الـوَرْدِيِّ:

جَانِـبِ السُّـلْطَانَ وَاحْـذَرْ

بَطْشَـهُ ❊ ❊ ❊ لَا تُعَانِـدْ

مَـنْ إِذَا قَـالَ فَعَـلْ

وَقَتَلَ الأَخَوَيْنِ مُحَمَّدًا

الخَارِجَ بِالمَدِينَةِ،

وَإِبْرَاهِيمَ الخَارِجَ

بِالبَصْرَةِ، ابْنَيْ عَبْدِ اللهِ

بْنِ الحَسَنِ بْنِ الحَسَنِ

بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ،

وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ آلِ

الْبَيْتِ، وَبِسَبَبِهِ وَقَعَتِ
الْفُرْقَةُ بَيْنَ الْعَبَّاسِيِّينَ
وَالْعَلَوِيِّينَ، وَأَخْمَدَ فِتْنَةَ
الْخُرَاسَانِيِّينَ، وَدَانَتْ
لَهُ الأَمْصَارُ، وَلَمْ يَبْقَ
خَارِجًا عَنْهُ سِوَى
جَزِيرَةِ الأَنْدَلُسِ، تَحْتَ

إِمَـــارَةِ عَبْـــدِ الرَّحْمَـــنِ
الدَّاخِـــلِ الأُمَـــوِيِّ.
وَقَتَـــلَ وَآذَى ظُلْـــمًا
عَـــدَدًا مِـــنْ أَهْـــلِ العِلْـــمِ
وَالفَضْـــلِ؛ بِتُهْمَـــةِ
إِعَانَـــةِ الخَارِجِـــينَ عَلَيْـــهِ.
وَخَلَـــعَ المَنْصُـــورُ عَمَّـــهُ

عِيسَى بْنَ مُوسَى مِنْ وِلَايَةِ العَهْدِ، وَكَانَ السَّفَّاحُ عَهِدَ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِ المَنْصُورِ، وَلَكِنَّ المَنْصُورَ عَهِدَ لِابْنِهِ المَهْدِيِّ.

٩٦- بِدَايَةُ عَصْرِ التَّدْوِينِ

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (سَلُوا اللهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ

لَا يَنْفَعُ). رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ. قَالَ الصُّولِيُّ: «كَانَ المَنْصُورُ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالحَدِيثِ وَالأَنْسَابِ». انتهى.

وَفِي عَصْرِهِ فِي سَنَةِ

ثَـلَاثٍ وَأَرْبَعِـينَ وَمِائَـةٍ:

بَـدَأَ العُلَـمَاءُ بِالتَّدْوِيـنِ.

قَـالَ الذَّهَبِـيُّ: شَرَعَ عُلَمَاءُ

الإِسْـلَامِ فِي هَـذَا العَـصْرِ

فِي تَدْوِيـنِ الحَدِيـثِ،

وَالفِقْـهِ، وَالتَّفْسِـيرِ،

فَصَنَّـفَ ابْـنُ جُرَيْـجٍ

بِمَكَّـــةَ، وَمَالِـــكٌ المُوَطَّـــأَ

بِالمَدِينَـــةِ، وَالأَوْزَاعِـــيُّ

بِالشَّـــامِ، وَابْـــنُ أَبِي

عَرُوبَـــةَ وَحَمَّـــادُ بْـــنُ سَـــلَمَةَ

وَغَيْرُهُمَـــا بِالبَـــصْرَةِ،

وَمَعْمَـــرٌ بِاليَمَنِ، وَسُـــفْيَانُ

الثَّـــوْرِيُّ بِالكُوفَـــةِ،

وَصَنَّفَ ابْنُ إِسْحَاقَ
الْمَغَازِي، وَصَنَّفَ أَبُو
حَنِيفَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - الْفِقْهَ
وَالرَّأْيَ، ثُمَّ بَعْدَ يَسِيرٍ
صَنَّفَ هُشَيْمٌ، وَاللَّيْثُ،
وَابْنُ لَهِيعَةَ، ثُمَّ ابْنُ
الْمُبَارَكِ وَأَبُو يُوسُفَ،

وَابْنُ وَهْبٍ، وَكَثُرَ تَدْوِينُ العِلْمِ وَتَبْوِيبُهُ، وَدُوِّنَتْ كُتُبُ العَرَبِيَّةِ، وَاللُّغَةِ، وَالتَّارِيخِ، وَأَيَّامِ النَّاسِ». انتهى.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الخُرَاسَانِيُّ: «المَنْصُورُ أَوَّلُ

خَلِيفَــةٍ قَــرَّبَ الْمُنَجِّمِــينَ

وَعَمِــلَ بِأَحْــكَامِ النُّجُومِ،

وَأَوَّلُ خَلِيفَــةٍ تُرْجِمَــتْ

لَــهُ الْكُتُــبُ السُّرْيَانِيَّــةُ

وَالأَعْجَمِيَّــةُ بِالعَرَبِيَّــةِ،

كَكِتَــابِ كَلِيلَــةَ وَدِمْنَــةَ،

وَإِقْلِيــدِسْ، وَهُــوَ أَوَّلُ

مَـــنِ اسْـــتَعْمَلَ مَوَالِيَـــهُ
عَـــلَى الأَعْـــمَالِ، وَقَدَّمَهُـــمْ
عَـــلَى العَـــرَبِ، وَكَثُـــرَ ذَلِكَ
بَعْـــدَهُ حَتَّـــى زَالَتْ رِئَاسَـــةُ
العَـــرَبِ وَقِيَادَتُهَـــا، وَهُـــوَ
أَوَّلُ مَـــنْ أَوْقَـــعَ الفُرْقَـــةَ
بَـــيْنَ وَلَـــدِ العَبَّـــاسِ وَوَلَـــدِ

عَـلِيٍّ، وَكَانَ قَبْـلَ ذَلِـكَ أَمَرْهُـمُ وَاحِـدًا». انتهى.

مَـاتَ المَنْصُـورُ بِمَكَّـةَ، لِسَـبْعٍ مَضَـيْنَ مِـنْ ذِي الْحِجَّـةِ، مِـنْ سَـنَةِ ثَـمَانٍ وَخَمْسِـينَ وَمِائَـةٍ، وَقَبْـلَ مَوْتِـهِ بِيَـوْمٍ جَـدَّدَ

الْبَيْعَـــةَ لِابْنِـــهِ الْمُهْـــدِيِّ.

٩٧- مَهْدِيُّ بَنِـــي العَبَّاسِ

قـــال تعـــالى: (هُـــوَ الَّـــذِي

أَنـــزَلَ عَلَيْـــكَ الْكِتَـــابَ

مِنْـــهُ آيَـــاتٌ مُّحْكَـــمَاتٌ

هُـــنَّ أُمُّ الْكِتَـــابِ وَأُخَـــرُ

مُتَشَابِهَاتٌ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ
مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ
الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ).
لَمَّا تَوَلَّى المَهْدِيُّ مُحَمَّدُ
بْنُ عَبْدِ اللهِ المَنْصُورِ
الخِلَافَةَ بِعَهْدٍ مِنْ أَبِيهِ

سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ، وَبَقِيَ حَتَّى مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ: كَانَ مُحَبَّبًا إِلَى الرَّعِيَّةِ، حَسَنَ الاعْتِقَادِ، تَتَبَّعَ الزَّنَادِقَةَ، وَأَفْنَى مِنْهُمْ خَلْقًا

كَثِيرًا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَمَرَ
بِتَصْنِيفِ كُتُبِ الجَدَلِ
فِي الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ
وَالمُلْحِدِينَ، وَذَكَرَ ابْنُ
أَبِي الدُّنْيَا: أَنَّ المَهْدِيَّ
كَتَبَ إِلَى الأَمْصَارِ يَزْجُرُ
أَنْ يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ

الأَهْـــوَاءِ فِي شَيْءٍ مِنْهَـــا.

وَعَـــنْ يُوسُـــفَ الصَّائِـــغِ،

قَـــالَ: رَفَـــعَ أَهْـــلُ البِـــدَعِ

رُؤُوسَـــهُمْ، وَأَخَـــذُوا

فِي الجَـــدَلِ، فَأَمَـــرَ بِمَنْـــعِ

النَّـــاسِ مِـــنَ الـــكَلَامِ،

وَأَنْ لَا يُخَـــاضَ فِيـــهِ.

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ المَنْصُورِيُّ: «لَمَّا حَصَلَتِ الخَزَائِنُ فِي يَدِ المَهْدِيِّ أَخَذَ فِي رَدِّ المَظَالِمِ».

وَغَزَا المَهْدِيُّ الهِنْدَ وَالرُّومَ، وَحَصَلَ لَهُ فَتْحٌ وَغَنَائِمُ كَثِيرَةٌ، وَسَبَقَ

إِلَى حَمْلِ الثَّلْجِ إِلَى مَكَّةَ.

وَلَمَّا وَلِيَ الْمَهْدِيُّ الْخِلَافَةَ: سَأَلَ عِيسَى بْنَ مُوسَى - وَكَانَ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ - أَنْ يَخْلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَمْرِ، فَامْتَنَعَ، فَأَلَحَّ الْمَهْدِيُّ

عَلَيْـهِ فِي أَنْ يَخْلَـعَ نَفْسَـهُ،
وَتَوَعَّـدَهُ إِنْ لَمْ يَفْعَـلْ،
وَوَعَـدَهُ إِنْ فَعَـلَ، ثُـمَّ لَمْ
يَـزَلِ النَّـاسُ بِـهِ بِالرَّغْبَـةِ
وَالرَّهْبَـةِ حَتَّـى أَجَـابَ.
وَبَايَـعَ الْمُهْـدِيُّ لِوَلَدَيْهِ مِنْ
بَعْـدِهِ: مُوسَـى الهَـادِي،

ثُـــمَّ هَـــارُونَ الرَّشِـــيدِ.

وَمَـــا وَرَدَ فِي ظُهُـــورِ

مَهْـــدِيِّ أَهْـــلِ السُّـــنَّةِ مِـــنَ

الأَحَادِيـــثِ الصَّحِيحَـــةِ

المُتَوَاتِـــرَةِ مَعَنَـــا، فَلَيْـــسَ

المَقْصُـــودُ بِهَـــا مَهْـــدِيَّ

بَنِـــي العَبَّـــاسِ هَـــذَا،

وَإِنَّمَا هُوَ المَهْدِيُّ الَّذِي يَخْرُجُ آخِرَ الزَّمَانِ.

٩٨- مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ

اللهَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ بَدَا جَفَا، وَمَنْ تَبِعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهَّ بُعْدًا».

قَالَ الهَيْثَمِيُّ: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَزَّارُ، وَأَحَدُ إِسْنَادَيْ أَحْمَدَ رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، خَلَا الْحَسَنَ بْنَ الْحَكَمِ النَّخْعِيَّ، وَهُوَ ثِقَةٌ.

وَقَالَ الْمُنْذِرِيُّ: رَوَاهُ أَحْمَدُ

بِإِسْنَادَيْنِ، رُوَاةُ أَحَدِهِمَا رُوَاةُ الصَّحِيحِ. وَحَسَّنَهُ السُّيُوطِيُّ وَغَيْرُهُ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ: وَكَانَ - يَعْنِي المَهْدِيَّ العَبَّاسِيَّ - غَارِقًا كَنَحْوِهِ مِنَ المُلُوكِ فِي بَحْرِ اللَّذَّاتِ وَاللَّهْوِ

وَالصَّيْدِ، وَلَكِنَّهُ خَائِفٌ مِنَ اللهِ، مُعَادٍ لِأُولِي الضَّلَالَةِ، حَنِقٌ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ زُهَيْرٌ: قُدِمَ عَلَى المَهْدِيِّ بِعَشَرَةِ مُحَدِّثِينَ: مِنْهُمْ فَرَجُ بْنُ فَضَالَةَ، وَغِيَاثُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ -

وَكَانَ الْمَهْدِيُّ يُحِبُّ الْحَمَامَ

- فَلَمَّا أُدْخِلَ غِيَاثٌ قِيلَ لَهُ: حَدِّثْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَحَدَّثَهُ عَنْ فُلَانٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «لَا سَبْقَ إِلَّا فِي حَافِرٍ أَوْ نَصْلٍ»، وَزَادَ فِيهِ: «أَوْ

جَنَـاحٍ»، فَأَمَـرَ لَـهُ المَهْدِيُّ بِعَـشَرَةِ آلَافِ دِرْهَـم، فَلَـمَّا قَـامَ قَـالَ: أَشْـهَدُ أَنَّ قَفَـاكَ قَفَـا كَـذَّابٍ، وَإِنَّـمَا اسْـتَجْلَبْتَ ذَلِـكَ، ثُـمَّ أَمَـرَ بِالحَـمَامِ فَذُبِحَـتْ. وَغِيَـاثٌ مَـتْرُوكٌ مُتَّهَـمٌ.

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: «قِيلَ: إِنَّ شَرِيكًا أُدْخِلَ عَلَى المَهْدِيِّ، فَقَالَ: لَا بُدَّ مِنْ ثَلَاثٍ؛ إِمَّا أَنْ تَلِيَ القَضَاءَ، أَوْ تُؤَدِّبَ وَلَدَيَّ وَتُحَدِّثَهُمْ، أَوْ تَأْكُلَ عِنْدِي أَكْلَةً،

فَفَكَّرَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: الأَكْلَةُ أَخَفُّ عَلَيَّ، فَأَمَرَ المَهْدِيُّ الطَّبَّاخَ أَنْ يُصْلِحَ أَلْوَانًا مِنَ المُخِّ المَعْقُودِ بِالسُّكَّرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَأَكَلَ، فَقَالَ الطَّبَّاخُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، لَيْسَ

يُفْلِحُ بَعْدَهَا، قَالَ:
فَحَدَّثَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
وَعَلَّمَهُمْ، وَوَلِيَ القَضَاءَ،
وَلَقَدْ كَتَبَ لَهُ بِرِزْقِهِ
عَلِيٌّ الصَّيْرَفِيُّ فَضَايَقَهُ فِي
النَّقْدِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَمْ تَبِعْ
بِهِ بَزًّا، فَقَالَ شَرِيكٌ:

وَاللهِ بِعْتُ أَكْبَرَ مِنَ
البَزِّ؛ بِعْتُ بِهِ دِينِي».
وَدَخَلَ عَلَى المَهْدِيِّ
رَجُلٌ يَوْمًا وَمَعَهُ نَعْلٌ،
فَقَالَ: هَذِهِ نَعْلُ رَسُولِ
اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - قَدْ أَهْدَيْتُهَا

لَـــكَ، فَقَـــالَ: هَاتِهَـــا، فَنَاوَلَـــهُ إِيَّاهَـــا، فَقَبَّلَهَـــا وَوَضَعَهَـــا عَـــلَى عَيْنَيْـــهِ، وَأَمَـــرَ لَـــهُ بِعَـــشَرَةِ الْآفِ دِرْهَـــمٍ، فَلَـــمَّا انْـــصَرَفَ الرَّجُـــلُ قَالَ الْمُهْـــدِيُّ: وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَـــمُ أَنَّ رَسُـــولَ اللهِ

- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- لَمْ يَرَ هَذِهِ النَّعْلَ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَلْبَسَهَا.

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، قَالَ: «لَوْ أَنَّ لِيَ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً مَا صَيَّرْتُهَا إِلَّا

فِي الْإِمَامِ، قِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ؟ قَالَ: مَتَى مَا صَيَّرْتُهَا فِي نَفْسِي لَمْ تُجْزِنِي، وَمَتَى صَيَّرْتُهَا فِي الْإِمَامِ، فَصَلَاحُ الْإِمَامِ صَلَاحُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ».

٩٩- وَمَنْ يُشَابِهْ
أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ!
قال تعالى: (يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا
بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)
وَفِي الْمُحَرَّمِ، سَنَةَ تِسْعٍ
وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ، تُوُفِّيَ

الْمَهْدِيُّ، وَبُوِيعَ لِوَلِيِّ عَهْدِهِ ابْنِهِ الْهَادِي مُوسَى، وَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ، فَقَدْ تَوَلَّى الْخِلَافَةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ، وَمَاتَ ﷺ وَقِيلَ: قُتِلَ ﷺ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ.

فَتَوَلَّى بَعْدَهُ شَقِيقُهُ

هَارُونُ الرَّشِيدُ أَبُو

جَعْفَرٍ، تَوَلَّى الخِلَافَةَ

سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ

لِلْهِجْرَةِ، وَحَتَّى سَنَةِ

ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ

لِلْهِجْرَةِ، وَقَدِ اسْتَخْلَفَهُ

أَبُـوهُ بَعْـدَ أَخِيـهِ الهَـادِي.

كَانَ هَـارُونُ مِـنْ أَشْرَفِ

مُلُـوكِ الدُّنْيَـا، كَثِـيرَ

الغَـزْوِ وَالحَـجِّ، كَـمَا قَـالَ

فِيـهِ أَبُـو المَعَـالِي الـكِلَابِيُّ:

فَمَـنْ يَطْلُـبْ لِقَـاءَكَ

أَوْ يُـرِدْهُ ... فَبِالحَرَمَـيْنِ

أَوْ أَقْصَى الثُّغُورِ

وَكَانَ يُكْثِرُ مِنَ الصَّلَاةِ

وَالصَّدَقَةِ، بَكَّاءً، مُحِبًّا

لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، مُبْغِضًا

لِلزَّنَادِقَةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ، لَمَّا

بَلَغَهُ عَنْ بِشْرِ الْمَرِيسِيِّ

الْقَوْلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ،

قَالَ: لَئِنْ ظَفِرْتُ بِهِ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ. وَحَدَّثَهُ أَبُو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ بِحَدِيثِ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى»، فَقَالَ رَجُلٌ: فَأَيْنَ لَقِيَهُ؟ فَغَضِبَ الرَّشِيدُ، وَقَالَ: النَّطْعَ

وَالسَّيْفَ، زِنْدِيقٌ يَطْعَنُ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ -.

وَمَوْقِفُهُ هَذَا يُذَكِّرُنَا بِمَوْقِفِ أَخِيهِ وَمَوْقِفِ أَبِيهِ؛ فَعَنِ الْمُطَّلِبِ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: قَدِمْنَا عَلَى

الهَـادِي شُـهُودًا عَـلَى
رَجُـلٍ شَـتَمَ قُرَيْشًـا،
وَتَخَطَّـى إِلَى ذِكْـرِ النَّبِـيِّ
- صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ
-، فَتَغَـيَّرَ وَجْـهُ الهَـادِي،
وَقَـالَ: اضْرِبُـوا عُنُقَـهُ.
أَخْرَجَـهُ الخَطِيـبُ وَغَيْرُهُ.

وَأَنْشَدَ أَبُو الخَطَّابِ السَّعْدِيُّ فِي مَدْحِ الهَادِي، إِلَى أَنْ قَالَ:

يَا خَيْرَ مَنْ عَقَدَتْ كَفَّاهُ حُجْزَتَهُ ... وَخَيْرَ مَنْ قَلَّدَتْهُ أَمْرَهَا مُضَرُ

فَقَالَ لَهُ الهَادِي: إِلَّا

مَـــنْ؟ وَيْلَـــكَ! فَفَكَّـــرَ
الشَّـــاعِرُ، فَقَـــالَ:
إِلَّا النَّبِـــيَّ رَسُـــولَ اللهِ إِنَّ
لَـــهُ ... فَضْـــلًا وَأَنْـــتَ
بِـــذَاكِ الفَضْـــلِ تَفْتَخِـــرُ
فَقَـــالَ: الآنَ
أَصَبْـــتَ وَأَحْسَـــنْتَ.

أَمَّا أَبُوهُمَا المَهْدِيُّ، فَقَدْ حُدِّثَ بِحَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَلْصَقَ خَدَّهُ بِالتُّرَابِ، وَقَالَ: سَمِعْتُ لِمَا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَطَعْتُ.

١٠٠- مِنْ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى نِقْفُورَ كَلْبِ الرُّومِ

قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

قَالُوا: كَانَتْ أَيَّامُ

الرَّشِيدِ كُلُّهَا خَيْرٍ، كَأَنَّهَا

مِنْ حُسْنِهَا أَعْرَاسُ.

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ:

أَخْبَارُ الرَّشِيدِ يَطُولُ

شَرْحُهَا، وَمَحَاسِنُهُ جَمَّةٌ.

وَقَالَ الجَاحِظُ: اجْتَمَعَ لِلرَّشِيدِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لِغَيْرِهِ ... إِلَى أَنْ قَالَ:

وَزَوْجَتُهُ زُبَيْدَةُ.

وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ:

يَا خَيْزُرَانُ هَنَاكِ

ثُـــمَّ هَنَـــاكِ ... أَمْسَـــى
يَسُـــوسُ العَالَمِـــينَ ابْنَـــاكِ
يَعْنِـــي الهَـــادِيَ وَالرَّشِـــيدَ.
قَـــالَ عَبْـــدُ الـــرَّزَّاقِ: كُنْـــتُ
مَـــعَ الفُضَيْـــلِ بِمَكَّـــةَ،
فَمَـــرَّ هَـــارُونُ، فَقَـــالَ
فُضَيْـــلٌ: مَـــا فِي الأَرْضِ

أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْهُ، لَوْ مَاتَ لَرَأَيْتُ أُمُورًا عِظَامًا.

وَصَبَّ الرَّشِيدُ عَلَى يَدَيْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ: إِجْلَالًا لِلْعِلْمِ.

وَأَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ مَلِكِ الرُّومِ: نِقْفُورَ،

بِنَقْضِ الهُدْنَةِ الَّتِي كَانَتْ عُقِدَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ المَلِكَةِ: رِينِي، مَلِكَةِ الرُّومِ.

وَصُورَةُ الكِتَابِ: مِنْ نِقْفُورَ مَلِكِ الرُّومِ، إِلَى هَارُونَ مَلِكِ العَرَبِ:

أَمَّـــا بَعْـــدُ؛ فَـــإِنَّ المَلِكَـــةَ
الَّتِـــي كَانَـــتْ قَبْـــلُ كَانَـــتْ
أَقَامَتْـــكَ مَقَـــامَ الـــرُّخِّ
وَأَقَامَـــتْ نَفْسَـــهَا مَقَـــامَ
البَيْـــدَقِ، فَحَمَلَـــتْ إِلَيْـــكَ
مِـــنْ أَمْوَالِهَـــا أَحْمَـــالًا،
وَذَلِـــكَ لِضَعْـــفِ النِّسَـــاءِ

وَحُمْقِهِنَّ، فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي فَارْدُدْ مَا حَصَلَ قِبَلَكَ مِنْ أَمْوَالِهَا، وَإِلَّا فَالسَّيْفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ.

فَلَمَّا قَرَأَ الرَّشِيدُ الكِتَابَ اسْتَشَاطَ غَضَبًا حَتَّى لَمْ يُمْكِنْ أَحَدًا أَنْ يَنْظُرَ إِلَى

وَجْهِهِ دُونَ أَنْ يُخَاطِبَهُ،
وَتَفَرَّقَ جُلَسَاؤُهُ مِنَ
الخَوْفِ، وَاسْتَعْجَمَ
الرَّأْيُ عَلَى الوَزِيرِ، فَدَعَا
الرَّشِيدُ بِدَوَاةٍ، وَكَتَبَ
عَلَى ظَهْرِ كِتَابِهِ: بِسْمِ
اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ

هَـــارُونَ أَمِـــيرِ الْمُؤْمِنِـــينَ،
إِلَى نِقْفُـــورَ كَلْـــبِ الـــرُّومِ،
قَـــدْ قَـــرَأْتُ كِتَابَـــكَ يَـــا
ابْـــنَ الكَافِـــرَةِ، وَالجَـــوَابُ
مَـــا تَـــرَاهُ، لَا مَـــا تَسْـــمَعُهُ.
ثُـــمَّ سَـــارَ لِيَوْمِـــهِ، فَلَـــمْ
يَـــزَلْ حَتَّـــى نَـــزَلَ مَدِينَـــةَ

هِرَقْــلَ، وَكَانَــتْ غَــزْوَةً مَشْــهُورَةً وَفَتْحًــا مُبِينًــا، فَطَلَــبَ نِقْفُــورُ الْمُوَادَعَــةَ (أَيِ الْمُصَالَحَــةَ)، وَالْتَــزَمَ بِخَــرَاجٍ يَحْمِلُــهُ كُلَّ سَــنَةٍ، فَأُجِيــبَ.

١٠١- خَلَّفَ

مِنَ الْمِيرَاثِ مَا لَمْ يُخَلِّفْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ يَقُولُ: (مَا يَزَعُ اللهُ

بِالسُّلْطَانِ أَعْظَمُ مِمَّا يَزَعُ بِالقُرْآنِ). رَوَاهُ الخَطِيبُ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ.

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ: أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا يَزَعُ السُّلْطَانُ النَّاسَ أَشَدُّ مِمَّا يَزَعُهُمُ الْقُرْآنُ».

رَوَاهُ ابْنُ شَبَّةَ فِي تَارِيخِ المَدِينَةِ بِسَنَدٍ مُنْقَطِعٍ. وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ، عَنْ مَالِكٍ: أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ، وَذَكَرَهُ. وَسَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ.

قَالَ شَيْخُنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ بَازٍ - رَحِمَهُ اللهُ -: وَهُوَ ثَابِتٌ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ أَيْضًا: «إِنَّ اللهَ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالقُرْآنِ». وَمَعْنَاهُ: يَمْنَعُ

بِالسُّلْطَانِ مِنَ اقْتِرَافِ
المَحَارِمِ أَكْثَرَ مِمَّا يَمْنَعُ
بِالقُرْآنِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ
النَّاسِ ضَعِيفُ الإِيمَانِ،
لَا تُؤَثِّرُ فِيهِ زَوَاجِرُ
القُرْآنِ وَمَنَاهِي القُرْآنِ؛
بَلْ يُقْدِمُ عَلَى المَحَارِمِ

وَلَا يُبَالِي، لَكِنْ مَتَى عَلِمَ أَنَّ هُنَاكَ عُقُوبَةً مِنَ السُّلْطَانِ ارْتَدَعَ، خَافَ مِنَ العُقُوبَةِ السُّلْطَانِيَّةِ. انتهى.

وَمَاتَ هَارُونُ الرَّشِيدُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ

لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ
جُمَادَى الْآخِرَةِ،
سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ
وَمِائَةٍ، وَكَانَ مُلْكُهُ
ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً.
وَزَوْجَتُهُ زُبَيْدَةُ كَانَتْ
مِنْ أَرْغَبِ النَّاسِ فِي

كُلِّ خَيْرٍ، وَأَسْرَعِهِمْ
إِلَى كُلِّ بِرٍّ وَمَعْرُوفٍ،
أَدْخَلَتِ الْمَاءَ الْحَرَمَ
بَعْدَ امْتِنَاعِهِ مِنْ ذَلِكَ،
إِلَى أَشْيَاءَ مِنَ الْمَعْرُوفِ
أَجْرَاهَا اللهُ عَلَى يَدِهَا.
قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَفَضَائِلُ

الرَّشِيدِ وَمَكَارِمُهُ كَثِيرَةٌ جِدًّا. وَقَدْ كَانَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ يَقُولُ: لَيْسَ مَوْتُ أَحَدٍ أَعَزَّ عَلَيْنَا مِنْ مَوْتِ الرَّشِيدِ؛ لِمَا أَتَخَوَّفُ بَعْدَهُ مِنَ الحَوَادِثِ، وَإِنِّي لَأَدْعُو

اللهَّ أَنْ يَزِيـــدَ فِي عُمُـــرِهِ
مِـــنْ عُمُـــرِي، قَالُـــوا: فَلَـــمَّا
مَـــاتَ الرَّشِـــيدُ وَظَهَـــرَتْ
تِلْـــكَ الفِتَـــنُ وَالحَـــوَادِثُ
وَالاخْتِلَافَـــاتُ، وَظَهَـــرَ
القَـــوْلُ بِخَلْـــقِ القُـــرْآنِ،
فَعَرَفْنَـــا مَـــا كَانَ تَخَوَّفَـــهُ

الفُضَيْلُ مِنْ ذَلِكَ.

وَلَمَّا حَضَرَتِ الرَّشِيدَ الوَفَاةُ قَالَ: (مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) وَيَبْكِي.

وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا احْتُضِرَ

وَكَانَ مَرِيضًا قَالَ:

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِالْإِحْسَانِ،

وَاغْفِرْ لَنَا الْإِسَاءَةَ،

يَا مَنْ لَا يَمُوتُ

ارْحَمْ مَنْ يَمُوتُ.

قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ:

«وَقَدْ خَلَّفَ الرَّشِيدُ

مِنَ الْمِيرَاثِ مَا لَمْ يُخَلِّفْهُ أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ».

وَقَدْ تَوَلَّى الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ وَلِيُّ عَهْدِهِ: ابْنُهُ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ.

١٠٢- هَلِ السُّفْيَانِيُّ هُوَ أَبُو العُمَيْطِرِ؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ -:

«يَخْرُجُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ:

السُّفْيَانِيُّ فِي عُمْقِ دِمَشْقَ،
وَعَامَّةُ مَنْ يَتْبَعُهُ مِنْ
كَلْبٍ، فَيَقْتُلُ حَتَّى يَبْقُرَ
بُطُونَ النِّسَاءِ، وَيَقْتُلَ
الصِّبْيَانَ، فَتَجْمَعَ لَهُمْ
قَيْسٌ فَيَقْتُلَهَا حَتَّى لَا
يُمْنَعَ ذَنَبُ تَلْعَةٍ، وَيَخْرُجُ

رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي
الْحَرَّةِ فَيَبْلُغُ السُّفْيَانِيَّ،
فَيَبْعَثُ إِلَيْهِ جُنْدًا مِنْ
جُنْدِهِ فَيَهْزِمُهُمْ، فَيَسِيرُ
إِلَيْهِ السُّفْيَانِيُّ بِمَنْ مَعَهُ،
حَتَّى إِذَا صَارَ بِبَيْدَاءَ
مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ

بِهِمْ، فَلَا يَنْجُو مِنْهُمْ إِلَّا
الْمُخْبِرُ عَنْهُمْ». أَخْرَجَهُ
الْحَاكِمُ، وَقَالَ: هَذَا
حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ
عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ،
وَلَمْ يُخْرِجَاهُ؛ وَوَافَقَهُ
الذَّهَبِيُّ، وَلَهُ أَكْثَرُ

مِـــنْ عِلَّـــةٍ؛ مِنْهَـــا عَنْعَنَـــةُ
الوَلِيـــدِ بْـــنِ مُسْـــلِم، وَفِي
السُّـــفْيَانِيِّ أَخْبَـــارٌ مَرْفُوعَـــةٌ
وَمَوْقُوفَـــةٌ وَمَقْطُوعَـــةٌ
لَا تَخْلُـــو مِـــنْ مَقَـــالٍ.
وَبَعْـــدَ أَنْ تُـــوُفِّيَ الرَّشِـــيدُ فِي
مُسْـــتَهَلِّ جُمَـــادَى الْآخِـــرَةِ،

سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ
وَمِائَةٍ، تَوَلَّى الخِلَافَةَ ابْنُهُ
مُحَمَّدٌ الأَمِينُ، فَانْتَظَمَ
الأَمْرُ لَهُ، وَأَقَرَّ أَخَاهُ
المُأْمُونَ عَلَى مَا تَحْتَ
يَدِهِ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ
وَالرَّيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ،

وَأَقَرَّ أَخَاهُ الْقَاسِمَ
عَلَى الْجَزِيرَةِ وَالثُّغُورِ،
وَأَقَرَّ عُمَّالَ أَبِيهِ عَلَى
البِلَادِ إِلَّا القَلِيلَ مِنْهُمْ.
وَظَهَرَ أَمْرُ السُّفْيَانِيِّ
أَبِي العُمَيْطِرِ بِالشَّامِ،
قَالَ الذَّهَبِيُّ: الأَمِيْرُ،

أَبُــو الحَسَــنِ عَــلِيُّ بــنُ
عَبْــدِ اللهِ بــنِ خَالِــدِ بــنِ
يَزِيْــدَ بــنِ مُعَاوِيَــةَ بــنِ
أَبِي سُــفْيَانَ القُــرَشِيُّ،
الأُمَــوِيُّ، الدِّمَشْــقِيُّ،
وَيُعْــرَفُ: بِــأَبِي العُمَيْطِــرِ.
كَانَ سَــيِّدَ قَوْمِهِ وَشَــيْخَهُم

فِي زَمَانِهِ، بُوْيِعَ بِالخِلاَفَةِ بِدِمَشْقَ زَمَنَ الأَمِيْنِ، وَغَلَبَ عَلَى دِمَشْقَ.

قَالَ المَيْمُوْنِيُّ: قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لِلْهَيْثَمِ بْنِ خَارِجَةَ: كَيْفَ كَانَ مَخْرَجُ السُّفْيَانِيِّ بِدِمَشْقَ أَيَّامَ

ابْـنِ زُبَيْـدَةَ، بَعْـدَ سُـلَيْمَانَ
بـنِ أَبِي جَعْفَـرٍ؟ فَوَصَفَـهُ
بِهَيْئَـةٍ جَمِيْلَـةٍ، وَعُزْلَـةٍ
لِلشَّرِّ، ثُـمَّ ظُلِـمَ، وَأَرَادُوْهُ
عَـلَى الخُـرُوْجِ مِـرَارًا،
فَأَبَـى، فَحَفَـرَ لَـهُ خَطَّـابُ
بـنُ وَجْـهِ الفَلْـسِ سِرْبًـا،

ثُـــمَّ دَخَلُـــوْهُ فِي اللَّيْـــلِ، وَنَـــادَوْهُ: اخْـــرُجْ، فَقَـــدْ آنَ لَـــكَ. قَالَ: هَـــذَا شَـــيْطَانٌ، ثُـــمَّ فِي ثَـــانِي لَيْلَـــةٍ وَقَـــعَ فِي نَفْسِـــهِ، وَخَـــرَجَ. فَقَـــالَ أَحْمَـــدُ: أَفسَـــدُوْهُ. انتهـــى.

وَكَانَ بَنُـــو أُمَيَّـــةَ يَـــرْوُوْنَ فِي